هكذا تحدث أبو تراب

تأليف

محمد حسن علوي الخضري

الطبعة الخامسة

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

www.haydarya.com

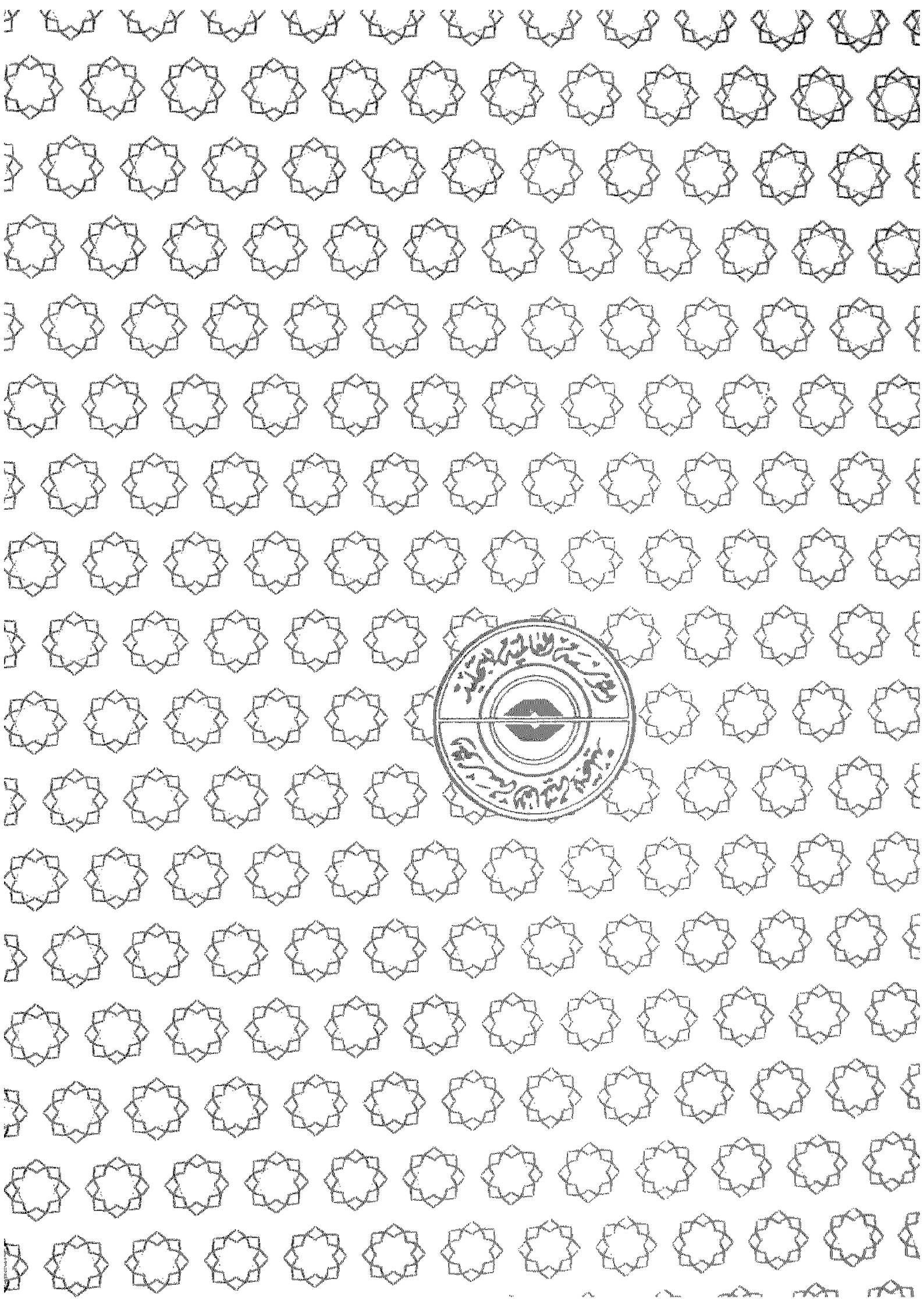

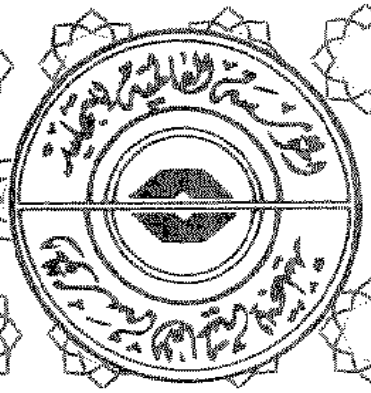

مختصر

هكذا
تحدث أبو تراب

محمد حسن عليوي الخُضري

هكذا . .

تَحَدَّثَ أبو ترابْ

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٦٣٨٥
التاريخ ٩/١/٢٠١٦
٦١٣٣

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف
هكذا تحدث ابو تراب

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ❖ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (ابراهيم:٢٥)

قران كريم

❖ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب:٣٣)

❖ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) النساء:٥٩)

❖ (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة:٥٥)

صدق الله العلي العظيم

قران كريم

BP
٣٧/
خ/
هـ

الطبعة الأولى

١٩٦٥ م — ١٣٨٥ هجـ

الطبعة الثانية الكاملة والمنقحة والمزيدة

٢٠٠٣م — ١٤٢٤هـ

الطبعة الثالثة ٢٠٠٤ م — ١٤٢٤ هجـ

الطبعة الرابعة

النصف من محرم الحرام ١٤٢٦هـ ـشباط ٢٠٠٥م

الطبعة الخامسة

السبت الخامس عشر من آذار ٢٠٠٨م

السابع من ربيع الأول ١٤٢٩هـ

أشرف على الطبع

السيد صادق السيد طاهر الحسيني

التنضيد الألكتروني : مكتب تفاحة آدم — ناصرية — هـ ٢٣١٦٨٧

طبع في مكتب الضياء للكومبيوتر — النجف الأشرف — مقابل عمارة الحياة — هـ ٢١٢٢٨٩

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف
هكذا تحدث ابو تراب

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ❖ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (ابراهيم:٢٥)

قران كريم

❖ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب:٣٣)

❖ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) النساء:٥٩)

❖ (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة:٥٥)

صدق الله العلي العظيم

قران كريم

❖ انا مدينة العلم وعلي بابها،

❖علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار،

❖ يا عمار اذا رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس واديا غيره، فاسلك مع علي ودع الناس أنه لن يدلك على ردى ولم يخرجك من هدى،

❖ اللهم أدر الحق مع علي حيث دار،

❖ حربك حربي وسلمك سلمي،

❖ ضربة علي لعمرو تعدل عبادة الثقلين،

❖ أقضاكم علي

❖ علي قائد البررة،

قاتل الكفرة ،

منصور من نصره،

مخذول من خذله،

❖ يا علي لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق .

❖ حبُّ علي من الأيمان.

الرسول الاعظم

صلى الله عليه وآله وسلم

❖ لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما ابغظني ، ولو صببت الدنيا بجمامتها على المنافق على أن يحبني ما آحبني، وذلك انه قضي على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

يا علي:

لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبك منافق !!

❖ اللهم أنك تعلم : لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك.

أبو تراب

المدخل إلى الطبعة الخامسة

لما وجدتُني ((المؤمل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام، ورهينة الأيام، ورمية المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموت، وحليف الهموم،وقرين الأحزان ونُصْب الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات)).

و((تبينتُ من إدبار الدنيا عني، وجموع الدهر عليّ، وإقبال الآخرة اليّ، حيثُ تفرد بي دون هموم الناس هَمّ نفسي، فصدفني رأيي، وصرفني عن هواي، وصرح لي محض أمري، فأفضى بي إلى جد لا يكون فيه لعب، وصدق لا يشوبه كذب)).

هنا علمتُ باليَقين الصادق، وقلتُ باللسان الناطق:

ألاَ وَانْ لكُلّ مأمُوم إمَاماً يَقْتَدي بِهَ، وَيَسْتَضِيءُ بنُورِ علْمه، ألاَ وَإنْ إمَامكُمْ قَد أكْتَفَى منْ دُنْيَاهُ بِطمْرَيْه[1]، وَمنْ طُعْمه بِقُرْصَيْه، ألاَ وَإنَكُمْ لاَ تَقْدرُونَ عَلَى ذلكَ، وَلَكنْ أعينُوني بوَرَع واجْتهَاد، وَعفَّة وَسَدَاد[2]، فَوَالله مَا كَنَزْتُ منْ دُنْياكُمْ تبراً، وَلاَ أدَّخَرْتُ منْ غَنَائمهَا وَفْراً[3]، وَلاَ أعْدَدْتُ

(١) الطمر ـ بالكسر ـ : الثوب الخلق.

(٢) ان ورع الولاة عفتهم يعين الخليفة على اصلاح شؤون الرعية.

(٣) التبر ـ بكسر فسكون ـ : فتات الذهب والفضة قبل ان يصاغ. والوفر: المال.

لِبَالِي ثَوبِي طِمْراً[1]، بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا (فَدَكُ) مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ،وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ،وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَمَا أَصْنَعُ بِـ(فَدَكَ) وَغَيرِ (فَدَكَ) وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ[2]، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ[3]، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ!.

وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أُرُوضُهَا بِالتَّقْوَى[4]، لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ[5]، وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ[6]، إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي[7]، إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ

---

(١) أي ما كان يهيء لنفسه طمراً آخر بدلاً عن الثوب الذي يبلى، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فان مجموع الرداء والأزار يعد ثوباً واحداً فبهما يكسو البدن لا بأحدهما.

(٢) فَدَك – بالتحريك – : قرية لرسول الله (ص) كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد فتح (خيبر)، واجماع الشيعة على انه كان أعطاها فاطمة رضي الله عنها قبل وفاته إلا ان أبا بكر رضي الله عنه ردها لبيت المال قائلاً: ((انها كانت مالاً في يد النبي يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله وإنا إليه كما كان عليه)) والقوم الآخرون الذين سخت نفوسهم عنها هم بنو هاشم. المظان: جمع مظنة وهو المكان الذي يظن فيه وجود الشيء. وموضع النفس الذي يظن وجودها فيه في غد جَدَث بالتحريك أي قبر.

(٣) أضغطها: جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها.

(٤) أروضها: أذللها.

(٥) موضع ما تخشى الزلة وهو الصراط.

(٦) كان كرم الله وجهه إماماً عالي السلطان واسع الإمكان فلو أراد التمتع بأي اللذائذ شاء لم يمنعه مانع، وهو قوله لو شئت لا هتديت الخ. والقزّ: الحرير.

(٧) الجشع: شدة الحرص.

الْيَمَامة[1]، مَنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، ولاَ عَهْدَ لهُ بالشِّبَعِ، أو أبيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وأَكْبَادٌ حَرَّى؟ أَوْ أَكُون كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ(٢) وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ الى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَن يُقَالَ: ((أَمِيرُ الْمؤْمِنِينَ))، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ[3]، فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمُّهَا عَلَفُهَا، أو الْمُرْسَلَةِ، شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا[4]، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ[5]، وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: ((إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ، وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ)). أَلاَ وإِنَّ الشَّجَرَةَ البَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً[6]، وَالنَّبَاتَاتِ الْبَدَوِيَّةَ أَقْوَى وَقُوداً[7]، وَأَبْطَأُ خُمُوداً، وَأَنَا مِنْ

---

(١) جملة ولعلَ الخ حالية عمل فيها تخير الأطعمة أي هيهات ان يتخير الأطعمة لنفسه والحال أنه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص: أي الرغيف ولا طمع له في وجوده لشدة الفقر ولا يعرف الشبع، وهيهات ان يبيت مبطاناً: أي ممتلئ البطن، والحال ان حوله بطوناً غرثى: أي جائعة وأكباداً حرى مؤنث حران: أي عطشان.

(٢) البطنة – بكسر الباء – : البطر والأشر والكظة. والقد – بالكسر – : سير من جلد غير مدبوغ أي أنها تطلب أكله ولا تجده.

(٣) الجشوبة: الخشونة.

(٤) التقاطها للقمامة أي الكناسة وتكترش أي تملأ كرشها.

(٥) اعتسف: ركب الطريق على غير قصد. والمتاهة: موضع الحيرة.

(٦) الروائع الخضرة: الأشجار والأعشاب الغضة: الناعمة الحسنة.

(٧) الوقود: اشتعال النار أي إذا وقدت بها النار تكون أقوى اشتعالاً من النباتات غير البدوية وأبطأ منها خموداً.

رَسُولِ اللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ[1]، وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ[2]، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ[3].

إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا! فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ[4]، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ، أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ[5]؟ أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟ هَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ، وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِياً، وَقَالَباً حِسِّياً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِي، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلاَءِ، إِذْ لاَ وِرْدَ وَلاَ صَدَرَ[6]، هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ[7]، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ،

---

(١) الصنوان: النخلتان يجمعهما أصل واحد فهو من جرثومة الرسول يكون في حاله كما كان شديد البأس وإن كان خشن المعيشة.

(٢) جهد – كمنع – : جد والمركوس من الركس: وهو رد الشيء مقلوباً وقلب آخره على أوله، والمراد مقلوب الفكر.

(٣) المدرة – بالتحريك – : قطعة الطين اليابس. وحب الحصيد: حب النبات المحصود كالقمح ونحوه، أي حتى يطهر المؤمنين من المخالفين.

(٤) اليك عني: إذهبي عني. والغارب: الكاهل وما بين السنام والعنق. والجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت. وانسل من مخالبها: لم يعلق به شيء من شهواتها. والحبائل: جمع حبالة. شبكة الصياد. وأفلت منها: خلص. والمداحض: المساقط.

(٥) والمداعب: جمع مدعبة – من الدعابة – وهي المزاح والتاءات والكافات كلها بالكسر خطاباً للدنيا.

(٦) الورد – بكسر الواو – : ورود الماء. والصدر – بالتحريك – : الصدور عنه بعد الشرب.

(٧) مكان دحض – بفتح فسكون – : أي زلق لا تثبت فيه الأرجل.

وَمَنِ أزْوَرّ عَنْ حَبَائِلك وُفِّقَ[1]، وَالسَّالِمُ مِنْك لاَ يُبَالِي إنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلاخُهُ[2].

اعْزُبِي عَنِّي[3]! فَوَاللهِ لاَ أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي، وَايْمُ اللهِ يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا الَى الْقُرْصِ[4]، إِذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا[5]، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا! أَتَمْتَلِيءُ السَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِهَا فَتَبْرُكَ، وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ[6]، وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ[7]؟! قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ[8]، إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ، بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ[9]، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ.

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ الَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبَيْهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا، افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ

---

(١) أزور: أي مال وتنكب.

(٢) حان: حضر. وانسلاخه: زواله.

(٣) عزب يعزب: أي بعد. ولا أسلس: أي لا أنقاد.

(٤) تهش: أي تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدة ما حرمها،ومطعوماً حال من القرص كما ان مأدوماً حال من الملح: أي مأدوماً به الطعام.

(٥) أي لا تركن مقلتي أي عيني وهي كعين ماء نضب: أي غار. معينها – بفتح فكسر – أي ماؤها الجاري، أي أبكي حتى لا يبقى دمع.

(٦) الربيضة: الغنم مع رعاتها إذ كانت في مرابضها والربوض للغنم كالبروك للإبل.

(٧) يهجع: أي يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها.

(٨) دعاء على نفسه ببرود العين أي جمودها من فقد الحياة تعبير باللازم.

(٩) الهاملة: المسترسلة والهمل من الغنم: ترعى نهاراً بلا راع.

جُنُوبُهُمْ، وَهَمَهَتْ بذِكرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

صدق مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)

وأنا على أعتاب السبعين

العراق ـ الناصرية

السبت

١٥ آذار ٢٠٠٨م

٧ ربيع الأول ١٤٢٩هـ

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين هداة الامم وبعد...

حين أقدّم ((هكذا.. تحدث ابو تراب)) للطبع في طبعته الرابعة ، وبعد نفاذ نسخه كلها ، في زمن قياسي بالنسبة الى غيره من الكتب الماثلة ، لا أدعي الكمال لهذا العمل المتواضع ، أو ادعي أن يضاهي مماثله من الكتب .. كلا !!

ولا أدعي أنه سدٌ فراغاً في المكتبة العربية . فما اكثر الاسفار التي تناولت حياة هذا العظيم الخاصة والعامة ، والسياسية والاقتصادية ، والثقافية والعلمية . ولا أدعي ذلك .. كلا !!!

ولا أنتحل لنفسي صفة المؤرخ الذي يفلسف أحداث التأريخ ، ويستشرف المستقبل على ضوء حوادث الماضي المشرق بانوار عظماء ألامة ... كلا !!!

ولكن، اقول :

إن هذا الكتاب قد استمتع بقراءته الكثيرين المثقفين والمتخصصين .. وهذا شرف عظيم لي ...

شرف لي بأن أدلي بدلوي في خضم هذا البحر اللامتناهي من العظمة لهذا الرجل الذي سبق عصره .

هذا الرجل الذي كانت الدنيا من بدءها الى فنائها سِفراً خالداً يحكي هذه العظمة .. وكان كتاب الله المُنزل قد ذكر في ثلثه على الاقل كل ذلك .

هذا الرجل الذي شارك الناس في ناسوتيّتهم وسما فوقهم بما خَصّه الله تعالى من السمو والرفعة (() إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ..))

ولي شرف ثانٍ بان الطروحات التي ذكرتها فيه منذ ما يقارب النصف قرن قد تحقق أكثرها في "واقعنا المعاش"

واتمنى والتمني حق مشروع لكل الناس أن نهتدي بهدي هذا الرجل الذي جعل الله سلوكه سلوكاً لنا واجب إتباعه ، والاقتداء به ، لأنّ قوله وفعله وتقريره سُنّة واجبة الاتباع فنكف - بعد التمرد على الذات- عن الفوضى التي ضربت باطنابها في كل مفاصل الحياة بما فيها الدينية ..

لهذا وغيره قدمت هذا الكتاب للطبع في طبعته الرابعة من غير تعديل ولا تبديل ليتسنى لمن لم يطلع عليه من اخواني في الله أن يقرأوه ويستمتعوا به قراءةً، والاستفادة من بعض المعلومات الخاصة أو العامة المذكورة في ثنايا سطوره .. والله من وراء القصد .

النصف من محرم الحرام ١٤٢٦ هـ محمد حسن عليوي الخضري

مقدمة الطبعة الثالثة

قيل : أن الباحث أو المثقف أو المؤلف إذا راجع أعماله ورضي عنها، فانه لم يتقدم في تحصيله العلمي أو الثقافي خطوة إلى الأمام ، أما ، إذا وجد خللاً فيما أنتج وقوّمه فانه قد تقدم في فنه ، ونضج عقله ، ونشد الكمال فيما يقدمه .

ولكن وجدتني من النوع الأول ، حينما قدمت كتابي "**هكذا .. تحدث ابو تراب**" إلى الطبع وخرج مقطع الأوصال من المطبعة ، في طبعته الأولى .

هيأته للطبع بعد أن أعدت المبتور من فصوله إليه فخرج كما هو في مسوداته الأولى التي كتبت قبل ما يقرب من أربعة عقود . ولما نفذ الكتاب في أيام معدودات أعدت النظر فيه فرضيت عنه . رضيت عنه لا لأنه كامل ، لا ، ولا لأنه أعطى أبا تراب حقه ، لا ، وإنما لان النظرة فيه للواقع تنطبق على ما نحن فيه اليوم، وان علاج السلبي من أوضاع المجتمع تحكي قصة ما نعيشه اليوم .

وحين رأيتني راضٍ عن الكتاب بالنظرة الثقافية لما نحن فيه منذ خمس وثلاثين عاماً ، حاولت أن انظر في الصحاح والمسانيد المعتبرة عند المسلمين لأضع مقدمة الطبعة الثالثة فوجدتني اردد النظر فيما يلي :

١. العصمة والإمامة

قال أهل العلم : إنّ جميع أفعال المخلوقين ، وان كانت مخلوقة لله تعالى ومرادة له بالإرادة التكوينية ، لامتناع جعل الشريك له جلّ اسمه في الخلق ، إلا أن خلقه لأفعالهم إنما هو بتوسط إرادتهم الخاصة غالباً ، وفي طولها، أي أنها لا تتعارض معها. وبذلك صححوا نسبة الأفعال للمخلوقين، ونسبتها إلى الله جلّ وعلا . فهي مخلوقة لله عز وجل حقيقة ،

وهي صادرة عن إرادة المخلوق حقيقة أيضاً وبذلك صححوا الثواب والعقاب . وذهبوا إلى الحل الأوسط الذي أخذوه عن أئمتهم (عليهم السلام) [لا جبر ولا تفويض وإنما هو أمر بين أمرين] وبهذا سلموا من مخالفة الوجدان في نفي الإرادة وسلبها عنهم ، كما هو مفاد القائلين بالجبر . كما سلموا من شبهة المفوضة في عزل الله تعالى عن خلقه وتفويض الخلق في الأفعال للمخلوقين ، كما هو مذهب المفوضة.

وبناءً على هذه النظرية [الأمر بين الأمرين] يكون مفاد الآية الكريمة: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) الأحزاب: من الآية٣٣ : إنّ الله عز وجل لما علم أنّ إرادتهم تجري دائماً على وفق ما شرعه لهم من الأحكام بحكم ما زودوا به من امكانات ذاتية ، ومواهب مكتسبة ، نتيجة تربيتهم على وفق المبادئ الإسلامية التي أرادها سبحانه ، تربية حولتهم إلى إسلام متجسد ، ثم بحكم ما كانت لديهم من القدرات على إعمال إرادتهم وفق أحكامه – جلّ وعلا– التي استوعبوها : علماً وخبرة ، فقد جاء الإخبار عن ذاته المقدسة بأنه تبارك وتعالى لا يريد لهم بإرادته التكوينية إلا إذهاب الرجس عنهم . لأنه جل شأنه لا يفيض الوجود إلا على هذا النوع من أفعالهم ما داموا هم لا يريدون لأنفسهم إلا إذهاب الرجس عنهم والتطهير لها .

وبهذا يتضح معنى الاصطفاء والاختيار من قبله تعالى لبعض عبيده في أن يحملوا ثقل النهوض برسالته المقدسة إلى الناس كافة .

مما تقدم نستنتج أن العصمة في المعصوم هي : لطف يفعله الله تبارك وتعالى بالمكلف لا يكون معه داعٍ إلى ترك الطاعة أو ارتكاب المعصية ، مع قدرته على ترك الطاعة وارتكاب المعصية .

والعصمة مدد من الله واستعداد من العبد كعصمة الأنبياء – عند الشيعة – قبل البعثة وبعدها ، وفي التبليغ – عند غيرهم – . والقدر المتيقن والمتفق عليه بين الطرفين في التبليغ .

والخطأ ممكن من البشر ، فإذا أردنا رفع الخطأ الممكن يجب أن نرجع إلى المجرد من الخطأ وهو المعصوم .

ولما كان النبي معصوماً ونص بالعصمة على عليٍّ وهو المعني بآية التطهير ، ولأنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بآية المباهلة ، كان علي معصوماً من الخطأ . ومن نص عليه المعصوم معصوم .

ومفهوم الإمامة يتضمن معنى العصمة ، فلو جاز على الإمام الخطأ أو الذنب ، فحين إقدامه على الذنب : إما أن يُقتدى به أو لا . . فان كان الأول فان الله سبحانه قد أمر بالذنب ، وحاشا لله ، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً . . وان كان الثاني خرج الإمام عن كونه إماماً لأنه يُؤمَر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يمكن الخروج من هذا التناقض إلا بالعصمة . . لكي لا يأمر ويرتكب ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ البقرة: من الآية٤٤ و ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ النساء: من الآية١٦٥ والأئمة كالأنبياء حجج لان الإمام منصوب من قبل الله تعالى لهداية البشر .

وهل أن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وحدهم القائلون بالعصمة؟؟

كلا!!

قال الرازي بعصمة الصحابة وعصمة أهل الحل والعقد ، واستدل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تجتمع أمتي على الضلال) .

واستدل الجمهور على ذلك أيضاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

وأقول : أين نضع قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)) الحجرات: من الآية ٦ ؟!!

وقال التفتزاني بعصمة : أبي بكر وعثمان .

وقال نور محمد ، وكذلك شمس الدين الأصفهاني : بعصمة الخليفة الثالث عثمان بن عفان .

ويذهب عبد الرحمن الايجي إلى عصمة الخلفاء الثلاثة .

وقصة أتباع مالك مع الشافعي حينما قال أن مالكاً أخطأ في بعض مسائله كيف ضربوه وأرادوا قتله، معروفة ، ومعنى هذا ان مالكاً برأيهم كان معصوماً .

مما تقدم نستنتج أن للمسلمين أراء في عصمة من يريدون ويحبون ، ولكن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) يرون عصمة من نصت عليهم آية التطهير صلوات الله وسلامه عليهم .

٢. ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل البيت (عليه السلام) ، وفي (أبي تراب) خاصة

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، انه قال :

- ❖ معرفة آل محمد براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب .
- ❖ اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العين من الرأس ، ولا يهتدي رأس إلا بالعينين .
- ❖ لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربعة : عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ، وعن محبتنا

أهل البيت .

❖ جاء في الرياض النظرة ج٢٥ ص٢٥٢ :

روى أبو بكر ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيَم خيمة وهو متكئ على قوس عربية ، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : معشر المسلمين ! أنا سلم لمن سالَمَ أهل الخيمة ، وحرب لمن حاربهم ، وولي لمن والاهم ، لا يحبهم إلا سعيد الجد ، ولا يبغضهم إلا شقي الجد، رديء الولادة .

❖ وجاء في صحيح الترمذي ج٢ ص٣١٩ ، والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٤٩، وابن ماجه في سننه ج١ ص٥٢ ، وأحمد في مسنده ج٢٥ ص٢٤٢ ، ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) : أنا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم .

❖ وجاء في مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٧٧ ، وصحيح الترمذي ج٢ ص٣٠١ : روى زيد بن أرقم : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين : أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم .

❖ وجاء في مسند احمد بن حنبل ، في سنده أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسن والحسين ، وقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة .

❖ وجاء في مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٧٧ : روى جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم بعرفات ، وعلي تجاهه : ادنُ مني يا علي !! خلقتُ أنا وعلي من شجرة ، أنا

أصلها وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها ، فمن تعلق بغصنٍ منها أدخله الله الجنة .

❖ وجاء في مستدرك الحاكم ج٣ ص١٤٩ ، وكنز العمال ج٦ ص١١٦، والصواعق المحرقة ص١١١ ، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٧٤ : روى ابن عباس : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس .

❖ وجاء في مجمع الزوائد ج٩ ص١٦٨ ، مستدرك الحاكم ج٢ ص٤٣، وتاريخ بغداد : وروى أبو سعيد الخدري ، قال ، سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنما مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له .

قال ابن حجر :

ووجه تشبيههم بالسفينة أن مَنْ أحبهم وعظمهم شكراً لنعمةِ شرفهم ، واخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان ... إلى ان قال : وباب حطة – يعني وجه تشبيههم بباب حطة – أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحا- أو باب بيت المقدس – مع التواضع والاستغفار ، سبباً للمغفرة ، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سبباً لها .

لقد جعل النبيُ صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته كسفينة نوح فالرجوع إليهم والمودة لهم سبب النجاة وبغضهم سبب للضلالة والهلاك .

❖ وجاء في كنز العمال ج٦ ص٢١٧ ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : مَن سرّه أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ويسكن جنة عدنٍ غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتدِ بأهلِ بيتي من بعدي ، فإنهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، فويلٌ للمكذبين بفضلهم من أمتي ، والقاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي .

❖ وفي صحيح الترمذي ج٢ ص٣٠٨ ، وقد كرر النبي هذا الحديث في مواطن عدة منها ما رواه زيد بن أرقم ، قال :

نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجحفة ثم اقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اني لا أجد لنبيٍ إلا نصف عمر الذي قبله ، واني أوشك أن أدعى فأجيب فما انتم قائلون ؟ قالوا : نصحتَ ! قال : أليس تشهدون أن لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ؟ قالوا : نشهد

فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده فوضعها على صدره ، ثم قال: وأنا اشهد معكم . . ثم التفت إليهم فقال : ألا تسمعون !! قالوا : نعم ! قال : فاني فرطٌ على الحوض ، وانتم واردون عليَّ الحوض وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى ، فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين ؟

فنادى منادٍ : وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به ، والآخر عترتي وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض))

فسألت ذلك لهما ربي ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهما فهم اعلم منكم .

ثم اخذ بيد علي (عليه السلام) فقال : منَ كنتُ أولى به من نفسه فعلي وليهُ ، اللهم وآلِ من والاه وعادِ مَنْ عاداه .

وجاء في الصواعق المحرقة ص٧٥ :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو على فراش المرض : أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي ، و قد قدمتُ إليكم القول معذرة إليكم، ألا أني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي .

ثم اخذ بيد علي (عليه السلام) فرفعها ، فقال : هذا عليٌّ مع القران والقران مع علي لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض .

❖ وجاء في فيض الغدير ج٣ ص١٤ : ذكر المناوي : عن السمهودي انه قال: وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة وكلهم قد رووا هذا الحديث .

وقال ابن حجر في صواعقه ص١٣٦ : ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً .

❖ اخرج الحافظ ابن السمّان ، عن قيس بن حازم قال : التقى أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب ، فتبسم أبو بكر بوجه علي ، فقال له [علي] مالك تبسمتَ ؟!!

قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول : لا يجوز على الصراط إلا من كتب له عليٌّ الجواز .

وروى مثل ذلك صاحب الرياض النضرة ، ج٢ ص١٧٧ وفي الصواعق

المحرقة ص ٧٥ وفي إسعاف الراغبين ص١٦١ مثلها .

❖ واخرج الحاكمي عن علي ، كما في الرياض النضرة ج ٢ ص١٧٢، وفي فرائد السمطين ص٥٤ ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، ونصب الصراط على جسر جهنم ، ما جازها احد حتى كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب .

❖ وجاء في المناقب للخوارزمي الحنفي ص٤٢ وفرائد السمطين بـ ٥٤ مثله .

❖ اخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ج٣ ص١٦١ عن ابن عباس قال: قلتُ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول الله للنار جواز ؟

قال : نعم، قلتُ وما هو ؟ قال حبُّ علي بن ابي طالب .

❖ روى الحسن البصري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يجوز أحد الصراط إلا معه براءة بولايته وولاية أهل بيته ، [يعني أبا تراب].

٣. الصحابة يتحدثون

❖ قال عمر بن الخطاب : لولا علي لهلك عمر !!

وقال : لا معضلة إلا ولها أبو الحسن !!

وقال : والله لو وليتموها الاجلح ﴿ يعني علي بن أبي طالب﴾ لحملكم على المحجة الواضحة .

❖ وقال سلمان المحمدي : عليّ أقرب إلى رسول الله ، وأعلم بتأويل

كتاب الله عز وجل وسنّة نبيّه ، ومَنْ قدّمه النبي في حياته ، وأوصى به عند وفاته ،

❖ وقال عمار بن ياسر : إن أهل بيت نبيكم أولى به ، وأحقُّ بإرثه ، وأقوم بأمور الدين ، وآمن على المؤمنين ، واحفظ لملته ، وانصح لأُمته.

عليٌّ أقرب منكم إلى نبيكم ، وهو من بينهم وليكم بعهد الله ورسوله. وأنكم جميعاً مضطرون إليه فيما أشكل عليكم من أمور دينكم إليه ، وهو مستغن عن كل أحد منكم .

❖ وقال أبو ذر الغفاري :

لو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليه سيفان ولقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : الأمر من بعدي لعلي ثم لابنيَّ الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي .

❖ وقال المقداد : إن علي بن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

❖ وقال بريدة الاسلمي : امرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتسمية علي بإمرة المؤمنين . وقوله في عدة أوقات : هذا عليٌّ أمير المؤمنين وقاتل القاسطين .

❖ وقال أبي بن كعب : مثل ذلك !

❖ وقال خزيمة بن ثابت : اشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم .

وقد قلتُ ما علمتُ وما على الرسول إلا البلاغ !

❖ وقال مالك الاوسي وهو ابن الهيثم بن التيهان :

أنا اشهد على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انه : أقام علياً . فقالت الأنصار: ما أقامه للخلافة ، وقال بعضهم : ما أقامه إلا ليعلم الناس انه مولى من كان رسول الله مولاه . وكثر الخوض في ذلك ، فبعثنا رجلاً منا (من الاوس) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه عن ذلك!!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : قولوا لهم : عليٌّ وليٌّ المؤمنين بعدي ، وانصح الناس لأمتي ... وقد شهدتُ بما حضرني .

❖ وقال سهل بن حنيف :

اني أشهد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد رأيته في هذا المكان – يعني الروضة المقدسة – وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب وهو يقول : أيها الناس هذا عليّ إمامُكم من بعدي ووصيي في حياتي وبعد وفاتي ، وقاضي دَيني، ومنجز وعدي وأول من يصافحني على الحوض ، فطوبى لمن اتبعه ، والويل لمن تخلف عنه وخذله .

❖ وقال عثمان بن حنيف : سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدموهم وقدّموهم فهم الولاة من بعدي . ((ولا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون))٢٧ / الأنفال .

❖ وقال أبو أيوب الأنصاري : سمعنا – في مقام بعد مقام لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومجلس بعد مجلس يقول:

أهل بيتي أئمتكم بعدي . . . ويومئُ لعلي ويقول : هذا أمير البررة ،

وقاتل ؟ الفجرة مخذول من خذله منصور من نصره .

قال تعالى : ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا))

الأحزاب:٣٦

❖ وقالت أم المؤمنين عائشة : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن علياً أحب الرجال إليّ وأكرمهم عليّ فاعرفي له حقّه وأكرمي مثواه .

و : أحبُّ الناس إليّ من الرجال عليّ .

و : عليّ أحبهم إليّ وأحبَهم إلى الله .

وقالت : والله ما رأيتُ أحداً أحب إلى رسول الله من علي .

٤. الشجاعة

تتلخص في كلمة أبي الحديد المعتزلي :-

لقد أنسى [علي بن أبي طالب] من كان قبله ، ومحا اسم من يأتي بعده .

وقد كتبنا في ذلك فصلاً كاملاً تحت عنوان : (أبو تراب . . تحت ظلال السيوف)

ولكن قبل ذلك لنسمعه يتحدث ، فيقول :

١. اليومَ أُنطقُ لكم العجماء ذات البيان ، غَرُبَ رأي امرئ تخلّف عني ، ما شككتُ في الحق منذُ أُريتُهُ ، لم يوجس موسى (عليه السلام) خيفة على نفسه ، ولكن أشفق من غلبة الجهّال .

٢. فان أقُل : يقولوا : حَرَصَ على المُلك . وإن أسكت : يقولوا :

جزَع من الموت ، هيهات بعد اللتيا والتي . والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه .

٣. لسنا نرعُدُ حتى نوقع ، ولا نسيل حتى نمطر .

٤. لقد كنتُ ما أهدد بالحرب ، ولا أرهبُ بالضرب ، واني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني .

٥. لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا ذا قد ذرفتُ على الستين .

٦. ما ضعفتُ ولا جبنتُ . . فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحقُ من جنبه .

٧. كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف ، ولم يكن لأحدٍ فيَّ مهمز ، ولا قائل فيَّ مغمز .

٨. والله ما أبالي أدخلت على الموت أو خرج الموت إليَّ .

٩. ما ضعفتُ ، ولا جبنتُ ، ولا وهنتُ ، وأيم الله لأبقرنَّ الباطل حتى أُخرج الحق من خاصرته .

١٠. والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألفُ ضربة بالسيف أهونُ عليَّ من ميتةٍ على الفراش في غير طاعة الله .

١١. ألا وإني أقاتل رجلين ، رجلاً أدعى ما ليس له ، وآخر منع الذي عليه .

١٢. اني والله لو لقيتهم واحداً ، وهم طلاعُ الأرض كلها ، ما باليت ولا استوحشتُ ، واني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه ، لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي .

صدق أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه

٥. الـــورع

قال أبو تراب : وهو يتحدث عن نفسه في هذا المجال :

١. والله لئن أبيتَ على حسكِ السّعدان مسهداً ، وأُجرّ في الأغلال مصفداً، أحبُ إليَّ من ان ألقى الله ورسولهُ يومَ القيامة ظالماً لبعض العباد أو غاصباً لشيء من الحطام .

وكيف أظلم أحداً لنفس يُسرعُ إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها.

٢. وأعجب من ذلك طارقٌ طرقَنا (الأشعث بن قيس) بملفوفة في وعائها، ومعجونةٍ شنأتُها ، كأنما (عُجِنت) بريقِ حيةٍ أوقيئها ، فقلت :

أصلة ، أم زكاة ، أم صدقة ؟

فذلك محرمٌ علينا أهلَ البيت .

فقال : لاذا ولا ذاك ولكنها هدية !!

فقلتُ : هَبلتكَ الهَبُول (المرأة التي لا يعيش لها ولد)

أعن دين الله أتيتني لتخدعني ؟ أمتخبطٌ أم ذو جِنة ، أم تهجر .

والله لو أعطيتُ الأقاليم السبع بما تحتَ أفلاكها على أن اعصي الله في نملة أسلبها جلبَ شعيرة ما فعلتُ .

٣. وإنّ دنياكم عندي لأهونُ من ورقة في فم جرادة تقضمها .

ما لعليٍّ ولنعيم يفنى ، ولذة لا تبقى

نعوذُ بالله من سُباتِ العقل وقبح الزلل ، وبه نستعين .

٤. من كلام كلم به عبد الله بن زمعه ، وهو من شيعته جاء يطلب مالاً :

إن هذا المال ليس لي ولا لك ، وإنما هو فيء المسلمين ، وجلب

أسيافهم ، فان شركتهم في حربهم كان لك مثلُ حظهم ، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم .

٥. من خبر ضرار بن ضمرة الضبائي ، قال :

فأشهدُ لقد رأيته في بعضِ مواقفه وقد أرخى الليلُ سدولهُ وهو قائم في محرابه قابضٌ على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ويقول:

يا دنيا يا دنيا ، إليك عني ، أبي تعرضتِ؟ أم إليَّ تشوقتِ ؟ لا حانَ حينُكِ هيهات ! غُري غيري ، لا حاجة لي فيكِ قد طلقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها :

فعيشكِ قصير ، وخطرُكِ يسير ، وامَلُكِ حقير ، آه من قلة الزاد ، وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد .

فليقف الماضي والحاضر والمستقبل خاشعاً في محراب هذا العظيم وليقبل أعتاب هذا الورع الذي لا نظير له !!!

ثم لنقارن أين سلوك الأتباع من سلوك المتبوع !!!

٦. نكران الذات

قال عليه السلام في ذلك :

١. وطفقتُ أرتأي بين أصول بيد جذَاء أو أصبرَ على طخية عمياء ، يهرمُ فيها الكبير ، ويشيبُ فيها الصغير ، ويكدحُ مؤمن حتى يلقى رَبَّهُ ، فرأيتُ الصبرَ على هاتا أحجى .

٢. فنظرتُ فإذا ليس معي إلا أهلُ بيتي فضننتُ بهم عن الموت ، وأغضيتُ عن القذى ، وشربتُ على الشجى ، وصبرتُ على أخذ الكظم وعلى أمر من طعم العلقم .

٣. فنظرتُ في أمري فإذا طاعتي سبقت بيعتي ، وإذا الميثاق في عُنقي لغيري.
٤. والله لأُسلمن ما سلمتْ أمورُ المسلمين ، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه .
٥. أني والله ما أحثكم على طاعة إلا أسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن معصية إلا أتناهى قبلكم عنها .
٦. لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة ، ولا تفرقهم عني وحشة .
٧. ان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها .
٨. والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم .
٩. والله لقد رقعتُ مدرعتي هذه حتى استحييتُ من راقعها ، ولقد قال لي قائلٌ : ألا تنبذها عنك ؟ فقلتُ : اغرب عني فعند الصباح يحمدُ القومُ السُرى .
١٠. ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعامه بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد فوالله ما كنزتُ من دنياكم تبرا ، ولا ادخرتُ من غنائمها وفرا ، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طمرا ، ولا حزتُ من أرضها شبرا ، ولا أخذتُ إلا كقوت أتانٍ دبرة . (مريضة) .
١١. إنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبُتَ على جوانب المزلق ، ولو شئتُ لاهتديتُ الطريقَ إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودَني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ،

ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمعَ له في القرص ولا عهد له بالشبعَ !! أو أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثى وأكباد حرّى ؟؟!
أو أكون كما قال القائل :

وحسبُك داءً أن تبيتَ ببطنةٍ وحولك أكبادٌ تحنّ إلى القدّ .

[حاشاك سيدي يا أمير المؤمنين]

٧. عاقبة نكران الذات والإيثار

١. أخرج الطبراني بإسناد رجال ثُقات عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض .
الذخائر ص٩١ الرياض ٢١١/٢ مجمع الزوائد ١٣٥/٩ الصواعق المحرقة ١٠٤ .

٢. أخرج أحمد في ((المناقب)) بإسناده عن عبد الله بن إجاره ، قال سمعتُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو على المنبر يقول : أنا أذود عن حوض رسول الله بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين ، كما تذود السقاة غريبة الأبل عن حياضهم .
الطبراني في الأوسط ، مجمع الزوائد ١٣٩/٩ الرياض ٢١١/٢ كنز العمال ٤٠٢/٦ .

٣. أخرج ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن ابن عباس عن رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي : أنت أمامي يوم القيامة ،

فيُدفع إليَّ لواء الحمد ، فادفعه إليك ، وأنتَ تذود الناس عن حوضي .

ذكره السيوطي في المجمع ٦/٤٠٠ وص٣٩٣ عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب عنه صلى الله عليه وآله وسلم : وأنتَ تتقدمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي .

٤. أخرج أحمد في ((المناقب)) بإسناده عن أبي سعيد الخدري ، قالَ : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أُعطيتُ في علي خمساً : هو أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها ، أما واحدة فهو تكأتي بين يدي الله عز وجل حتى يفرغ من الحساب، واما الثانية: فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته ، واما الثالثة : فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من أمتي .

الرياض ٢ / ٢٠٣ وكنز العمال ٦ / ٤٠٣ . مناقب الخوارزمي الحنفي ص ٢٠٣ وفرائد السمطين بـ ١٨ وكنز العمال ٦ / ٤٠٢ .

٥. أخرج شاذان الفضلي بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا علي : سألتُ ربي عز وجل فيك خمس خصال ، فأعطاني :

أما الأولى : فاني سألتُ ربي أن تنشق عني الأرض وانفض التراب عن رأسي وأنت معي ، فأعطاني .

وأما الثانية : فسألته أن يوقفني عند كفة الميزان وأنت معي . فأعطاني .

وأما الثالثة : فسألته أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله أكبر ، عليه المفلحون ، والفائزون بالجنة . فأعطاني .

وأما الرابعة : فسألتُ ربي أن تسقي أمتي من حوضي فأعطاني .
وأما الخامسة : فسألتُ ربي أن يجعلك قائداً لأمتي في الجنة ، فأعطاني . فالحمد لله الذي منّ به عليّ .

٦. أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة في حديث قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأني بك يا علي وأنتَ على حوضي تذود عنه الناس وإنّ عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء، وإنّي وأنتَ والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً على سررٍ متقابلين ، أنت معي وشيعتك في الجنة . مجمع الزوائد ٩ / ١٧٣ .

٧. اخرج الحاكم في مستدركه على الصحيحين ج٣ ص ١٣٨ بإسناده وصححه ، عن علي بن أبي طلحة ، قال : حججنا فمررنا على الحسن بن علي بالمدينة ومعنا معاوية بن حُديج - بالتصغير - فقيل للحسن إن هذا معاوية بن حديج الساب لعلي فقال (عليه السلام) : عليّ به . فأُتي به .

فقال (عليه السلام) : أنت الساب لعلي ؟

فقال : ما فعلتُ !!

فقال (عليه السلام) : والله إن لقيتهُ - وما أحسبك تلقاه يوم القيامة - لتجده قائماً على حوض رسول الله يذود عنه رايات المنافقين بيده عصا من عوسج .

حدثنيه الصادق المصدوق وقد خاب من افترى .

واخرج الطبراني وفي لفظه : لتجدنّهُ حاسراً عن ذراعيه يذود الكفارَ والمنافقين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول الصادق

المصدوق محمد وقد خاب من افترى !!!

٨. العلم

أخرج الحفّاظ من حديث فاطمة (عليها السلام) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لها : زوجتُكِ خير أهلي أعلمهم علماً وأفضلهم حلماً .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : اعلم أمتي من بعدي عليُّ بن أبي طالب .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : أعلم الناس – يعني علياً – بالله وبالناس .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي لك سبع خصال : وعَدَّ منها : وأعلمهم بالقضية .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : انه – يعني علياً – أعلم الناس بالسنة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : أعلم أمتي بالسنة والقضاء بعدي علي بن أبي طالب .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : أعلم أمتي بعدي علي بن أبي طالب .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي [عليٌّ] تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً .

واخرج الحفاظ عن علي انه قال :

والله ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيمَ نزلت وعلى مَن نزلت ، وإن ربي وهبَ لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً .

قال أبو الطفيل : شهدتُ علياً يخطب وهو يقول : سلوني من كتاب الله – وفي كتاب الإصابة في معرفة الصحابة – سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله– فوالله ما من آية إلا وأنا أعلمُ أبليل نزلت أم نهار ، أم في سهل أم في جبل ولو شئتُ أوقرتُ سبعين بعيراً من سورة الفاتحة .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : عِلم رسول الله من علم الله تبارك وتعالى، وعلم علي رضي الله عنه من علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلمي – ابن عباس– من علم علي ، وما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في علم علي رضي الله عنه إلا كقطرة في سبعة أبحر .

وقال ابن عباس : لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم . وأيم الله لقد شارك الناس في العشر العاشر .

وكان معاوية يسأله ويكتب له فيما نزل به فلما توفي علي بن أبي طالب قال معاوية بن أبي سفيان :

لقد ذهب الفقه والعلم بموت علي بن أبي طالب .

وسئل عطاء : أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحد أعلم من علي ؟ قال : لا والله ما أعلمه .

وقال عبد الله بن مسعود :

إن القران نزل على سبعة أحرف ، ما فيها حرفٌ إلا وله ظهرٌ وبطنٌ ، وإن علياً عنده علم الظاهر والباطن .

ولو جمعنا أقوال الحفاظ لجاء بمجلد يربو على الألف صفحة .

وقد جاء نضير ذلك في :

حلية الأولياء ج١ ص٦٥-٦٦ ، ص٢٨

كنز العمال ج٦ ص١٥٣ ، ١٥٦ ، ٣٩٦-٣٩٨

كفاية الكنجي ج ص٩٠ ، ١٩٠

الإصابة ج٢ ص٥٠٩

رياض الطبري ج٢ ص ١٩٣ وذخائره ص٧٨

ابن عبد البر في الاستيعاب ج٣ ص ٤٠

مناقب الخوازمي الحنفي ص٤٩ فرائد السمطين بـ ١٨

والحمد لله رب العالمين

٩. الشجاعة والموقف

قال ابن كثير في تفسيره : في تفسير قوله تعالى : ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)) آل عمران: من الآية١٤٤

وقال أبو القاسم الطبراني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن علياً كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفائن . . . أعقابكم)) : والله لا ننقلبُ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، والله لئن ماتَ أو قُتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت والله اني لأخوه ، ووليه ، وابن عمه ، ووارثه ، فمن أحقُّ به مني ؟ !

١٠ . النتيجة

قال تعالى : ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)) المائدة: ٥٥ / ٥٦ .

فتكون الولاية لله مصدر الإرادة ومصدر التشريع ، ولرسوله منفذ هذه الإرادة وهذا التشريع ، ولأمير المؤمنين الذي تحددت صورته في الآية حين تصدق بخاتمه الشريف حين ركوعه وهو نفس رسول الله .

بذلك تكون الولاية لأبي تراب الإنسان ...

أبي تراب المعلم والمربي والموجه بالحق والى الحق ...

أبي تراب المعصوم بدليل آية التطهير ...

ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدليل آية المباهلة ...

ذي المودة المفروضة بدليل آية المودة ...

والمؤثر على نفسه والمنكر لذاته بدلالة ((هل أتى)) .

لذا كان وجوب الإتباع لأبي تراب والانقياد له ، والاستماع إلى آرائه صوتاً وصدى وإتباع طريقه وسلوكه خطوة خطوة . حيث قال (عليه السلام) : هلك من أدّعى ، وخاب من افترى من أبدى صفحته للحق هلك (مَن كاشف الحق مخاصماً له مصارحاً له بالعداوة هلك)

وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره ، لا يهلك على التقوى سنخُ (منبت) أصل ولا يظمأ عليها زرعُ قوم .

فاستتروا ببيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم ، ولا يحمدُ حامد إلا ربه ، ولا يَلُم لائمُ إلا نفسه .

وحين نقع بما وقعنا فيه ، ونبتلي بما ابتلينا فيه فيشكر السلبي وينحسر الايجابي ، نسمع أبا تراب يحدثنا من وراء السنين .

هنالك يستطيع الإنسان أن يلتمس طريقه بين ركام الأخطاء فيكون (متعلماً على سبيل نجاة) وقدوة صالحة لغيرِه .

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم عليه توكلت واليه أنيب .

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين

.

الناصرية

غرة شوال ١٤٢٤ هـ

محمد حسن عليوي الخضري

مُقدّمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)(الروم: ٥٤)

حينما يصل الانسان الى درك الضعف فيتشتت الفكر ، وترتعش اليد ، يهرب من واقعه الذي يعيشه الى أيام الذكريات ، أيام قوته ، فيقلّب اوراقاً مطوية وينقّل الطرف بين عناوين منسية، علّهُ يجد بين ثناياها ما يخفف عنه وطأة الضعف الذي يعيشه ، فتنتشي روحه ، ويسري دم جديد ـ كما يتخيله ـ في عروقه، وتأخذه قشعريرة الانتماء الى البقاء ، ليمني النفس بالابتعاد عن الفناء الذي هو صائر إليه لامحالة .

وذلك لان الانسان حين يفعل ذلك يطلبُ من الفناء البقاء . ويصك أسماعنا قول أبي تراب : ((فأن الغاية أمامكم ، وإن وراءكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فانماينتظر بأولكم آخركم)) .

ولما علمت كل ذلك قلّبت أوراقي ، اوراق حياتي ، ووجدت بينها ورقة كتبتها في قمة عطائي عند شبابي ، مكتوب عليها ((هكذا تحدث أبو تراب)) ، وأجلت النظر فيها فوجدت فيها أموراً :

الأول : أن الشاب يريد أن يظهر للعالم ويريد أن يشار إليه بالبنان وإن لم يكُ شيئاً ، فانه يفعل هذا ويكتب ذاك ويتصوّر أنه دخل الدنيا من أوسع أبوابها ولكنْ واقعه يقول له : إنك لاتزال على الصفر من بداية الطريق ، فامش الهوينا كي لا تعثر ، وإن سقطت أو تدحرجت فلا أحد يعطيك يده لينتشلك.

والثاني : أن هذا الكتيب وثيقة تدين نظاماً يحصي على الناس أنفاسهم ، يقيد الفكر ، ويوثق حرية الرأي ، ويتجسس على خلايا الدماغ ليمنعها من أن تَنضح ما فيها .

فأخذ الرقيب مقراضه ﴿ قلمه ﴾ ليقطع ما يضره ، وما لا يضره . وما يؤذيه ومالا يؤذيه، لا لشي إلا أنه يريد أن يثبت للآخرين انه ينتمي للنظام.

والثالث : أن هذا الكتيب على صغره ، وما فيه فأنّهُ كلام سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام صار اسماً ثانياً لي يقرن باسمي ، فاذا ما قيل (فلان) قالوا : "هكذا تحدث أبو تراب "

وفوق كل هذا وذاك ، ولما وجدتُ ـ وكما تحدث ابو تراب ـ ((انما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، واحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، ويتولى عليها رجال رجالاً، على غير دين الله فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق، لم يخفَ على المرتادين ولو أن الحق خلص من لبس الباطل ، لانقطع عن ألسن المعاندين ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ، ومن هذا ضغث فيُمزجان، فهنالك يستولي الشيطانُ على أوليائه ، وينجوا الذين سبقت لهم من الله الحسنى)) طمعتُ في أن أعيد ذاكرتي وأجدد نشاطي واوقد شمعة جديدة على الطريق ليهتدي أبنائي الشباب على ضوء ((أبي تراب)) فيجدوا أنفسهم واضحة لعيانهم على هذا الضوء فيصححوا الانحراف ويقوموا الاعوجاج ، ويستمروا على الصراط الحق ونهج العدل ، كل اولئك يقوم على هذا الضوء من سنا نور ((أبي تراب)) فيفرضوا أنفسهم على الحياة فكراً ناصحاً وسلوكاً قويماً وتديناً واقعياً بعيداً عن دكتاتورية الغوغاء، وعن طمس معالم الحقيقة .

من أجل ذلك كله دفعت بهذا الكتاب المصاغ على نهج ((أبي تراب)) ليطبع الطبعة الثانية ، وخاصة حينما رأيت أنه لم يبق من العمر إلا صُبابة كصُبابة الإناء فعجلت بذلك ، لأني أرى فيه شبابي الفاني.

فالشكر لله كل الشكر على نعمائه التي لا تحصى .. وله الحمدُ كل الحمد على آلائه التي لا تعد ، ومنها أنه أبقاني لهذهِ الأيام التي - وكما قيل - : لم أرى مثلها ولم تفتني.

وله الثناء الجميل حيث وفقني لأُعيد طبع هذا الكتيّب لعل الله سبحانه وتعالى يجعلهُ سبباً لهداية فرد واحدٍ ، فأكون من الفائزين برحمته إنه أرحم الراحمين

وأتمنى من الله تعالى أن يهديني ، ويهدي أبنائي الشباب إلى أن يقرأوا كتاب ((نهج البلاغة)) قراءة دقيقة متفحصة ، وأن يختموه كما يختمون المصحف الشريف . فان ضالتهم ينشدونها فيه ، في الامور كلها ، وليسمعوا أبا تراب يناديا جميعاً من وراء السنين :

((... مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح ، ونُسَاكاً بلا صلاح ، وتجاراً بلا أرباح ، وأيقاضاً نوَماً ، وشهوداً غيباً ، وناظرة عمياء ، وسامعةً صمَاء ، وناطقةً بكماء ؟!! رأيتُ ضلالة قد قامت على قطبها ، وتفرقت بشُعبها تكيلكم بصاعها .. قائدها خارجٌ عن المِلّة ، قائمٌ على الضلّة ، ، فلا يبقى يومئذٍ منكم إلا ثفالةٌ كثفالة القدر ، تعرككم عرك الأديم ، وتدوسكم دوس الحصيد ، وتستخلص المؤمن من بينكم إستخلاص الحبة البطينة من بين هزيل الحب .

أين تذهب بكم المذاهب ، وتتيه بكم الغياهب ، وتخدعكم الكواذب؟!! فعند ذلك يأخذ الباطل مآخذه ، وركب الجهل مراكبه ،

وعظمت الطاغية ، وقلّت الداعية.. وتواخي الناسُ على الفجور ، وتهاجروا على الدين ، وتحابّوا عل الكذب، وتباغضوا على الصدق ..

فاذا كان ذلك كان أهل ذلك الزمان ذئاباً ، وسلاطينه سباعاً، وأواسطُهُ أكّالاً ، وفقراؤه أمواتاً ، وغار الصدق ، وفاض الكذبُ . واستعملت المودة باللسان ، وتشاجرت الناسُ بالقلوب . وصار الفسوق نسباً ، والعفافُ عجباً ، ولبس الإسلام لبسَ الفروة بالمقلوب)) صدق أمير المؤمنين عليه السلام !

فاني قد لازمتُ كتاب نهج البلاغة ملازمة القرآن ((وأما بنعمة ربك فحدث)) منذ نعومة أظفاري ، وأختمه مع القرآن في الشهر مرة .. وما أن أُعيد قراءته حتى أجد فيه من الامور العجيبة جديداً لم ألحظه في قراءتي السابقة، تماماً، كما أجد ذلك في المصحف الشريف ((وما فرطنا في الكتاب من شئ)).

من أجل ذلك كله أعدتُ طبع هذا الكتيّب والله وحده الهادي الى سواء السبيل، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم عليه توكلتُ واليه أُنيب .. والحمد لله رب العالمين

الإثنين ٢١ تموز ٢٠٠٣ م
٢١ جمادى الاولى ١٤٢٤ هـ

الناصرية
محمد حسن عليوي الخضري

مقدمة الطبعة الأولى:

انبعث نور دافيء بعث الامل في النفوس من قلب الجزيرة العربية ليلفها بحنان، ويملأها قوة ، ثم طاقة دافعة الى مستقبل أحسن ، الاساس فيه كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة، والهدف منه رضا الله سبحانه، ليكون النتيجة خير البشرية وسعادتها في الدارين.

ذاك هو نور محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم تحول هذا النور الى قوة دفع هائلة قلبت نظاماً جاهلياً بجميع مقوماته وصيرته مجتمعاً تسوده ألفة الاسلام واخوة الايمان

وسار النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بخطىً ثابتة واسعة نحو خلق هذا المجتمع ـ سلوكياً ـ خلقاً جديداً ، وتسليحه بسلاح الاخلاق العالية المثالية التي بها تسود الأمم، حيث تأخذ بيد المجتمعات المتطلعة للنور الى مراقي التقدم والازدهار .

ولبى النبي الأكرم نداء ربه واختار مجاورته بعد أن رسم الخطوط العريضة للدولة الجديدة ووضع أسس سياستها واقتصادها ، وارسى قواعد مجتمعها الجديد، وبعد زهاء ربع قرن من رحيل النبي الأعظم أنطلق صوت الحق يعلن انحراف المجتمع عن الخط الذي رسمه الله سبحانه وتعالى للبشرية وبلغها عنه لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كقاصفة الرعد ينذر ويحذر، يرغب ويرهب.. ذاك هو صوت أبي تراب ..

حيث خلد الله تلك الاقوال والافعال المنبثقة عن النور الأول للرسالة فاختزنتها ذاكرة البشرية عبر القرون .

وحاولت في هذا الكتاب " هكذا .. تحدث ابو تراب " أن آخذ مما تحدث به ابو تراب ـ علي بن ابي طالب عليه السلام لأسلط أنواراً كاشفة

على مسيرتنا في الحياة ومدى انتظام خطواتنا ، وصحة معالجتنا لقضايانا ، ولنلاحظ جمعياً خطورة الاهداف التي من أجلها نحيا.. حيث سرت مع أبي تراب في موكب الخالدين، بعد ان عرفت سبب تسميته بهذا الاسم ، لنأخذ قبساً من نور ايمانه ونضيء به دروب العمل من أجل عقيدتنا .. ثم تحدثتُ بعد ذلك عن مؤهلات القائد الذي يصلح للأخذ بزمام الدولة الاسلامية - وهي مؤهلاته نفسه عليه السلام - والصفات الواجب توفرها فيه ليصلح لهذا المنصب .

ويجد القارئ بين ثنيَات البحث معالجات لبعض القضايا الحياتية التي يحياها المسلمون اليوم سلباً أو ايجاباً.

وعالجت النظرية التربوية عند " أبي تراب " من خلال أقواله نظرياً وافعاله وسلوكه اليومي عملياً . وختمت البحث بما ذكره جامع النهج قدس سره مما كان يدعوبه عليه السلام ليكون مسك الختام

واني لأعتقد مخلصاً أن هذا الكتاب سيسهل على طالبي الحقيقة من شبابنا المتعطش لها الغوص في محيط اقوال " أبي تراب" ليستخرجوا لؤلؤ الحقائق منه، وسيساعدهم ذلك على الارتشاف من مناهل حياته - عليه السلام - العذبة ، وهناك يمكنهم أن يقوّموا انفسهم بأنفسهم في جميع مجالات تقويم النفس ومن ثم المجتمع

محمد حسن عليوي الخضري

٢٠ /٨/ ١٩٦٨

أبــو تــراب ...

كيفَ جاءَتْ تسميتهُ ؟؟

عين ثرة يزيدها جمالاً ما ينطبع على صفحتها الرقراقة من ظلال النخيل ، ومن كان عليه....حيث تسلق النخيل رجال يأبرونه .. وفي اثناء عملهم كانوا يتحدثون برفق تارة وبجدل عنيف اخرى عن الدين الجديد الذي ظهر في ربوع مكة ،وعن ذلك الرجل البهي الطلعة، المنعوت بالصادق الأمين، الذي اكتسح أمامه العادات الجاهلية وغرس مكانها فضائل زينت العباد وأضاءت البلاد ﴿ فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعز الأرومات مغرساً ، من الشجرة التي صدع منها انبياءه وانتخب منها أمناءه، عترته خير العتر ، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرم ، وبسقت في كرم، لها فروع طوال وثمرة لاتنال ، فهو إمام من اتقى ، وبصيرة من اهتدى ، سراج لمع ضوءه ، وشهاب سطع نوره ، وزند بَرَقَ لمعه ، سيرته القصد ، وسنته الرُشد، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل ، على حين فترة من الرسل ، وهفوة عن العمل ، وغباوة من الأمم ﴾ ذلك الرجل الذي صدقه من قومه اكثرهم فطنة وحاربه منهم اكثرهم عصبية وحقدا.

وبينما هم كذلك واذا بهم يسمعون جلبة وصكصكة وصهيلاً.. وأداروا الرؤوس مستفهمين عمن حل بفنائهم . .

وما هي إلا لحظات لم يتح لهم خلالها الاستفسار ، وإذا به الرجل الذين كانوا يتحدثون عنه قبل هنيهة ، وعن نظامه الجديد الذي فرضه بقوة الله تعالى على العرب، يقود جماعة من عسكره ، وقد أناخ رحله قرب هذه العين في ((العشيرة)) .

وما أن أخذ الوافدون قسطاً من الراحة حتى انسل اثنان منهم الى

حيث يعمل البستانيون ليريا كيف يعملون ! .. وكان المنسلان علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر .

وبعد أن سلّما على القوم وتأملا العمل ساعة ، غشيهما نعاس ، فانطلقا بعيداً عن((بني مدلج)) إلى منابت صغار النخل يتخللها التراب اللّين ، فاضطجعا هناك ، فناما ، ومكثا غير بعيد، وما أحسّا إلا والرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم يوقضهما بلمسات رقيقة من يده الطاهرة، وهو جالس عند رأسيهما . فاستيقظا .. وطفقا يزيلان ماعلق بهما من تراب. فقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي وهو يداعبه : مالك يا أبا تراب؟؟

لما يرى عليه من تراب ، وجعل صلى الله عليه وآله يمسح التراب عن ظهره وهو يقول:

آلا احدثكما بأشقى الناس رجلين ؟

فقالا : بلى يارسول الله !

قال، صلى الله عليه وآله وسلم :أحيمرثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك ياعلي على هذه (ووضع يده على قرنه) حتى يبل منها هذه (وأخذ بلحيته) !!

ثم عاد الثلاثة الى المعسكر .

ومن هنا كُنّي علي بن ابي طالب عليه السلام بأبي تراب وكانت من أحب كناه صلوات الله عليه ، اليه ، وكان يفرح اذا دعي بها ، لذلك دعت بنو أمية خطباءها أن يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له ووصمة عليه ، فكأنما كسوه بها الحلي والحلل.

عرفنا من هو ابو تراب ؟ فلنواكبه لحظات فى دروب حياته .. ثم نستمع اليه وهو يحدثنا عن نفسه .

أبو تُراب . . .

في مواكب . . .

الخالدين !!

أبــو تــُراب..

فــي مواكب الخالدين

كنت أنصت بخشوع تعبدي لقارئ المصحف الشريف وهو يُرتَل، وكنت أخوض من خلال الآيات التي يتلوها آفاقاً علوية ، وكأني في تلك اللحظات قد تجردت من ناسوتيتي، ودخلت عالماً آخر لا علاقة مكانية لي به، ووجدتني ذا علاقة روحية معه . تحللت من صخب المادة وضجيج المدنية الى هدوء الروح وسلام الفكر ..

المقرئ يرتل وكأنه يناجي عواطفي وأحاسيسي الروحية ، لا جسدا ماديا له طهره ونزغه.. كان يتلو آيات من السورة التي يذكر فيها (آل عمران) وكنت لحظتئذٍ خارجاً عن نطاق تدبر الآيات الى حيز النشوة فيما ينساب على مسامعي من عذب القول.

وما أن وصل الى :

((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ))

هنالك وقفت على رابية من روابي التفكير كي أطل ومن خلال نافذة خاصة من نوافذ التاريخ ، على بيت عتيق رفع قواعده ((الخليل)) وجعله الله بيتاً مطهراً للطائفين والعاكفين والركع السجود فكان حرماً آمناً.. وحامت روحي حول المكان أتأمل "واسأل؟ ما هي اللحظات السامية الشامخة في حياتك أيُهاذا المكان ؟ فأنت الذي وقفت صامداً وبالأباء كله أمام راكبي الفيلة والجمال على السواء ! وأنت الذي قمت وبالشموخ كله لتهز عواطف العرب وتدفعهم دفعاً في دروب الرقي والتقدم حتى سادوا العالم بالإسلام وبتعاليمه .

أجابني على بعد الشقة ؛ وطول المسافة ، مكاناً، وزماناً:

لحظة سمعت فيها صوت امرأة داهمها المخاض فانشق لها ركني، وانزوت داخلي .. بعدها سمعت صوت طفل استقبل الحياة مبتسماً، وكأنه يقول للبشرية :

ولدت من أجل العمل بالحق وللحق وفي سبيل الله ..

ولدتُ لأرفع راية تقدم الإنسانية وازدهارها..

ولدتُ وفي يدي مشعل من نور العلم يضيء فيملأ الخافقين، وفي كياني شعلة الأيمان ..

ولدت وفي قلبي أمل كبير في أن تعمل البشرية مجتمعة من أجل الخير والفضيلة ، وتحارب بلا هوادة الشر والرذيلة..

غلقت كوة التاريخ لأسترجع ما قال لي البيت العتيق ،، ولأتعرف على هذا العظيم !!

انه عليُ بن أبي طالب عليه السلام

وأخذت أُمعن النظر في هذا المولود الجديد ببصيرتي ، فما أجدني إلا أن أتساءل:

من ذا الذي يدانيه او يقاربه ؟

من ذا الذي أثر به ورسم له خطوط حياته العريضة ؟

من ذا الذي يسير على خطه ويتأثر به ؟

وصمتتُ !

صمتتُ في خشوع أمام هذه الطلائع الفكرية التي تجللها انوار الرسالة المحمدية البيضاء ، والتي ستخلق تاريخاً قائماً على قدميه لذاته وبذاته. وستجد فكراً أصيلاً غير مشوب بافلاطونية قديمة ولا حديثة .

وستطلق روحاً محلقة في أجواء الحقيقة لايقرب منها شيء الاّ ونال

قبساً من نورها .

وتأملت هذه العظمة التي طرقت باب الدنيا بقبضة الايمان،وأشاعت فيها الطمأنينة ببسمة العقيدة، وأضاءت آفاقها بنور الهداية .

وفتحت كوة التاريخ ثانية لأنظر اليه وهو يحبو في رحاب مكة ثم ينشأ ويترعرع ويقف على قدميه ويسرح النظر فيما حوله .. يتجول في ربوع مكة، وبعد أن تتعب قدماه يقف ناظراً الى القوم وهم عاكفون على تماثيل ينحتونها بأيديهم يعبدونها وهم مدركون انها لاتدفع عنهم ضراً ولاتجلب لهم نفعاً، فيلوي مبتعداً عنها وكلّه اشمئزاز مما يرى ، وضميره يصرخ بين جنبيه((لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)) .

ويذهب الى بيته ليجد أباه ـ أبا طالب ـ مبتئساً من ضيق ذات اليد ، فينعزل عن أهله متخذاً مكاناً قصياً.. بعدها يجد نفسه يتقلب في فناء دار خديجة كي ترعاه بدلاً عن أمه فاطمة بنت أسد ويجد ابن عمه خير المربي بدلاً عن أبيه أبي طالب.

ونراه بعد ان استقر به الحال مع ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله يرقب باهتمام لانظير له جميع مايصدر عنه ، ويحاول ان يأخذ من الحركات والسكنات والافعال والاقوال دروساً عملية يتسلح بها لما يأتي من أيام، فهو يرى الوداعة والطيبة، والقوة والخشونة في سبيل الله ، والصدق والعفاف ، والنبل وطهارة الروح والقلب واليد، يرى الفضيلة مجسدة في ركاب انسان قَدْ قُدّ من فضيلة ، فكان ابو تراب يستوعب وبكل دراية ووعي كل الذي يراه يصدرعنه صلى الله عليه وآله وسلم.

وهنا كان لزاماً أن نستمع الى أبي تراب وهو يتحدث عن فترة ماقبل البعثة وما بعدها، وكيف كان يصف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

وسلم :

﴿ وأشهد أن محمد عبده ورسوله أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنورالساطع ، والضياء اللامع ،والأمر الصادع، ازاحة للشبهات، واحتجاجاً بالبينات ، وتحذيراً بالآيات ، وتخويفاً بالمثُلات، والناس في فتنٍ انجذم فيها حبلُ الدين ، وتزعزت سواري اليقين واختلف النجر (أي الأصل)، وتشتت الأمر ، وضاق المخرج وعُمّي المصدر، فالهدى خامل ، والعمى شامل : عصي الرحمن ، ونصر الشيطان، وخذل الايمان ، فانهارت دعائمه ، وتنكرت معالمه، ودرست سُبله (أي انطمست طرقه)، وعفَت شُرُكه ، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله ، بهم سارت أعلامه وقام لواؤه، في فتن داستهم بأخفافها، ووطئتهم بأظلافها ،وقامت على سنابكها؛ فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دار ، وشر جيران ، نومهم سُهاد، وكحلهم دموع، بأرضٍ عالمُها ملَجم، وجاهلها مكرم .﴾

﴿ إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشرالعرب على شر دين، وفي شر دار منيخون بين حجارةٍ خشنٍ، وحيّات صَم، تشربون الكدِر ، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون ارحامكم، الاصنام فيكم منصوبة ، والآثام بكم معصوبة.﴾

﴿ ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس احدٌ من العرب يقرأ كتاب، ولايدّعي نبوَة، فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم، وبلّغهم منجاتهم.﴾

﴿ ارسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعه من الأمم، واعتزام

من الفتن، وانتشار من الأمور ، وتلظ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور، على حين إصفرار من ورقها ، وأياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست منار الهدى ، وظهرت اعلام الردى، فتجهمت لأهلها، عابسة في وجه طالبها؛ ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف ، ودثارها السيف ، فاعتبروا عباد الله !

﴿ بعثه والناس ظلال في حيرة وخابطون في فتنة ، قد استهوتهم الاهواء ، واستزلتهم الكبرياء ، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء . حيارى في زلزال من الأمر ، وبلاء من الجهل . فبالغ صلى الله عليه وآله وسلم في النصيحة ، ومضى على الطريقة، ودعا الى الحكمة والموعضة الحسنة . ﴾

﴿ بعثه بالنور المضيء، والبرهان الجلي ، والمنهاج البادي، والكتاب الهادي، أسرته خير أسرة ، وشجرتهُ خير شجرة : أغصانها معتدلة ، وثمارها متهدلة ، مولده بمكة ، وهجرته بطيبة علا بها ذكره ، وامتد بها صوته .

أرسله بحجة كافية وموعظة شافية ، ودعوة متلاقية ، أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدولة ، وبين به الاحكام المفضولة ، فمن يتبع غير الاسلام ديناً تتحقق شقوته ، وتنفصم عروته ، وتعظم كبوته ، ويكون مآبه الى الحزن الطويل، والعذاب الوبيل .﴾

﴿ مستقره خير مستقر ، ومنبتة أشرف منبت ، في معادن الكرامة، ومماهد السلامة قد صرفت نحوه أفئدة الابرار، وثنيت اليه أزمة الأبصار ، دفن به الضغائن، وأطفأ به الثوائر،ألف به اخواناً، وفرق به أقراناً، أعز به الذلة ، وأذل به العزة ، كلامه بيان، وصمته لسان .﴾

﴿ قد حقر الدنيا وصغرها، وأهونها وهونها ، وعلم أن الله زواها عنه

اختياراً وبسطها لغيره احتقاراً فأعرض عنها بقلبه ، وأمات ذكرها عن نفسه، وأحب ان تغيب زينتها عن عينه ، لكيلا يتخذ منها رياشاً، أو يرجو فيها مقاماً، بلغ عن ربه معذراً، ونصح لأمته منذراً ودعا الى الجنة مبشراً .﴾

﴿ فان الله جعل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم علماً للساعة ، ومبشراً بالجنة، ومنذراً بالعقوبة ، خرج من الدنيا خميصاً ، وورد الآخرة سليماً ، لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله ، وأجاب داعي ربهِ، فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفاً نتبعه، وقائداً نطأ عقبه (أي: مبالغة في الاتباع).﴾

﴿ أرسله على حين فترة من الرسل ، وتنازع من الالسُن فقفى به الرسل وختم به الوحي، فجاهد في الله المدبر عنه ، والعادلين به.﴾

﴿ ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته ومن طاعة الشيطان الى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه ، وليعلم العباد ربهم إذْ جهلوه ، وليقروا به إذْ جحدوه ، وليثبتوه بعد إذْ انكروه. فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته ، وخوفهم من سطوته ، وكيف مَحَقَ مَنَ مَحَق بالمثلات (أي العقوبات) واحتصد مَنْ احتصد بالنقمات .﴾

﴿ فصدع بما أمر به، وبلّغ رسالات ربه ، فلمّ الله به الصدع، ورتق به الفتق، وألف به الشمل بين ذوي الارحام ، بعد العداوة الواغرة في الصدور، والضغائن القادحة في القلوب.﴾

ثم كانت العزلة التي اعتزل بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم لتأمل الكون ومافيه ومن فيه والقدرة المهيمنة عليه، بما أُتيَ من صفاء روح وتوقد ذهن،يفتش عن ذاته في ذات الكون، وفي الكل عن الذات الواجبة الوجود.

وكأن أبا تراب هو المعني بهذه العزلة فكان يعتزل الآخرين معه .

وينزل الوحي واذا بالرعدة التي تسري في جسد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم تسري في كيانه ، ويسمع منه ما جاء به الوحي، اقرأ ، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر ويستوعب ابو تراب كل ما يسمع . فيقول صلى الله عليه وآله وسلم له : إنك تسمع ما أسمع ، وترى ما أرى إلا أنك لستَ بنبي !!!

ويعلن أبو تراب إسلامه ، فهو الذي ولد على الفطرة ، ولم تلوث الوثنية شيئاً من روحه ولا عقله ، فكرم الله وجهه عن السجود لصنم او وثن، كما كرّم الله روحه وعقله عن التفكير والتاثر بشيء سوى العقيدة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

تحدث أبو تراب عن هذه الفترة فقال :

﴿ وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولدٌ ، يضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه،ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبه في قول ،، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن ان كان وليداً ملك من ملائكته، يسلك به طرق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره . ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه ، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولايراه غيري.

ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وانا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة ، واشم ريح

النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : يارسول الله ماهذه الرنة ؟ فقال : هذا الشيطان أيس من عبادته. انك تسمع ما اسمع، وترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبي ولكنك وزير وأنك لعلى خير.﴾

وماذا عن الإسلام ؟

لنستمع الى أبي تراب وهو يحدثنا عنه..

﴿ إن الله تعالى خصكم بالاسلام ، واستخلصكم له ، وذلك لأنه اسم سلامة ، وجماع كرامة، اصطفى الله تعالى منهجه ، بين حججه ، من ظاهر علم ، وباطن حكم ، ولا تفنى غرائبه ، ولا تنقضي عجائبه ،فيه مرابع النعم، ومصابيح الظلم ،لا تفتح الخيرات الا بمفاتيحه ، ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه ، قد أحمى حماه ، وارعى مرعاه ، فيه شفاء المشتفي، وكفاية المكتفي .﴾

﴿ ثم أن هذا الاسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه، واصفاه خيرة خلقه، وأقام دعائمه على محبته ، أذل الاديان بعزته ، ووضع الملل برفعته ، وأهان أعداءه بكرامته ، وخذل محاديه بنصره ، وهدم اركان الضلالة بركنه ، وسقى من عطش من حياضه وأتاق الحياض لمواتحه (أي ملا الحياض لمن يريد ان يأخذ منها الماء)، ثم جعله لا انفصام لعروته ولافك لحلقته ، ولا انهدام لاساسه ، ولا زوال لدعائمه ، ولا انقلاع لشجرته، ولا انقطاع لمدته ، ولا عفاء لشرائعه (اي ولا اضمحلال لقوانينه)، ولا جذٌ لفروعه ، ولا ضنك لطرقه ، ولا وعوثة لسهولته، ولا سواد

لوضحه ، ولا عوج لانتصابه ،ولا عصل في عوده ، ولا وعث لفجه ، ولا انطفاء لمصابيحه ، ولا مرارة لحلاوته . فهو دعائم اساخ في الحق أسناخها (أي اصولها) ، وثبت لها أُسسها ، وينابيع غَزَرت عُيونها ومصابيح شبت نيرانها، ومنار اقتدى بها سفّارها ، وأعلام قصد بها فجاجها، ومناهل روى بها ورّادها : جعل الله فيه منتهى رضوانه ، وذروة دعائمه ، وسنام طاعته ؛ فهو عند الله وثيق الأركان، رفيع البنيان ، منير البرهان ، مضيء النيران، عزيز السلطان ، مشرف المنار ، معوز المثار. فشرّفوه واتبعوه، وأدوا اليه حقه ووضعوه مواضعه ﴾

﴿ الاسلام هو التسليم ، والتسليم هو اليقين ، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الاقرار ، والاقرار هو الأداء ، والأداء هو العمل .﴾

ويقف التاريخ في محراب الفكر العقائدي مسبحاً بحمد العقلية الفذة التي وُهبت لأبي تراب العظيم من حداثته ، فانظر اليه حينما يعلن إسلامه ويطلب منه صلى الله عليه وآله وسلم مشاورة أبيه ، ابي طالب ، بذلك فيجيب :

﴿ لقد خلقني الله من غير أن يشاور أبا طالب فما حاجتي أنا الى مشاورته لأعبد الله ؟﴾

❖ ❖ ❖

وهنا غلقت كوتي ، ورجعت لواقعي بعد أن رفرفت روحي عاليا ، كي اعيش مع الذين يعشيون في عليين ، رجعت لواقعي وصرخت من أعماقي :

كيف يدين المسلمون اليوم بعقائد بعيدة الجذور عنهم ؟ غريبة عن فطرتهم السليمة النقية ؟ ! عقائد ما انزل الله بها من سلطان دون استيعاب

لدقائقها ، التفكير فيما يراد بها ومنها!!

كيف يدين هؤلاء بمثل هذه الافكار الغريبة دون دراسة او وعي ؟ دون تصفية لها او تمحيص !! وكم كانت رغبتي ملحَة في ان أصرخ في وجه كل من ألاقيه :انظر لهذا الصبي العظيم وهو يحدث إبن عمه هذا الحديث الحر الذي يتناسب مع كرامة الانسان ، انها العظمة بعينها ، عظمة حرية الفكر ، عظمة السمو في استيعاب العقيدة وهضمها ومن ثم التسليم بها ، والعمل من اجلها، عظمة الابتعاد عن التقليد والاتباع بلا وعي.. فياله من درس عميق الاثر لهؤلاء الذين يتمشدقون بافكار غير كاملة الاختمار في الاذهان نظرياً فضلا عن مجال التطبيق عملياً .

❖ ❖ ❖

استمع اليه وهو يحاور أباه ، أبا طالب ، عندما يسأله عن التغيير الجديد الذي طرأ عليه: فيخبره بما عرض عليه الرسول الامين صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف انه صدّق ابن عمه بما عرض واسلم، فيجيبه مؤمن قريش :

أما انه لم يدعكَ إلا الى خير فالزمه!

ومرت الايام حثيثة ، تحمل بين طياتها تطورات عقائدية هامة في حياة الثورة الجديدة..

وامر الله سبحانه وتعالى نبيه الامين بالصلاة ...

وعلمه جبرئيل (عليه السلام) كيفية ادائها..

بعد ذلك اخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج وبصحبته علي (عليه السلام) الى شعاب مكة ليؤدياها ، وفي الوقت الذي كانت قريش عكّفاً على اصنامها.

وابو تراب عندما كان يخرج مع النبي الكريم ليؤدي الصلاة ـ وقبل كل الناس بتسع سنين- كان يتذوق حلاوتها ، ويجد فيها لذة ما فوقها لذة ، ونشوة يتصل فيها بالملأ الاعلى . فهو كان يصلي لا لأن الصلاة واجبة وحسب ، ولكنه يؤديها لأنها امتزجت مع روحه فكان يرقب وقتها ليشرح بها صدره ، كانت صلاة الاحرار. كان يفكر: ببدء الصلاة ، الله اكبر . فبدايتها : الله اكبر ، ويعقب بعدها بـ الله اكبر .. وكان يعي ويدرك جيداً مدى عظم المعاني المنبثقة من هذه العبارة ((الله اكبر)) تدفع الانسان دفعاً في طريق العمل في سبيل اعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ، كلمة الحق.

فالله اكبر من الاذى ، واكبر من العذاب ، واكبر من الموت ومسبباته ، فلماذا يخشى الانسان الاذى والعذاب والموت، اذا كان كل ذلك في سبيل الله وحده ؟؟

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقبولها منوط بما تنهى عنهما..

وفي الصلاة تلتقي شعب الحق والعدل..

والصلاة ملتقى ابناء الانسانية ، فالكل متجهون الى قبلة واحدة ، والنية في الطاعة واحدة ، وعلى اعتابها تذوب الفوارق الطبقية ، وعندما تتوحد القلوب وعلى سنا ضوئها يبرز التواضع، ويظهر اجبار النفس المتكبرة على الخضوع لله وحده لا شريك له ، وعلى خفض جناح الرحمة للمؤمنين ، والذوبان في المجتمع المؤلف من عباد الله في طاعة الله .

والصلاة ارتقاء النفس البشرية الى الملأ الاعلى قبل ان تكون خضوعاً، وهي طهر النفوس من دنس المادية ، و تواضع امام عظمة الله قبل ان تكون الفاظاً ترددها الشفاه، وهي عمل من اجل اسعاد الانسانية قبل ان تكون حركات تؤدى، وهي دستور كامل يحفظ الفرد ويصون الذات الانسانية من

الدنس.

لا صلاة بمغصوب ،وفي مغصوب وعلى مغصوب . لذلك أحبها ابو تراب ، واذاب روحه في روح معناها . ومن هنا جاء قوله وهو يتحدث عن الصلاة :

﴿ تعاهدوا أمر الصلاة ، وحافظوا عليها ، واستكثروا منها، وتقربوا بها، فانها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً . الا تسمعون الى اهل النار حين سئلوا : ((مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)) . قالوا : ((لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)) .

وانها لتحت الذنوب حتّ الورق وتطلقها اطلاق الربق . وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحمّة تكون على باب الرجل يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن. وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع ، ولا قرّة عين من ولد ومال.﴾

وبعد..

فقد الفيت نفسي اعاتب أبناء أمتي واخاطب قومي :

مالكم عن هذا الحديث معرضون ؟!

ومالنا لا نتبع دستوراً ينظم حياتنا دونما رقيب خارجي . الضمير وحده يكون خير حسيب ، الضمير الذي تكوّنه الرياضة الروحية بكل مجالاتها وتنميه الفرائض بكل فروعها .

وماذا عن مجموعة الفرائض ؟

﴿فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك ، والصلاة تنزيها عن الكبر ، والزكاة تسبيباً للرزق ، والصيام ابتلاءً لاخلاص الخلق، والحج تقربة للدين، والجهاد عزّ للاسلام ، والامر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي عن المنكر

ردعاً للسفهاء ، وصلة الرحم منماة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، واقامة الحدود إعظاماً للمحارم ، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل ، ومجانبة السرقة ايجاباً للعفة ، وترك الزنا تحصيناً للنسب ، وترك اللواط تكثيراً للنسل، والشهادة استظهاراً على المجاحدات، وترك الكذب تشريفاً للصدق ، والسلام اماناً من الخوف ،والامامة نظاماً للامة ، والطاعة تعظيماً للامامة.﴾

﴿ الصلاة قربان كل تقي ، والحج جهاد كل ضعيف ، ولكل شيء زكاة، وزكاة البدن الصيام ، وجهاد المرأة ، حسن التبعل ﴾

﴿ ... حَرَسَ الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات ، تسكيناً لأطرافهم وتخشيعاً لأبصارهم ، وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم ، وأذهاباً للخيلاء عنهم ،لما في ذلك من تعفير عتاق الوجه بالتراب تواضعاً ، والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغراً ، ولحوق البطون بالمتون من الصيام تذللاً ، مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض ، وغير ذلك، إلى أهل المسكنة والفقر . انظروا الى ما في هذه الأفعال من قمع نواجم الفخر ، وقدع (أي الكف والمنع) طوالع الكبر ﴾.

﴿ ان فضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه ، الايمان به وبرسوله ، والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص فانها الفطرة، وإقامُ الصلاة فانها الملّة ، وإيتاء الزكاة فانها فريضة واجبة ، وصوم شهر رمضان فانه جُنَّةٌ من العقاب ، وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب ، وصلة الرحم فانها مثراة في المال ومنسأة في الأجل، وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة ، وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء ، وصنائع المعروف فانها تقي مصارع الهوان. أفيضوا في ذكر الله فانه

ـ احسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد المتقين فانه اصدق الوعد ، واقتدوا بهدى نبيّكم فانه افضل الهدى، واستنوا بسنته فانه أهدى السنن، وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث ، وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب ، واستشفعوا بنوره فانه شفاء، الصدور، واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص.﴾

وهل هناك مزيد عن القرآن ؟

﴿ ذلك القرآن.. ألا إنّ فيه علم ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم .﴾

﴿ واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ، والهادي الذي لا يُضل ، والمحدّث الذي لا يكذب ، وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان : زيادة في هدى ، ونقصان في عمى.﴾

﴿ فالقرآن آمر زاجر ، وصامت ناطق ، حجة الله على خلقه : اخذ عليهم ميثاقه، وارتهن عليه انفسهم ، اتم نوره ، واكمل به دينه . ﴾

﴿ ... نوراً لا يطفأ مصابيحه ، وسراجاً لا يخبوا توقده ، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يُضل نهجه ، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه ، وفرقاناً لا يخمد برهانه ، وتبياناً لا تهدم اركانه ، وشفاءً لا تخشى اسقامه ، وعزاً لا تهزم انصاره ، وحقاً لا تخذل اعوانه، فهو معدن الايمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه ، وأثافي الاسلام وبنيانه ، وأودية الحق وغيطانه ، وبحر لا ينزفه المنزفون ، وعيون لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، واعلام لا يعمى عنها السائرون ، واركام لا يجوز عنها القاصدون ، جعله الله ريّا لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاج لطرق الصلحاء ، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة ، وحبلاً وثيقاً عروته ، ومعقلا منيعاً ذروته ، وعزّ

لمن تولاه ، وسلما لمن دخله، وهدى لمن ائتم به ، وعذراً لمن انتحله ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم به ، وفَلَجاً لمن حاج به ، وحاملاً لمن حمله ، ومطيةً لمن أعمله، وآية لمن توسم ، وجنّةً لمن استلأم (أي جعله لامة وهي الدرع) وعلماً لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى.﴾

❖ ❖ ❖

وبعد ان رأيت مجتمعي قد اشاح بوجهه عن هذا السبيل وتنكب الجادة، وحاد عن الصراط ، اشحت بوجهي عنه ، لا لأن هذا الذي اذكره لا يلائم ابناءه، ولكن على قلوب أقفالها ، واخذت انظر الى مباهج عظمة ابي تراب استلهم منها سيرة عملية ادونها ، واقتبسها ، عَلَ عينا ما تقع على ما أُحبِر ، فتدرس هذا العظيم دراسة جدية ، ومن ثم تدون دروساً تستفيد منها الاجيال لشق طريقها المدلَهم نحو الافضل ، وذلك لاني اعتقد جازماً ان المسلمين لا يزالون يجهلون ((علياً)) الانسان، والقائد، والمعلم، والمنهج العملي في الحياة ، وانى لأتمنى صادقاً ان يهيء الله من يدرس هذه الشخصية دراسة جادة من مختلف النواحي ، هداية للانسانية .

❖ ❖ ❖

رأيت أبا تراب يقاسم النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم آلامه مما يجده من ايذاء قريش له ، وتآمرهم على قتله اكثر من مرة .. وساء قريشاً ان تنكشف مؤامراتهم ، وينجوا النبي الاعظم من كيدهم و مكرهم بعناية الله وبحماية ابي طالب له .

رأيته يقاسمه الألم عندما قررت قريش أن تتعاقد على كتابة صحيفة مقاطعة بني هاشم : لا ينكحون اليهم ولا ينكحونهم، ولا يبتاعون منهم شيئاً ولا يبيعونهم، ولا يقبلون منهم صلحاً ابداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة

حتى يسلموا النبي للقتل..

وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة !!!

رأيته يقاسم النبي الألم ثلاث سنين في شعب أبي طالب وقد ذاق وقومه خلالها من الحرمان ومس الجوع حيث كان ورق الشجر قوتهم ، يعتصر الالم قلبه وهو يرى الاطفال يتضورون جوعاً ولا يجد احد ما يعللهم به .

وفي الشعب اتخذ ابو طالب وسائل عديدة للدفاع عن النبي ومنها تبديل مكان نومه لينام في مكان آخر ويضطجع مكانه احد ولد عمه ، وكان ابو تراب اكثرهم مبيتاً في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واذ كان الاسرع دائما الى فدائه بنفسه.

وتنتهي الاعوام الثلاثة ويرسل الله على صحيفة الظلم دابة الارض تأكلها عن آخرها ولم يبق منها إلا ((بسمك اللهم)) بداية الصحيفة !!

استطاعت قريش ان تُجيع الاجسام وتلقي حصارها على المكان المحدود بالمادة ، لكن ما كان لها القدرة على الارواح المتعلقة بالملأ الاعلى، وكان لقريش ان تدرك هذا لانها لم تجربه ولم تتذوق حلاوته .

رأيته يتقاسم الآلام مع ابن عمه في رمضان من السنة التاسعة من البعثة بموت الحامي والكفيل ابي طالب الرجل الذي آوى وحمى ، ووقف نفسه وجاهه وما لديه من قوة للدفاع عن النبي رمز الحق ، الرجل الذي لم يبال بتألب القوم عليه وعداوتهم له ، وبقي يشتدُ حتى اختار جوار ربه

وبعد رحيل ابي طالب رحلت خديجة الزوجة والام والاخت والسند والصاحب ، والمراة التي بذلت كل ما تملك ، وراحتها، في سبيل دعوة الحق، فوقفت الى جانب النبي : تحتمل من الاذى ما يصل اليه ، وهي اشد

ما تكون عزيمة وصبراً وايماناً بالله ورسوله ، حتى اختارها الله لدار بقائه.

احداث عام الحزن صهرت معدن ابي تراب واظهرت جوهره النقي في التحمل، والمقدرة على مواجهة الصعاب ، وكانها مقدمة لتحمل آلاماً اكبر واكثر فيما يُستقبل من الاحداث .

❖ ❖ ❖

رأيت أبا تراب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج في الموسم كعادته صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل ، حتى وافا العقبة ، فلقى رهطاً من المدينة ، جاؤوا من يثرب للحج ، وكانوا ثمانية نفر هم: ابو امامه اسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث بن رفاعة ، ورافع بن مالك العجلان ، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن ناب، وبرجا بن عبد الله بن رئاب ، وعبادة بن الصامت، وابو الهيثم ابن التيهان؛ فسألهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من يكونون ؟

قالوا : نفر من الخزرج .

قال: الا تجلسون اكلمكم ؟!

قالوا : بلى ! من انت ؟

فانتسب صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ، واخبرهم عن نفسه ثم خرج بهم الى مكان بعيد عن الناس ، وهنالك دعاهم الى الله سبحانه وتعالى ، وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن. فاطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه . وقالوا لبعضهم : يا قوم ! تعلمون والله انه هو النبي الذي توعدكم به اليهود ،فلا يسبقوكم اليه .

ولم تبطىء بهم نفوسهم ان أسرعوا الى اجابته ، فصدقوه وبايعوه على الاسلام.

ولما استدار العام ، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سبق مسلمي يثرب الى العقبة ، ومعه علي ، وآخرون ، فتلا عليهم من القرآن ، ودعا الى الله سبحانه ، ورغّب في الاسلام ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :

تبايعونني على السمع والطاعة ، وفي النشاط والكسل ، والمنعة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، وان لا تخافوا في الله لومة لائم ، وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمتُ عليكم ، ما تمنعون منه أنفسكم ، وأزواجكم، وأبناءكم .

فاخذ البرّاء بن معرور بيد النبي ، وقال : نعم والذي بعثك بالحق ، لنمنعنّك بما نمنع به أزرنا ، فنحن والله اهل الحرب ، واهل الحلقة (أي السلاح) ، قد ورثناها كابراً عن كابر .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أخرجوا اليّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم .

فاختاروا تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الاوس ، هم : سعد بن عبادة، واسعد بن زرارة ،وسعد بن الربيع ، وسعد بن خَيثمة ، والمنذر بن عمرو ، وعبد الله بن رواحة ، والبراء بن معرور ، وابو الهيثم بن التيهان ، وأسيد بن حُضير ، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعبادة بن الصامت ، ورافع بن مالك ، فقال لهم : انكم كفلاء على غيركم ، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وانا كفيل على قومي (يعني المهاجرين) .

ثم بايعه جميع من حضر من الانصار واحداً بعد واحد ، ولنستمع لأبي تراب وهو يذكر الانصار :

﴿ هم والله رَبّو الاسلام كما يُربّى الفلو مع غنائمهم ، بايديهم

السياط والسنتهم السلاط .﴾

❖ ❖ ❖

بعد العقبة الكبرى وبيعتها رأت قريش ان الله أيد دينه فيها، وفتح للإسلام باباً جديداً في يثرب، اشتد أذاها للمسلمين ، حتى غدوا وهم : بين مفتون في دينه ، ومثخن من شدة العذاب في ايدي المشركين ، اوهائم على وجهه هارب من الاذى. وشكو الى النبي مايلقونه، واستأذنوه في الهجرة ، فلبث أياماً لايأذن لهم، ثم اختار لهم الله، فقال لهم النبي : قد أخبرتُ بدار هجرتكم. ثم آخى بينهم على المواساة، واختار علياً لنفسه، وقال صلى الله عليه وآله : أما ترضى أن اكون أخاك؟ قال : بلى يارسول الله ! رضيت.

قال : وانت اخي في الدنيا والآخرة . ثم أمرهم بالهجرة الى المدنية .

وهاجروا متسللين ..

واغاظ ذلك قريشاً ..

وتآمروا على قتل النبي بطريقة يتفرق دمه بها بين القبائل، فلا يدع مجالاً لبني هاشم للمطالبة بدمه .

صناديد قريش مجتمعون على باب النبي الاعظم ، يريدون قتله ، ومن ثم وأد الرسالة الجديدة في مهدها ، الرسالة التي تريد اقتلاع مفاسد المجتمع من جذورها ؛ وكيف يروق لاولئك الذين يعيشون على امتصاص الدماء المساواة التي اعلنها محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

وكيف تسوغ لهم غطرستهم الاختلاط بالصعاليك والمستضعفين ؟!

وكان القضاء على صاحب الدعوة الجديدة هو الحلم الذي يدغدغ مخيلاتهم.. ومن هنا كانت حتمية الهجرة .. الهجرة الى دار جديدة ، ينبعث منها صوت الاسلام مفجراً يقظة فكرية اجتماعية اقتصادية سياسية جديدة ،

على ضوء العقيدة الجديدة .

ولم يجد النبي الأكرم شخصاً يمتلك من التضحية أعلاها، والفداء أسماه، التضحية في سبيل العقيدة ، والفداء في سبيل الرسول الاعظم ، فيبيت في فراشه ، ويوهم المشركين بانه موجود في داره ، إلا علياً. وذلك لان المبيت في فراش النبي في تلك الليلة معناه المخاطرة في الحياة ، وعلي الذي وطّن نفسه للمبيت في فراش النبي ليالي كثيرة ايام الحصار في الشِعب، يفتديه بنفسه ، وعلي الأمس هو علي اليوم ، الذي يبيت في فراش النبي ليهاجر سالماً، ويفتديه بنفسه، أن علياً ماعرف مع النبي الا الفداء ، وماعظمك يارسول الله يوم اخترت علياً أخاك!!

وما اعظمك ياعلي حين اديت معنى الاخوة وجسدته فداءاً في سبيل الله ورسول الله !! وما اعظمك ايهاالفداء !!

وما اعظمك ايها التوقع والتوجس في تلك الليلة ، أذ ما كان التوقع غير أذى قريش ، وما كان التوجس غير الموت. ولكنه ابو تراب لايخشى أوقع على الموت أم الموت وقع عليه !!!

فالتفع ببرد الرسول ، واضطجع على فراشه ، شارياً نفسه ابتغاء مرضاة الله ، بإذلالها في سبيله .

وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتلو : ((وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ)) ، وانصرف الى غار ثور ، وليحفظه الله بأضعف مخلوقاته : العنكبوت والحمامة، وبعدها يواصل سيره الى يثرب.

ويهجم المتآمرون على دار النبي صلى الله عليه وآله ليجدوا علياً يسخر منهم، ويهرعون بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم يدورون باحثين في

كل الانحاء علّهم يجدون له أثراً أوعين، ولكنهم عبثاً حاولوا.

وناهيك به عملاً لاينهض به إلا من اولي مثل صبر علي واحتماله ، وهو بين قوم يكاشفونه بالعداوة ، وتتضرم صدورهم بنار الحقد والبغضاء عليه .

وأدى ابو تراب الامانات عن النبي ، ثم انطلق قاصداً نبراس الهداية، وكان يقطع الطريق على قدميه ، فلم يقعد به التعب ولم يوهنه ويثبط من همته بعد الطريق، وبعد انقضاء اسبوعين كاملين أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قباء ...

ـ على بعد فرسخين من المدنية المنورة ـ ، ولما شاهده وقد تورمت قدماه، اعتنقه وبكى رحمةً به .

وفي المدينة وبعد الهجرة بخمسة أشهر آخا النبي بين المهاجرين والانصار ، ثم اصطفى علياً اخاً له من دونهم جمعياً تفضيلاً له على من سواه ، وهو يقول له:

((أنت أخي في الدنيا والاخرة)).

وعلينا أن نتأمل ، ولو قليلاً ـ اتخاذ النبي صلى الله عليه وآله علياً أخاً ـ عندما آخى بين المهاجرين، وعندما آخى بين المهاجرين والانصار ، وعلي مهاجر، اتخذه أخاً مرتين وفي حالتين مختلفتين ،علي أخوه دون غيره من المهاجرين والانصار، أهو محض عاطفة ؟! لأن علياً ابن عمه الذي نشأ وتربى في كنفه ! هذا لايمكن ان يكون ، لأن الرسول الاعظم أرفع من ان تؤثر عليه عاطفة ، او يؤثر احداً لمجرد القرابة ، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم وجد في عليٍ خصالاً لم تكن عند غيره ، حدت به لأن يتخذه أخاً في حياته ووزيراً ، ووصياً بعد وفاته وخليفةً ، مطبقاً لشريعة الله التي بُعث بها

هدىً ورحمة للعالمين.

أما عند استعراض وقائع الرسول الحربية : نجد أبا تراب في الرعيل الاول ، لا بل هو الأول من المجاهدين ، والثابت عند البأس ، والكاشف للكربات عن وجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . فهو قد اشترك في جميع غزوات رسول الله إلا (تبوك) التي لم يلق فيها المسلمون كيداً، وقد استخلفه رسول الله على المدينة ، وعندما ارجف المنافقون ، وقالوا: تركه استثقالاً منه ، كرر صلى الله عليه وآله وسلم له القول : ((انت مني بمنزلة هارون من موسى ..)) وساماً زيّن صدر علي ، لا بل الدنيا بأجمعها .

وفي ذكر أبي تراب في اشتراكه مع النبي في حروبه ، لنفتش عنه بين وميض السيوف ،حيث كان يصف لنا حربه ، وحربهم ، مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه :﴿ ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك ألا إيمانا وتسليماً ومضياً على اللقم (أي معظم الطريق او جادته) وصبراً على مضض الألم ، وجداً في جهاد العدو ، ولقد كان الرجل منا والاخرمن عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفاسهما، ايهما يسقي صاحبه كأس المنون : فمرة لنا من عدونا ، ومرة لعدونا منا ، فلما رأى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت ، وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه ومتبوئاً أوطانه.﴾

أبو تُراب . . .

من خلال . . .

وميض السيوف !!

[لقد كنت ما أهدد بالحرب، ولا أرهب بالضرب
وأني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني .]

في بدر الكبرى

خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وكانت عدة من خرج معه ثلاثمائة وخمسة رجال : ثلاثة وثمانون من المهاجرين ، وواحداً وستون من الأوس، والباقي من الخزرج . امامهم رايتان سوداوان، ومعهم من الابل سبعون بعيراً يتعاقبونها، فكان الاثنان والثلاثة والاربعة منهم يتعاقبون بعيراً. وكان صلى الله عليه وآله وسلم هو وعلي ومرثد بن ابي مرثد الغنوي يتعاقبون بعيراً

وكان أبو تراب يستمع لما يقوله المهاجرون والانصار بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان يطرب لحديث المقداد بن عمرو وهو يخاطب الرسول الكريم:

يارسول الله ! امضِ لأمر الله ، فنحن معك؛ والله ! لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لنبيهم : إذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون!! ولكن، اذهب انت وربك فقاتلا ، انا معكم مقاتلون . والذي بعثك بالحق لوسرت بنا الى برك الغماد لسرنا

وحديث سعد بن معاذ:

انك عسى ان تكون خرجت عن أمرٍ قد اوحي اليك ، وانا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا ان ماجئت به حق ، واعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامضِ يانبي الله لما اردت ، فو الذي بعثك بالحق! لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، مابقي منا رجل ، وصل من شئت ، وخذ من أموالنا ماارادت، فما اخذته من اموالنا احب الينا مما تركت. والذي نفسي بيده ! ما سلكت هذه الطريق قط ، ومالي بها من علم ، وإنا لانكره ان نلقى عدونا غداً، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء ،

لعل الله يريك منا بعض ماتقرُّ بهِ عينك !!

والتحم الجيشان ، وكان المسلمون فيها كالجبال الرواسي ، فصدقوا الله ما عاهدوا عليه ، وكان أبو تراب وحده جيشاً من الايمان نزل صاعقة عذاب ، يدور بسيفه بهم دوران الرحى ، وقال المشركون عنه : ما رأينا كاليوم رجلاً اسرع في قومه منه.

ولنستمع الى هذا الحوار :

شاهد علي نوفل بن خويلد، يقتحم صفوف المسلمين ويحرض الناس على قتالهم، وهو المعروف بعداوته لله ورسوله، فاسرع اليه ، فلما راى نوفل علياً يعدو نحوه ، سأل رجلاً الى قربه : من هذا كأنه يريدني ؟

فاجابه صاحبه: هذا علي بن ابي طالب !

فعالجه علي بضربة على ساقه فقطعها .

فقال نوفل : أنشدك الله والرحم.

فقال علي: كل رحم مقطوعة إلأ من كان تبعاً لرسول الله .

وهكذا الأيمان وإلا فلا !! أين هم اتباع علي الذين يدافعون عن الملحدين والمنحرفين والمنافقين لمجرد القرابة ، وبذلك يكونون قد ابتعدوا عن علي ووادوا من حاد الله ورسوله !!

ويرى ابو تراب قرار رسول الله صلى الله عليه وآله ويسمعه ، ومع أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان رحمة للعالمين، فانه يرى ان من الرحمة بالمجتمع أن يبتر العضو الفاسد كي لايفسد الجسم كله ..

بعد أن وضعت الحرب اوزارها ، أمر النبي بالرحيل، فحملوا معهم الاسرى، وكانوا سبعين أسيراً، حتى اذا انتهوا الى عرق الظبية ، أمر النبي

عاصم بن ثابت بن أبي الافلح ان يضرب عنق عقبة بن ابي معيط بن ابي عمرو بن أمية ابن عبد شمس، فقال عقبة : ياويلي علام أقتل يامعشر قريش؟

قال النبي : لعداوتك لله ورسوله .

قال : يامحمد ! اجعلني كرجل من قومي ، إن قتلتهم قتلتني، وان أمننت عليهم مننت عليّ، وان أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم ، يامحمد ! من للصبية؟

قال النبي: النار ، قدمه ياعاصم فاضرب عنقه .

فلما قُتِل قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بئس الرجل، كنت والله ـ ماعلمت ـ كافراً بالله وبرسوله وكتابه ، مؤذياً لنبيه .

وأمر النبي بقتل النضر بن الحارث صاحب الرأي في حصار بني هاشم في الشعب وكاتب صحيفة المقاطعة سيئة الصيت . اما سائر الاسرى فكان من وصيته صلى الله عليه وآله فيهم ان قال لاصحابه: استوصوا بالاسرى خيراً، فكان احدهم يؤثر اسيره بطعامه، ويقدمه على نفسه .

زواج الزهـــراء

تطاولت اعناق الرجال المسلمين الى أمنية تصلهم بحبل النبي ، وتربط بينهم وبينه برباط المصاهرة ، عن طريق ابنته الوحيدة فاطمة ـ وأنا مع الرأي القائل ان ليس للنبي الا فاطمة ، وما كان غيرها فهن ربيباته صلى الله عليه وعلى ابنته الزهراء وسلم ـ فخطبها الكثير ولكن النبي قال :إني انتظر بها القضاء.

وهنا أشار صلى الله عليه وآله وسلم الى ان أمر زواج فاطمة يكون من السماء . وجاء دور علي فاغتسل وتوضأ ، ثم جاء الى النبي ، ولكن الحياء غلب عليه ، فجلس ساكتاً ، فساله النبي عن أمره، فوجد الفرصة الى الكلام وقال : أتزوجني فاطمة ؟

فرحب به الرسول وأخبره ان الله قد اختاره لفاطمة ؟ وأمر بتزويجه منها . ثم سأله: اوعندك شيء؟

فقال علي: انه يملك سيفه وناضحه ودرعه .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أما سيفك فلا غنى بك عنه ، تجاهد به في سبيل الله ، وتقاتل به اعداء الاسلام ، واما ناضحك تنضح به على نخلك ، وتحمل عليه رحلك في سفرك ، واما درعك فشأنك بها !

وخرج علي فباع الدرع باربعمائة وثمانين درهماً ثم رجع الى النبي، فالقى بها بين يديه ، فقبض صلى الله عليه وآله وسلم منها شيئاً ، ودعا بلالاً وأمره ان يشتري طيباً ، ثم ارسل اسماء بنت عميس فهيأت البيت، ودعت فاطمة فجاءت مع أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت ،وعلي قاعد في الجانب الاخر.

وبعد العشاء ، دخل النبي البيت فقال : اها هنا اخي ؟

قالت ام ايمن : اخوك وقد زوجته ابنتك ؟

قال : نعم ، وقال لفاطمة : إئتني بماء ، فقامت تتعثر في ثوبها حياءً . فجاءته بقعب فيه ماء، فاخذه فمج منه في فمه ، ثم رمى به في القعب ، وقال لها : تقدمي، فنضح بين ثدييها وعلى راسها، وقال :

اللهم اني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .

ثم قال : أدبري . فأدبرت ، فصب بين كتفيها .

ثم فعل بعلي مثل ذلك ، وقال :

اللهم اني اعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم .

ثم امر أنس ان يدعو المهاجرين والانصار ، فلما حضروا، قال : ان الله امرني ان ازوج فاطمة من علي .

ولما اخذ الناس مجالسهم ، خطبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، والمطاع سلطانه ، المرهوب من عذابه وسطوته ، النافذ امره في سمائه وارضه ، الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه، واعزهم بدينه ، واكرمهم بنبيه صلى الله عليه وآله، ان الله تبارك اسمه ، وتعالت عظمته ، جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وامراً مفترضاً ، أوشج به الارحام ، والزم به الانام ، فقال عزّ من قائل ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً)) فأمر الله ان يجري قضاؤه ، وقضاؤه يجري على قدره ، ولكل قضاء قدره ، ولكل قدرأجل ، وكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب. ثم ان الله تعالى أمرني: ان أُزوج فاطمة من علي بن ابي طالب . فاشهدوا اني قد زوجته اياها على اربعمائة مثقال فضة ، ان رضي بذلك علي .

ثم دعا صلى الله عليه وآله وسلم بطبق من بسر ، وقال لهم: اسهبوا .

وخطب علي في المجلس فقال :

الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه ، واشهد ان لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه ، الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوجني ابنته، على صداق مبلغه اربعمائة درهم .

ثم دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهما ؛ فقال :

جمع الله شملكما ، واعز جدكما ، وبارك عليكما ، واخرج منكما كثيراً طيباً .

ثم خر علي ساجداً شكراً لله .

واولم عليٌ .

وكان جهاز فاطمة : خميلة ، وقربة ، ووسادة من آدم حشوها ليف ، وسريراً مشروطاً ، وفراشهما جلد كبش صلى الله عليهما ما كرّ الجديدان .

في أحد

اختلف الناس فمنهم الراغب في البقاء في المدينة يدافع عنها ، ويتحصن فيها، ومنهم من يريد لقاء العدو خارجها ، وجرى نقاش كثير وحاد ، فبينما هم على ذلك، وقد ندم البعض منهم على ما بدر من اصرارهم على رأيهم ،اذ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه السلاح ، فلما شاهدوه لاموا انفسهم ، وندموا جميعاً ، وقالوا له : ما كان لنا ان نخالفك ، (وان كان رأيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يتحصن في المدينة وفيها يحارب عدوه) ، فاصنع ما بدا لك ، وما كان لنا ان نستكرهك والامر الى الله واليك .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : قد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم ، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لامته ان يضعها ، حتى يحكم الله بينه وبين اعدائه .

واعطى لواء المهاجرين الى علي بن ابي طالب.

ثم دارت الحرب يحدو قريشاً فيها الحقد على محمد ودينه، وطلب الثأر منه ومن علي ، وعندما يتمكنون منهما يكونون قد تمكنوا من وأد الدين الجديد في نظرهم، طبولهم تُقرع ، ونساؤهم تحرض ، وشعراؤهم ترتجز ، وفي اثناء ذلك ، برز فارسهم، وحامل اللواء فيهم طلحة بن ابي طلحة ، فجعل يخطر بسيفه ويجول ،وهو ينادي بين الصفين : يا معشر اصحاب محمد ! أنكم تزعمون انكم تعجلونا باسيافكم الى النار، ونعجلكم باسيافنا الى الجنة ، فهل منكم احد يبرز إليّ ، فاعجله بسيفي الى الجنة ، او يعجلني بسيفه الى النار ؟

وكان الموقف يستدعي من المسلمين شجاعة نادرة ، ظاهرة الاثر ، وما كان لهذا الأمر غير ابي تراب !!

حمل عليٌّ على خصمه فلم يمهله ، حتى بادره بضربة فلقت هامته ، فكبر لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، و كبّر معه المسلمون .وكان من اثر ذلك ان شدت من عزم المسلمين وأوهنت من عزم المشركين .

ثم برز بعد ذلك عثمان بن ابي طلحة وكان كأخيه في خيلائه وتكبره، والنساء من خلفه يضربن بالدفوف وينشدن :

ضـــرباً بـــني عبـــد الـــدار ضـــربا حمـــاة الاديـــار

فانقض عليه عليٌّ فجندله بضربة خرّ معها صريعاً ، ثم خرج بعدهما سعيد بن ابي طلحة وكان حظه كحظ سابقيه . ثم تقدم اخرون فكان لهم من علي ما كان لسابقيهم.

فأصيب المشركون بزلزال انهارت نفوسهم من وقعه . فانقض عليهم المسلمون ، وعلي يراقب امر النبي فاذا ما رأى المسلمين لم يثبتوا امام جماعة قال لعلي : احمل عليهم .

فكانت الهزيمة نصيب قريش لولا فعل الرماة الذين زايلوا مكانهم من الجبل رغبة في الغنائم ، وينتهز خالد بن الوليد الفرصة فيدخل من هذه الثغرة ويسحق المسلمين سحقاً ، وهو ينادي بشعار المشركين يا للعزى !!

وباشر النبي وعلي القتال حتى تحطمت قوس النبي وكسر سيف علي. واستشهد الحمزة اسد الله .

وفرّ من لم يستطع الثبات من المسلمين !

ولم يبق مع النبي الا :علي ، وابو دجانة ،وسهل بن حنيف . وكان قد اغمي على النبي ، فلما افاق سأل علياً : ماذا فعل الناس ؟ فاجابه :

نقضوا العهد وولوا الدبر .

ولما راى المشركون ذلك كثرت كتائبهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لعلي : اكفني هؤلاء . فحمل عليهم وما زال يضربهم بالسيف حتى فرقهم وابعدهم عن رسول الله .

بعد ذلك تاب الى النبي ممن فر : طلحة والزبير ، والحارث بن الصمة، والحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، ورأى عليّ ان الموقف يتطلب المبايعة على الموت دفاعاً عن رسول الله ، فبايع علي النبي على الموت ، ثم بايعه الاخرون . وسار النبي بينهم وقد سقطت رباعيته ، وشج راسه ، وكُلمت شفته ، ودخلت حلقتا المغفر في وجهه ، فبينما هم في طريقهم الى جبل أحد ،وقع النبي في حفرة حفرها ابو عامر ليوقع فيها المسلمون ، فأخذ علي بيده ورفعه ليتسلق الجبل الى حيث مكان المسلمين .

فما كان لأحد غير أبي تراب كما لم يكن لبدر غيره .

وبعد أن يدور الزمن دورته وبعد واقعة الجمل على وجه التحديد ، يقف ابي تراب ليحدث اهل البصرة،فيقوم اليه رجل ليقول:اخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم،فقال عليه السلام:

لما انزل الله سبحانه وتعالى ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ علمت أن الفتنة لا تزال بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا ، فقلتُ :

يا رسول الله ، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها ؟

فقال : يا علي ان أمتي سيفتنون من بعدي !

قلت : يا رسول الله ، أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث إستشهد من

استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة ، فشقّ ذلك عليّ فقلت لي: إبشر فإن الشهادةَ من ورائك !

فقال لي : إن ذلك لكذلك ، فكيف صبرك اذاً ؟

فقلت : يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر .

فقال : يا علي ، إن القوم سيفتنون باموالهم ، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته ، ويأمنون سطوته ، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية ، فيستحلون الخمر بالنبيذ ، والسحت بالهدية ، والربا بالبيع .

فقلت : يا رسول الله ، بأي المنازل أنزلهم عند ذلك ؟ أبمنزلة ردة أم بمنزلة فتنة؟

فقال : بمنزلة فتنة .

في غزوة بني النضير

افتقد الناس علياً ، فلم يجدوه ، وكان قبل قليل الى جوار النبي ، والان يجب ان يكون في جواره ، لانهم لا يأمنون على النبي من كيد اليهود، فقالوا : يا رسول الله : لا نرى علياً ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : اراه في بعض ما يصلح شأنكم . فبينما هم على ذلك ، اذ طلع عليٌ ومعه رأس اليهودي الذي رمى النبي بسهم في عماية الليل، بعد ان انصرف الناس عن القتال ، فأصاب السهم القبة التي كان النبي فيها ، قبة الخشب التي أمر أن تضرب له في أقصى بني حطمة من البطحاء ، ويدعى هذا اليهودي عزورا ، وهو أشهر الرماة في بني النضير ، وأشجع اليهود في يثرب .

ألقى أبو تراب رأس اليهودي في التراب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له كيف قدرت عليه يا أبا الحسن ؟ !

قال: اني رايت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له، وقلت : ما احراه ان يخرج اذا اختلط الظلام ، يطلب منا غرة ، فأقبل مصلتاً سيفه في تسعة نفوس من اليهود ، فشددت عليه وقتلته ،فأفلت أصحابه، ولم يبرحوا قريباً فأبعث معي نفراً، فإني أرجو أن اظفر بهم .

ورجع علي ومعه عشرة رجال ، ومنهم ابو دجانه، وسهل بن حنيف، فادركوهم قبل ان يدخلوا الحصن ، وقتلوهم جمعياً ، ثم حملوا الرؤوس الى النبي ، فأمر ان تطرح في بعض ابار بني حطمة .

ارعب قتل هؤلاء قلوب اليهود ،فأوهن قواهم ، وفتَ في عزائمهم ، وهدَ مقاومتم، وأياسهم من الصمود ، فلم يجدوا الا التوسل بصلح يحفظ عليهم اموالهم، ودماءهم ، وذراريهم ، على ان يخرجوا من المدينة .

ولما سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، قال لهم : اخرجوا منها ، ولكم دماؤكم ، وما حملت الابل الا الحلقة (أي السلاح).

وكان هذا أكثر مما يطمعون به من الخلاق ، فرحلوا ، ولحق أكثرهم بخيبر .

وهكذا أدب النبي بيد ابي تراب من نقض العهد ، وقابل الاحسان بالاساءة وهم بنو النظير.

في غزوة الخندق

الاسلام كلـــه

وجد المشركون مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم ، فاقتحمت منه ، فجالت بهم في (السبخة) بين(الخندق) و (سلع).

وخرج علي في نفر من المسلمين ، حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموها ، واقبلت الفرسان تعنق نحوهم ،وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته جراحه فلم يشهد احداً ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعَلَماً- أي وضع له علامة ليعرف - ليرى مكانه ، فلما وقف وخيله قال بكبرياء وصلف: من يبارز ؟!

وليس لفارس الاحزاب غير فارس بدر وبطل أحد ومؤدب اليهود، خريج مدرسة محمد صلى الله عليه وآله وسلم !

قام علي فقال : انا ابارزه يارسول الله !

فلم يأذن له النبي وأمره بالجلوس.

واعاد عمرو النداء، ثم قال : ايها الناس : انكم تزعمون ان قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار، افما يحب احدكم ان يقدم على الجنة ، او يقدم عدواً له الى النار؟

فجمد القوم في مجالسهم كأن على رؤوسهم الطير !

وقام علي ثانية ، وقال : انا له يارسول الله .

فامره النبي بالجلوس.

فجال عمرو بفرسه، وجعل يقبل ويدبر، وأقبلت عظماء الاحزاب فوقفت من وراء الخندق، وقد بهرهم عمرو بشجاعته وهو يتحدى هذه الالوف من الرجال .

ولما سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، قال لهم : اخرجوا منها ، ولكم دماؤكم ، وما حملت الابل الا الحلقة (أي السلاح).

وكان هذا أكثر مما يطمعون به من الخلاق ، فرحلوا ، ولحق أكثرهم بخيبر .

وهكذا أدب النبي بيد ابي تراب من نقض العهد ، وقابل الاحسان بالاساءة وهم بنو النظير.

في غزوة الخندق

الاسلام كلـــه

وجد المشركون مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم ، فاقتحمت منه ، فجالت بهم في (السبخة) بين(الخندق) و (سلع).

وخرج علي في نفر من المسلمين ، حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموها ، واقبلت الفرسان تعنق نحوهم ،وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته جراحه فلم يشهد احداً ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعَلَماً ـ أي وضع له علامة ليعرف ـ ليرى مكانه ، فلما وقف وخيله قال بكبرياء وصلف: من يبارز ؟!

وليس لفارس الاحزاب غير فارس بدر وبطل أحد ومؤدب اليهود، خريج مدرسة محمد صلى الله عليه وآله وسلم !

قام علي فقال : انا ابارزه يارسول الله !

فلم يأذن له النبي وأمره بالجلوس.

واعاد عمرو النداء، ثم قال : ايها الناس : انكم تزعمون ان قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار، افما يحب احدكم ان يقدم على الجنة ، او يقدم عدواً له الى النار؟

فجمد القوم في مجالسهم كأن على رؤوسهم الطير !

وقام علي ثانية ، وقال : انا له يارسول الله .

فامره النبي بالجلوس.

فجال عمرو بفرسه، وجعل يقبل ويدبر، وأقبلت عظماء الاحزاب فوقفت من وراء الخندق، وقد بهرهم عمرو بشجاعته وهو يتحدى هذه الالوف من الرجال .

قريش تنظر مفتخرة ، والمسلمون ساكتون، وعمرو يردد :

ولقد بححت من الندا ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت مذجبن المشـ ـيع موقف القرن المناجز
اني كذلك لم ازل متسرعاً قبل الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

واراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان تكتمل الصورة ، عمرو فارس الاحزاب يريد المنازلة، لا احد يخرج ، علي يكرر المطالبة بالخروج له، فلا أحد لعمرو غير علي ، ولكن لكي لايقول قائل بعدئذٍ انا اردت ، لم يأذن لعلي ، وانتظر ان يقوم غيره ، ولكن ليس للأحزاب من يؤدبها إلا من أدبها في بدر وأحد وأدب اليهود في الخطمة .

قام علي للمرة الثالثة وقال : يارسول الله إئذن لي في مبارزته .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أدنُ .

فَدَنا ، فقلده سيفه ، وعممه بعمامته ، وقال: اللهم أعنه عليه، اللهم هذا اخي وابن عمي ، فلا تذرني فرداً وانت خير الوارثين

خرج علي الى عمرو ، ولما قرب منه قال يجبيه على رجزه :

لاتعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذونية وبصيرة يرجو بذاك نجاة فائز
اني لآمل ان اقيـ م عليك نائحة الجنائز
من ضربة فوهاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وقال: ياعمرو انك قد عاهدت الله إلا يدعُكَ رجل من قريش الى احدى خلتين الا اخذتها منه .

قال عمرو : أجل !

قال علي : فأني ادعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام.

قال عمرو: لاحاجة لي بذلك.

قال علي : فاني ادعوك الى النزال .

قال عمرو : لم يا بن اخي ؟ فوالله ما احب ان اقتلك !

قال علي : لكني والله احب ان اقتلك .

ونزل عمرو من فرسه وعقره.

فتنازلا ، وتجاولا ، وثارت بينهما غبرة وارتهما عن العيون ، الى ان سمع الناس التكبير عالياً ، فكبر المسلمون ، اذ انهم علموا ان عليا قتل عمراً.

انجلت الغبرة، وعلي راكب على صدره يحز راسه ، ولما راى الاحزاب مصرع فارسهم ملكهم من الرعب ما الله عالم به، فاطلقوا الاعنة لخيولهم يريدون النجاة .

ثم اقبل علي نحو النبي متهلل الوجه ، فقال له عمر بن الخطاب : هلا سلبته درعه ، فانه ليس في العرب درع خير منها !

قال علي : اني كرهتُ ان اكشف سَوءة ابن عمي .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كيف وجدت نفسك معه؟

فقال : وجدت ان لو كان اهل المدينة في جانب ، وانا في جانب لقدرت عليهم .

وقال النبي : قتل علي لعمر يعدل عبادة الثقلين .

الدرس الذي نستفيده من هذه الواقعة : ان عليا ما كان يحارب حباً في الحرب، ولا شهوةً في القتال، ولا تعطشا لسفك الدماء، ولا أدل على ذلك من دعوته لعمرو الى الله ورسوله والاسلام ، من قبل ان يبدأ نزاله ، فلو ان عمرا لبى الدعوة لما قتل ولكنه اجاب بغطرسة الواثق من النصر : لا حاجة لي بذلك. وبعد الياس نازله عليٌ ، حيث وجد في قتله كسر شوكة المشركين وانزال الرعب في قلوبهم ، باعتباره رأس الشرك ، من هنا جاء جواب ابي تراب : ولكني والله احب ان اقتلك !

وأمر آخر مهم يجب ان يذكر في صدر حوادث هذه الواقعة ،ألا وهو قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، عندما برز علي لعمرو : ((بزر الاسلام كله الى الشرك كله)) .

وليس من شك ان عمرا كان كل المشركين ، لانه رأسهم وقائدهم ، وبه يرتبط مصيرهم ، فمقتلهُ هزيمتهم ،وان كان ابو سفيان قائد الجيوش .

وكان قتل علي لعمرو بمثابة إزالة عقبة كأداء ، تقف بصمود جاهلي امام تيار الاسلام الجارف ، وبازالتها يتم للاسلام نشر رسالته ، لذلك جاء تعبير النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((برز الاسلام كله)) .

جاء ذلك من النبي لأنَّ المسلمين جميعاً سكتوا حينما طلب عمرو النزال الا علي ، وكرر ذلك مرتين ، وفي الثالثة اذن له الرسول ، فالايمان تجسد فيه ، ولو قتل لهزم المسلمون شر هزيمة ، لان وجود عمراً أنزل الرعب في نفوسهم، وهذا الايمان كان وجهاً لوجه مع الشرك كله ، فاي منهما المنتصر ، ينتصر المبدأ الذي يدعو اليه .

وانتصر علي ، وبه انتصر الايمان ، وعلى ذلك انتصر الاسلام.

وفي قتل علي لفارس المشركين ازاحة للحاجز الذي يقف في وجه توسع الدعوة الجديدة .

وهذه اخت عمرو وهي تصف لنا هذه الموقعة :

اسدان في ضنك المكّر تصاولا وكلاهما كفو كريم باسل
وكلاهما حضر القراع حفيظة لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحامل
ذلت قريش بعد مقتل فارس فالذل مهلكها وخزي شامل

واخيرا انتصر الحق على الباطل ، والاسلام على الشرك ، ورد الله الذين كفروا بغيضهم ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ ((وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ)) يعقبها بقوله ((بعلي)) لا لأنها من صلب الآية الكريمة ،ولكنه تعليق على واقعة ، وشهادة بحق من صحابي جليل القدر .

قوة الايمان في خيبر

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر برايته البيضاء الى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ، ولم يك فتح، وقد جهد .

ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل، ثم رجع، ولم يك فتح، وقد جهد.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

لأعطينّ الراية غداً رجلاً ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ﴿ كرار ﴾ ليس بفرار.

ولا شك ان هذا الحديث يجعل الجميع يتطاولون لهذا الوسام العظيم، يحب الله ورسوله ،ويحبه الله ورسوله ، كل اراد ان يكون هو .

ولما كان الغد ، دعا الرسول الاعظم أبا تراب ، وكان أرمد ـ ومرض علي هو سبب تطاول الاخرين، اذ ان مع وجوده فلا يليق هذا الوسام الا به ـ وقال له :

خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

خرج علي بالراية ، يهرول كعادته في الحرب ، والقوم خلفه ،حتى ركزها في (رضيم) قرب الحصن .

وناوش اليهود .. وفي اثناء المعركة سقط ترسه ، من يده فتناول باباً كان عند الحصن ، فتترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده ،وهو يقاتل ،حتى فتح الله عليه ، ثم القاه ، من يده حين فرغ، وحاول نفر عدتهم ثمانية قلب الباب فما قلبوه .

اهي قوة خارقة هذه التي يملكها ابو تراب ، وهبها الله له دون الرجال؟!

ام هي قوة الايمان التي صاغت قوة علي وبطولته ؟! وما احسبها الا هي !! .

فالعقيدة الصادقة التي يحملها علي لجديرة بان تخلق عنده هذه القوة الخارقة.

ولذا فقد كان يقول :

﴿ ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية وإنما قلعتها بقوة رحمانية ﴾ !

فلننظر لعليَ ، كيف خلقت منه العقيدة انسانا اخر ، وكيف خلق من العقيدة لنفسه مزايا ليست عنه احد من البشر غير النبي.

فليكن ابو تراب هو القائد الى صراط الحق امامنا ، وهو الدليل الى هذه المزايا ، وعلى نهجه يكون المسار ، ولو كان ذلك ، وليس ذلك على الله ببعيد ، لقلعوا بها ابوابا سدّت في وجوههم ، ومنعتهم من الوصول الى الغاية التي يريد الله منهم ان يصلوها ؛ لقلعوا بها حواجز من الاحتيال والغش والاساليب الشيطانية في تزييف الحقائق ، اقيمت امامهم لتشوه الفكر العقائدي الاصيل ، ومن ثم الاجهاز عليه ؛ ولو قلعوها ، لدخلوا رياض الاسلام ، وحين يعيشون على مستواه ، او قريبا منه – وذلك اضعف الايمان– هنالك يجدون حلاوة العمل من اجله ، والتفاني في سبيل مصلحته ؛ لقلعوا بها اشواكاً ، لا ، بل خناجر من التفرقة زرعت في طريقهم لتحول حياتهم جحيماً لا يطاق ؛ ولو قلعوها لساد سلام الاسلام ، واخوة الايمان ، وبعدها السعادة التي تنشدها البشرية ،وهي تعيش في متاهات من الافكار تجعلها تتخبط في دياجير الشر الذي تحسبه خيراً ...

ثم صمتُ ..

صمتُ لأستلهم الحقيقة في قول الرسول الأمين صلى الله عليه وآله

وسلم : ((رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله)) .

فعلي احب العقيدة ومحييها.. وأحب الرسول مبلّغ العقيدة الى البشرية، وهاديها إلى طريق الصواب والرشاد ، ومنير الدروب الحالكة بنور الإسلام.

وحبه للعقيدة جعله يمزج روحه بروحها ، وبفيض من سناه على سناها ، فدافع عنها وثبت مراسيها في أرض العرب ، لتنتشر بعدئذ من اقاصي الاندلس الى مجاهل الصين ، فتقام هناك مئذنة ، ويشاد هنا جامع ، ومن ثم يتضوع عطر الفكر .

وكان من حب عليّ هذا ان أحبه الله ورسوله ، وما جزاء من يُحِب إلا ان يُحَب .

وفي فتح مكة

جاهلية ..ام ماذا ؟؟

الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم يتجهز لفتح مكة ..

ودخل مكة فاتحاً .. حطم الاصنام .. وأبدى الرحمة في أحلى صورها حينما قال للذين آذوه بالامس: اذهبوا فأنتم الطلقاء...

ودخل الناس في دين الله افواجاً ، وسبح النبي الكريم بحمد الله ،لما اتاه من نصر . ثم اقام في مكة خمسة عشر يوماً ، بعث خلالها خالد بن الوليد ـ وكان حديث العهد بالاسلام لم تتغلغل روحُه في روحه فلا تزال فيها بقية من احقاد الجاهلية ـ الى جذيمة ، يدعو الناس الى الدخول في دين الله ونبذ الجاهلية وتقاليدها .

وما أن وصل خالد جذيمة، حتى انقلب فيهم سبعاً ضارياً ، فقام بهم مكبلاً، ومؤشراً ، واضعاً السيف في الاعناق .

وصل الخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وحينذاك رفع يديه الى السماء قائلاً : اللهم إني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد . وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد غضب مما فعل خالد .

فأرسل علياً في أثره واعطاه أموالاً ليعوض الناس ما خسروه ، ويدفع دية من قتل .

وقال صلى الله عليه وآله لعلي : اخرج الى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك .

ويمكن ان نستلخص من هذه الحادثة الأمور التالية :

١. ان الاسلام دين هداية ورحمة لادين سيف ودمار ، والنبي صلى الله عليه وآله حين ارسل خالداً امره بدعوة القوم ولم يأمره بحربهم ،وهذا

دليل يخرس من يدعي افتراء ان الاسلام دين تقتيل وتنكيل . ولكن ماذنب الاسلام اذا كان من تلبس بلباسه ينشرح صدره لرؤية الدماء ، والعجب ان يعمل ذلك بأسم الاسلام.

٢. كيف ان روح الجاهلية المتغلغة في خالد ، وغطرسته وغروره بشجاعته ومقدرته الحربية التي اعتادها في الجاهلية ، قد تمكنت منه حتى عمل بمن ارسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لدعوتهم قتلاً وتنكيلاً، وهذا خلاف ماجاءت به الشريعة السمحاء من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ،ولمن حارب الله والرسول ، وسعى في الارض ليفسد فيها ، ومن نقض عهد السلام مع الاسلام وحمل السلاح في وجهه او حرض ضده هنا وفي مثل هذه الامور فلا بديل عن السيف ، إذ ان (وضع الندى في موضع السيف مُخلٌ) كما قيل .

٣. تبري النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صنع خالد ، وهذا يدل على ان خالداً هو المسؤول الوحيد عما فعل . والنبي الاعظم ببراءته من عمل خالد: وضح لنا بأن السبيل التي يتبعها الاسلام في نشر دعوته هي عكس التي اتبعها خالد تماماً ، وذلك لان الموطن موطن دعوة قوم وكلام وجدال بالتي هي احسن من اجل الدعوة ، وطلب في الدخول في الدين الجديد .

٤. ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، اختار علياً دون جميع الصحابة ، وذلك لعلمه أن علياً هو وحده القادر على حل المشكلة حلاً سليماً بعيداً عن عُقد الجاهلية ، بما اوتي من حكمة وعلم ، وهو وحده الذي يتمكن من ازالة الاشواك التي زرعها خالد في طريق تقدم الدعوة الجديدة في تلك المنطقة.

٥. قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي ، حين بعثه الى جذيمة : ((اجعل الجاهلية تحت قدمك)) يدل على ان خالداً قد حكم امر الجاهلية واضغانها، وابتعد عن حكمة الاسلام ورحمته ، وكان المفروض، وهو مبعوث النبي ، ان يضع تعاليم الاسلام نصب عينيه ، ويجعل حكم الجاهلية تحت قدميه ، وفي هذه الكلم. ان علياً هو اعدل الموجودين ، وهو القادر على جبر القلوب المكسورة بما دفعه له النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم من اموال ، يدفعها لهم بالقسط والعدل ، دون تفريط منه في الاموال ، ولا في الحقوق .

وقام ابو تراب بما يجب ، وادى لهم دية قتلاهم ، وتعويض اموالهم ، كبيرة وحقيرة ، حتى دفع لهم ثمن مليغة الكلب ، ومن هنا تسلط الاضواء على عظمه الاسلام في عدله وقوة تعاليمه وعظمته في تمكنه من خلق رجال على مستواه ، عقيدة وعملاً .

وأثار هذا العمل المسلمين ، وراعهم ان يصدر مثله عن رجل مسلم ، فكان ان وقع كلام بين خالد وعبد الرحمن ابن عوف، تخلله تقريع وملاحاة، قال عبد الرحمن بن عوف لخالد: عملت بامر الجاهلية في الاسلام !

فقال خالد : انما ثأرت بأبيك !

فقال عبد الرحمن : كذبت، فقد قتلت انا قاتل ابي ولكنك انما ثأرت بعمك الفاكه.

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : مهلاً ياخالد دع عنك اصحابي ، فوالله ! لوكان لك أحد ذهباً ثم انفقته في سبيل الله ما ادركت غدوة رجل من اصحابي .

واني لأظن ـ والله اعلم ـ ان التشبيه من النبي بأحد هو تذكير لخالد بما فعل بالمسلمين يوم أحد، والمجزرة التي اقامها فيهم . فحول نصرهم في تلك المعركة الى هزيمة . والله العالم!!

في غزوة تبوك

من اجل المصلحة العامّة

أمر الرسول الاعظم الناس بان يتجهزوا، وأمر ذوي اليسار منهم ، بالانفاق، ومن ثم شد الرحال .. وانطلق صلى الله عليه وآله وسلم ، على بركة الله الى تبوك مخلفاً علياً على اهله في المدينة ، فارجف المنافقون وقالوا : ماخلفه الا استثقالاً منه!!

سمع علي ذلك فما هان عليه ، وأخذ سلاحه ، وانطلق حثيثاً، في اثر رسول الله ، ينشده ، حتى وافاه في الجرف ، ظاهر المدينة .

واخذ النبي الاعظم يستمع الىأبي تراب مندهشاً من سرعة لحاقه به ، ومن مجيئه، حيث خلفه على المدينة اثناء غيابه :-

﴿يانبي الله زعم المنافقون انك ماخلفتني ، وانك استثقلتني ، وتخففت مني.﴾

فأجاب النبي الكريم:

((كذبوا .. ولكنني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في اهلي واهلك، افلا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى، الا أنه لانبي بعدي))!

وتأملتُ هذا الحديث ، ووقفت في محراب عظمة الرسول الامين صلى الله عليه وآله وسلم، استلهمه سرَه ((افلا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى)) !

واستعنتُ بمراجعات السيد شرف الدين قدس سره اذ قال :

انت تعلم ان اظهر المنازل التي كانت لهارون من موسى: وزارته له وشد ازره به ، واشتراكه في امره، وخلافته عنه ، وفرض طاعته على جميع

امته بدليل قوله تعالى ((وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي❖ هَارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي❖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي))

وقوله تعالى ((اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ))

وقوله عز وجل ((أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى))

فعلي بحكم هذا النص : خليفة رسول الله في قومه ، ووزيره في اهله ، وشريكه في أمره ، على سبيل الخلافة لاعلى سبيل النبوة ، وافضل امته ، واولاهم به حياً وميتاً، وله عليهم فرض الطاعة : زمن النبي بوزارته له ، مثل الذي كان لهارون على امة موسى زمن موسى ، وبعده بالخلافة .

ومن سمع حديث (المنزلة) فانما يتبادر منه الى ذهنه هذه المنازل كلها ، ولايرتاب في ارادتها منه .

وقد اوضح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامر فجعله جلياً بقوله :

((انه لاينبغي ان اذهب الا وأنت خليفتي)) وهذا نصٌ جليٌ في إنه لو ذهب ولم يستخلفه كان قد فعل مالا ينبغي ان يفعل ، وهذا ليس الا لأنه كان مأموراً من الله عز وجل باستخلافه كما ثبت في تفسير قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)) ومن تدبر قوله تعالى ((فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)) ثم امعن النظر في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((انت ولي كل مؤمن بعدي)) فانه في هذا الحديث : انه ولي الأمر ووالياه ، والقائم مقامه فيه .

ولما كان علي خليفة رسول الله بالنص والتعين ، بدليل مامر من قول العلامة شرف الدين قدس سره ، وما يحتمه المنطق السليم ، وهذا لطف من الله جل شأنه كلطف النبوة على العباد ، حين يلهم نبيه النص على رجل

يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله وعلى ابنائه الطاهرين واحداً بعد واحد ، من بعده ، بالنص من السلف على الخلف ، وجب الأخذ عنهم والاقتداء بهم والسير على نهجهم دون سواهم ، لان حكمهم عن النبي عن الله جل وعلا ، ولأنهم كما قال عنهم ابو تراب :

﴿ موضع سره ، وملجأ أمره ، وموئل حكمته ، وكهوف كتبه، وجبال دينه : بهم أقام إنحناء ظهره ، وأذهب إرتعاد فرائصه ﴾ .

﴿ فيهم كرائم القران ، وهم كنوز الرحمن ، إن نطقوا صدقوا ، وان صمتوا لم يُسبَقوا ﴾ .

﴿ هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم ؛ لايخالفون الحق ، ولايختلفون فيه ؛ هم دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام بهم عاد الحق الى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لاعقل سماع ورواية ، فان رواة العلم كثير ورعاته قليل ﴾.

﴿ وهم أزمة الحق ، وأعلام الدين ، وألسنة الصدق ، فأنزلهم باحسن منازل القرآن ﴾ .

بـــراءة

تنطلق الى مكـــة

((بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...))

اراد صلى الله عليه وآله تبليغها الناس يوم الحج الاكبر!

فقيل له : يارسول الله لو بعثت بها الى أبي بكر ، وكان يحج بالناس.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لايؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي!

لنقف هنا للحظات ، ننعم النظر في هذا القول الشريف الذي ما قيل عن هوىً، وانما هو وحي يوحي : ((لا يؤدي عني إلا رجل من اهل بيتي)) والتأدية هنا لم تكن أمانة ، ولا دين ، ولكنه تبليغ ما أنزل الله على نبيه .

فالنبي صلى الله عليه وآله أراد تبليغ كافة الناس آمر الله تعالى فقال : لايؤدي عني إلأرجل من أهل بيتي ، فدعا علياً .

وهذا تفسير من النبي صلى الله عليه وآله وسلم للآية : ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)) وكأنه يريد أن يقول : أنَ علياً هو المعني بهذه الآية.

ولاتفوتنك ملاحظة مافي ذلك من عظيم منزلة أبي تراب فهو يبلغ رسالة السماء الى الناس يؤديها نيابة عن ابن عمه بعد ان طهره الله وأذهب عنه الرجس.

فدعا علياً.. (وقال له اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى : انه لا يدخل الجنة كافر ، ولايحج بعد العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عهد ، فهو له الى مدته .

فخرج علي على ناقة الرسول العضباء، وأدى عن الرسول صلى الله عليه وآله، ما أمره به.

بين الحديبية وصفين

استيقظ النبي ذات صباح ليخبر أصحابه : أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى في المنام أنه دخل البيت الحرام هو وأصحابه ، آمنين ، محلقين رؤوسهم ومقصرين .

ثم ندب النبي صلى الله عليه وآله أصحابه للخروج إلى مكة. واستنفر معهم غير المسلمين من القبائل المجاورة ليعلم الناس أن ما تشيعه قريش : من أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يمنع غير المسلمين من دخول البيت الحرام هو محض افتراء وإفك .

خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لبّى نداءه من العرب ، وكان جميعهم قرابة الألف والخمسمائة ، وساق معه الهدي سبعين بدنة ، وليس معهم من السلاح إلا السيوف في أغمادها، لانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد قتالاً.

واحرم بالعمرة ، وبينما هو في الطريق إذ جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه ، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: غوَرت ولا سلاح معك!!

قال صلى الله عليه وآله وسلم : لم نجيء لقتال .

قال بديل : هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل ، وقد تلبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بذي طوى ، يعاهدون الله

أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا . وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى (كراع الغنيم) .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ، فأن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة؟! فما تظن قريش ؟! فوالله ! لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة .

فقال بديل : سأبلغهم ما تقول .

ثم رجع بديل بمن معه حتى أتى القوم فقال : إنّا جئنا من عند محمد ، أتحبون أن نخبركم عنه ؟؟

فقال صفوان بن أمية والحارث بن هشام : اخبرنا بالذي رأيتم .

فأفضى إليهم بديل بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قالوا : فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ولا تتحدث عنا العرب بذلك أبداً .

فقام عروة بن مسعود الثقفي – وكان رجلاً من ذوي الرأي والمكانة في قومه – فقال لهم : يا قوم ألستم بالوالد ؟!

قالوا : بلى !

قال : فهل تتهمونني ؟

قالوا : لا ! ما أنت عندنا بمتهم .

قال : ألستم تعلمون إني استنفرت أهل عكاظ ، فلما امتنعوا من الإجابة جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟!

قالوا : بلى!

قال : فان هذا _ يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم - قد عرض عليكم خطة رشد إقبلوها ، ودعوني آتيه .

قالوا : إئته .

ولما بلغ المسلمون الحديبية بركت ناقة النبي القصواء ، فقال الناس : خلأت القصواء ..وظنوا أنها فعلت ذلك من جهد .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكنها حبسها حابس الفيل . لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة رحم ، وهي من حرمات الله إلا اعطيتهم إياها .

ثم زجر – صلى الله عليه وآله وسلم – الناقة فوثبت ، فعدل عنها حتى نزل بأقصى الحديبية . ثم أمر – صلى الله عليه وآله وسلم – الناس بالنزول.

فقالوا : يا رسول الله ! ما بالوادي ماء فننزل عليه . فنزع صلى الله عليه وآله وسلم سهماً من كنانته أعطاه رجلاً منهم ، وأمره – صلى الله عليه وآله وسلم – أن يغرزه في قليب نزح حتى نضب ماؤه . . فلما فعل ذلك جاش الماء فشربوا منه ، حتى صدروا عنه جميعاً رواء ، فنزلوا واطمأنوا إلى كفايتهم منه .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب وأمره أن يذهب إلى مكة فيخبر قريشاً أنه - صلى الله عليه وآله وسلم – لم يأت لقتال ، وانما جاء معظماً للبيت الحرام .

فقال عمر : يا رسول الله ! إني أخاف قريشاً على نفسي ولكني أدلك على رجل هو اعز بها مني ، عثمان بن عفان . فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن عفان برسالته إلى قريش .

ثم تمت بيعة الشجرة إذ بايعه – صلى الله عليه وآله وسلم – أصحابه على الموت.

وإنه – صلى الله عليه وآله وسلم – لكذلك إذ وافاه عروة بن مسعود الثقفي، وساءله عن هدفه في التوجه الى مكة وتجاذبا الحديث ..ثم رجع عروة مأخوذاً بما رأى وسمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يهز عروة صدق النبي ووفاؤه وإخلاصه في دعوته ، ويذهله ما شاهده من تعظيم اصحابه له ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعد ما قصّ على قومه القصص قال لهم : قد عرض عليكم ﴿محمد﴾ خطة رشد فاقبلوها .

وكان الحليس سيد الاحابيش بينهم ، فقال : دعوني آته .

ووافى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديبية ، فلما راى النبي وقد حبس الهدي في عرض الوادي في قلائده لم يجد ما يقوله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يرى ما يدل على قصده ، فعاد الى قريش وقال لهم : يا معشر قريش: اني رأيت ما لا يحل ، صد الهدي في قلائده.

فقالوا: اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك !! فغضب لذلك وقال : والله ما على هذا عاهدناكم أن تصدوا عن البيت من جاءه معظماً ، والله ! لتخلن بين محمد وبين ما جاء به، أو لأنفرنّ بالاحابيش نفرة رجل واحد .

فلانوا له واستعطفوه ، وقالوا : مه! كفّ عنّا يا حليس ، حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به من محمد .

فقام مكرز بن حفص فقال : دعوني آته ، وكان رجلاً معروفاً بالغدر.. ولما دنا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الرسول : هذا مكرز وهو رجل غادر، ثم اخذ يؤدي عن قومه، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم : يجيبه بمثل ما اجاب به بديلاً وعروة .

وبينما هما كذلك إذ جاء سهيل بن عمرو العامري وكان خطيب قومه المفوه، جاء ومعه حويطب بن عبد العزى ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقبلاً ، قال - صلى الله عليه وآله وسلم -: قد سهل لكم من امركم ، قد ارادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل . وما زالا يتراجعان الكلام في حوار حتى اتفقا على شروط الصلح ، قضت بتهادن الفريقين عشر سنين لا يقع فيها قتال ، ويأمن خلالها بعضهم بعضاً . ولما تمّ بينهما الاتفاق ، ولم يبقَ إلا كتابة العهد بذلك ، جاء عمر بن الخطاب ، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ألم تقل لنا لتدخلن المسجد الحرام؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم ! أقلتُ لكم هذه السنة ؟؟

فقال عمر : لا !

قال صلى الله عليه وآله وسلم : تدخلونه إن شاء الله .

ثم قال عمر : ألست برسول الله ؟!

قال صلى الله عليه وآله وسلم : بلى!

قال عمر: ألسنا بالمسلمين ؟!

قال صلى الله عليه وآله وسلم : بلى!

قال عمر : اليسوا بالمشركين؟!

قال صلى الله عليه وآله وسلم : بلى !

قال عمر : فلِمَ نعطي الدنية في ديننا ؟!

قال صلى الله عليه وآله وسلم : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره، ولن يضيعني.

ثم دعا صلى الله عليه وآله وسلم علياً (عليه السلام) وأمره أن يكتب العهد، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

فقال سهيل : لا اعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم .

فضج المسلمون وثاروا ، وقالوا : والله لا يكتبها ، وانما يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم .

فأسكتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : اكتب : باسمك اللهم.

فأخذ عمر بيد علي يريد أن يمنعه من كتابة الصحيفة . وحتى قال له ابو عبيده وهو يسمعه يرد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الا تسمع يا ابن الخطاب قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟!! اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

وقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ياعمر إني رضيت وتأبى!!

ثم قال لعلي : أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو .

فقال سهيل: لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ، ولم نصدك عن البيت. ولكن اكتب باسمك واسم ابيك .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لعلي (عليه السلام) : أمح ﴿ رسول الله ﴾ .

فقال علي: والله لا امحك أبدا .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أرنيه .

أراه إياه فمحاه صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : أنا رسول الله وإن كذبتموني .

فجعل علي يبكي فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : أكتب ، فان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور !!!

وتمرُ الايام وتأتي صفين ، في ذي الحجة من سنة سبع وثلاثين للهجرة ليقوم ابو تراب عشية الثلاثاء ، ليلة الاربعاء ، فقال : ﴿ الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض ، وما أبرم لا ينقضه الناقضون لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الامة في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله .. وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الاقدار فلفَت بيننا في هذا المكان فنحن من ربنا بمرأى ومسمع ، فلو شاء عجل النقمة، وكان منه التغيير، حتى يكذَب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الاعمال، وجعل الآخرة عنده ، هي دار القرار ((لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)) .. ألا انكم لاقوا القوم غداً ، فاطيلوا الليلة القيام ، واكثروا تلاوة القران ،وسلوا الله عز وجل النصر والصبر ، والقوهم بالجد والحزم ، وكونوا صادقين ﴾ ثم انصرف (عليه السلام) .

وهكذا بدأ ابو تراب يحول أحداث صفين الى دروس تربوية تربى بها أصحابه، ومن خلالهم الناس ، كل الناس : الصبر ، والجد ، والحزم ، والصدق . وإنه ليفعل هذا والحديبية ماثلة أمامه لأن ختام صفين هو ختام الحديبية فيملك المشرعة ولا يمنع أهل الشام الماء ، وإن ملكوها قبله ومنعوه الماء ، لأنه يرى أن الماء ملك الجميع بلا فرق بين هذا وذاك .

ويخاطب أصحابه ﴿ اكره أن تكونوا سبابين ﴾ لانه (عليه السلام) يعلم ان هذا ليس من شيمة الرجال الاشداء في القتال الاقوياء في الله ، وانما هو جهد العاجز وناقصي الرجولة ، لان الرجل الرجل لا يستعمل

لسانه ألا في ذكر الله تعالى وفي الخير كله .

ثم استقبل عليه السلام جند معاوية غداة الاربعاء ، فقال : ﴿ اللهم رب السقف المرفوع المحفوظ المكفوف ، الذي جعلته مغيضاً للّيل والنهار ، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ، ومنازل النجوم ، وجعلت سكانه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة .. وربَّ هذه الارض التي جعلتها قراراً للانام والهوام والانعام ، وما لا يحصى مما لا يرى ومما يرى من خلقك العظيم . . وربَّ الفُلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس . . وربَّ السحاب المسخر بين السماء والارض ..ورب البحر المسجور المحيط بالعالم ..وربَّ الجبال الرواسي التي جعلتها للارض أوتاداً وللخلق متاعاً . . إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي ، وسددنا للحق ، وإن اظهرتهم علينا فأرزقني الشهادة ، واعصم بقية اصحابي من الفتنة ﴾ .

وهذا هو الدرس الثاني الذي ارسى قواعده ابو تراب وهو طلب الحق وكراهية البغي والفتنة وطلب الشهادة .

وفي يوم الخميس اشتد القتال بين الطرفين واشترك فيه معاوية فيملك عليٌّ المشرعة ولا يمنع أهل الشام الماء ، وإن ملكوها قبله ومنعوه الماء ، لأنه يرى أن الماء ملك الجميع بلا فرق بين هذا وذاك .

ويخاطب أصحابه ﴿ أكره أن تكونوا سبابين ﴾ لأنه عليه السلام يعلم أن هذا ليس من شيمة الرجال الأشداء في القتال الأقوياء في الله ، وإنما هو جهد العاجز وناقصي الرجولة ، لأن الرجل الرجل لا يستعمل لسانه إلا في ذكر الله تعالى وفي الخير كله . ثم أن علياً حرَض الناس يوم صفين فقال : ﴿ إن الله عز وجل قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تشفى بكم على الخير : الايمان بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ،

والجهاد في سبيل الله تعالى ذكره ، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة في جنات عدن ، ثم اخبركم أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع وأخروا الحاسر ، وعضّوا على الاضراس ، فانه أنبى للسيوف عن الهام...﴾.

وهنا بدأ ابو تراب يملي دروسه العسكرية التعبوية والسوقية على جنده ، واهمها الثبات على الحق وعدم التفكير بالفرار من الزحف فيكونوا، كما قال : ﴿فلا تعرضوا لمقت الله سبحانه ، فانما مردكم الى الله ، قال الله عز من قائل لقوم: ((لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون الا قليلاً)) وأيم الله لئن سلمتم من سيف العاجلة ، لا تسلمون من سيف الاخرة . استعينوا بالصدق والصبر . فان بعد الصبر ينزل الله النصر﴾.

ويؤكد ابو تراب حقيقة ثابتة هي : النصر بالصبر .

وتستمر المعركة ويبلي مالك الاشتر بلاءً حسناً بقوة الايمان وصدق اليقين وثبات الحق وحب علي ، مجاهداً في المعركة بسنانه ولسانه ، ومقاتلاً محرضاً ، وهو كما قال حاتم الطائي :

أخو الحرب إن عضت به الحربُ عضها

وإن شمرت يوماً به الحرب شمرا

ويشتد ظمأ عمار بن ياسر ، ويستسقى ، فيسقى ضياحاً من لبن ، ويشرب عمار ويقول : الجنة تحت الاسنة، اليوم القى الأحبة محمداً وحزبه، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحق، وانهم على الباطل .

هذه مدرسة ابي تراب التي تعلم منها عمار بن ياسر والمسلمون جميعاً الثبات على الحق .

ثم يُقتل أبو اليقظان ويصدق الصادق الامين في نبؤته : (يا عمار ! ستقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك ضياح من لبن)

وينظر اليه ابو تراب ويقول : صدق حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والحديبية ماثلة أمامه ، لان نهاية صفين هي نهاية الحديبية كما حدثهُ الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم .

وكانت ليلة الهرير – حيث استمر القتال ليلاً بعد انقضاء النهار – ولا يسمع من المقاتلين الا أصواتهم في المعركة ، صف عليٌّ قدميه بين الصفَّين ليؤدي صلاة الليل ، وافتُقِدَ ، فوجد بين يدي ربه يدعوه ويتضرع اليه ، فيقال له: اهذا وقتها ؟! فيقول : إن لم يكن هذا وقتها ، فما هو وقتها ؟

وقالوا لعلي : (عليه السلام) في صبيحتها : القتلى منا تسعة وتسعون. قال : ما كَذبتُ ولا كُذِّب بي ، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انهم مئة .

حتى شَكَّ بعضهم في قرارة انفسهم .

فاقبل رجل آدم طويل القامة عليه مِدرعَة من شعر وسلَّم على امير المؤمنين (عليه السلام) وطلب الاذن بالقتال فأبلى بلاء حسناً ثم قُتل ، فقيل: من هذا ؟! قالوا أويس القرني .

ونرى امير المؤمنين (عليه السلام) : يقول صدق حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والحديبية ماثلة امام عينيه لان ختام صفين كختام الحديبية .

ولما راى عمرو بن العاص أن امر اهل العراق قد اشتد ، وخاف في

ذلك الهلاك ، قال لمعاوية : هل لك في امر أعرضه عليك ، لا يزيدنا الا اجتماعا ، ولا يزيدهم الا فرقة ؟!! قال معاوية نعم !

قال عمرو بن العاص نرفع المصاحف ، ثم نقول ما فيها حكم بيننا وبينكم، فان أبى بعضهم أن يقبلها ، وجدت من يقول فيهم : بلى ! ينبغي أن نقبل ، فتكون فرقة تقع بينهم ، وإن قالوا : بلى ! نقبل ما فيها ، رفعنا هذا القتال عنا وهذه الحرب الى أجل أو الى حين .

فكانت خدعة رفع المصاحف .

وافترق الجيش الى فرق !

وحارب معاويةُ علياً بافتك سلاح : الجهل .

وفُرِضَ الحكمان على علي ، وكلاهما ضد مبادىء علي : عمرو بن العاص وابو موسى الاشعري !!

وذرَّ الجهل قرنه ، وحلّت دكتاتورية الغوغاء ، وغاب عن الحليم حلمه، وفاز الحكمان برضا معاوية ، وبدأت فتاوى الغوغاء الجهلة تظهر ، والتكفير للاخرين بالجملة .

ثم جاء الختام ، ختام صفين ، كختام الحديبية .

فقال ابو تراب : ﴿ فاحفظوا عني نهيي إياكم ، واحفظوا مقالتكم لي، أمَا أنا فإن تطيعوني تقاتلوا ، وإن تعصوني ما بدا لكم !﴾ .

قالوا له : أما لا ، فابعث الى الاشتر فليأتِك .

فدُعي الاشتر .

فأقبل، حتى انتهى اليهم فقال: يا اهل العراق ! يا اهل الذل والوهن، حين علوتم القوم ظهراً ، وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها ، وقد والله تركوا ما امر الله عز وجل به فيها ، وسنة

مَنْ أنزلت عليه صلى الله عليه وآله وسلم فلا تجيبوهم ، أمهلوني عدوَ الفرس ، فاني قد طمعت في النصر .

قالوا : دعنا منك يا اشتر ! قاتلناهم في الله عز وجل ، وندع قتالهم لله سبحانه، إنّا لسنا مطيعيك ولا صاحبك - يعنون علياً (عليه السلام) - فاجتنبنا .

فقال : خُدعتم والله فانخدعتم ، ودُعيتم الى وضع الحرب فأجبتم .

يا اصحاب الجباه السود ! كنا نظن صلواتكم زهادة في الدنيا ، وشوقاً الى لقاء الله عز وجل ، فلا أرى فراركم إلا الى الدنيا من الموت . ألا قبحاً يا اشباه النيب - الابل- الجلاّلة ، ما انتم برائين بعدها عزاً أبداً ، فابعدوا كما بَعُدَ القوم الظالمون .

فسبوه ، وضربوا وجه دابته بسياطهم .

وصاح بهم الامام (عليه السلام) ، فكفوا .. ويعصون مرة أُخرى وقد نهاهم عليه السلام عن السب من قبلُ !!

وبدأت المفاوضات ..وفُرض التحكيم .. وفُرض الحكمان وتمّ ما أراد معاوية وأبن العاص حين وضع خطتهما.وجاء وقت كتابة العهد ، وشخصت الحديبية أمام ابي تراب فكتبوا :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه علي امير المؤمنين ...

فقال عمرو : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم ، فاما أميرنا فلا !!

وقال له الاحنف : لا تمح اسم إمارة المؤمنين ، فاني أتخوف إن محوتها لا ترجع إليك ابداً ، لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً . فابى عليٌّ (عليه السلام) ذلك ملياً من النهار .

وقال : ﴿ الله اكبر سُنّة بسُنّة ، ومثل بمثل ، والله اني لكاتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية ، إذ قالوا : لست رسول الله ، ولا نشهد لك به ، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فكتبه ﴾ .

فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ! ومثل هذا أن نشبّه بالكفار ونحن مؤمنون؟!!

وكتب الكاتب وثيقة الهدنة ، وخُتمت صفين كما خُتمت الحديبية .

نهاية الصفاء . . .

وبداية النزاع !!

نهاية الصفاء
وبداية النزاع

كانت الوفود تترى على الرسول الأمين تعلن اسلامها ، وتأييدها للنور الجديد الذي أضاء أرجاء الجزيرة العربية بمبادئه، وكان آخر الوفود : وفد اليمن ، التي ذهب اليها أبو تراب وحوّل ظلام كفرها الى نور الإيمان بالإسلام .

وبينما كان علي يتأهب للعودة من اليمن، كان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم يستعد للحج ، ويأمر الناس بالتجهز له .

واشرف ابو تراب على مكة قادماً من اليمن ، وسمع هتاف المسلمين من أعماقهم يخرج، وبالروحانية مشبع ، يشق الاجواء((لبيك اللهم لبيك))

ومَسَ هذا الهتاف شغاف أبي تراب مساً رقيقاً ، جعل عواطفه وحواسه مع المسلمين ((لبيك لاشريك لك لبيك)) في طوافهم ، ومناسكهم ، وجسمه يحث السير للحاق بركب النبي الاعظم وشفتاه تردد مع نداء المسلمين ((إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك ، لبيك)).

وآخيراً وصل وشهد ذلك الموقف العظيم مع المسلمين .

ذلك الموقف الذي يجمع المسلمين هدفاً ووحدة ومصيراً في اتجاه واحد، ووجهة واحدة، عنوانها كلمة التوحيد ، وغايتها وحدة الكلمة ،

يدخل علي على فاطمة خيمتها ، فيجدها قد حلت من عمرة التمتع ، فيقول لها : مالك يابنت رسول الله ؟

قالت : أمرنا رسول الله ان نحل بعمرة ، فحللنا .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحدثه عن نتائج سفرته الى اليمن ، وحين فرغ من ذلك ، قال له النبي : انطلق ، وطف

بالبيت وحلّ كما حَلّ اصحابك .

قال : يارسول الله اني قلت حين أحرمت : اللهم اني أُهلّ بما أهلّ به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وآله.

قال النبي : فهل لك من هدي ؟

قال : لا

فأشركه في هدية ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى فرغا من الحج ، نحر الرسول الكريم الهدي عنهما ، ثم علم الناس مناسكهم ، وخطب فيهم .

وتمت المناسك ، وعاد الحجيج ادارجهم الى يثرب يتقدمهم الهادي البشير ، وما ان وصل القوم الى غدير خم ، أرسل الرسول الى من تقدم ان يرجع ، والى من تخلف ان يلحق ، وكان المكان مفترق طرق .

وقف الجميع، ومن شدة حر ذلك اليوم كان احدهم يضع جزءاً من ردائه على رأسه وما تبقى يرسله تحت قدميه ، وقف الجميع ينصتون بصمت رهيب لحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتلو :

((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ))

ثم قال: ((أيها الناس يوشك ان أُدعى فأُجيب واني مسؤول، وانكم مسؤولون، فماذا انتم قائلون ؟))

قالوا : نشهد انك بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((أليس تشهدون الا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، وان جنته حق ، وان ناره حق ، وان الموت حق ، وان البعث حق بعد الموت ، وان الساعة آتيّة لاريب فيها ، وان الله يبعث من في

القبور)) ؟

قالوا : بلى نشهد بذلك .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم إشهد .

ثم قال : ((ايها الناس، ان الله مولاي ، وانا مولى المؤمنين ، وانا اولى بهم من انفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم والِ من والاه ،وعادِ من عاداه .))

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر في هذه الخطبة اموراً: كل منها له شأن عظيم ، ومغزى، ومرمى بعيد ، هدفه بذلك مصلحة المسلمين العليا .

ومن هذه الامور :

انه نعى نفسه للقوم .. لماذا ؟ ؟

وانه ذكّرهم انهم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله واعقب ذلك بالنص .. لماذا؟ ؟

النص على علي بالذات .. لماذا ؟ ؟

يتضح من سير الاحداث : انه نعى نفسه لأنّهُ يريد ان ينبههم بان الساعة ازفت ، ولابد من تعيين رجل عليه المعوُل وبه الكفاءة التامة ، ومن جميع الوجوه ، ليقوم باستمرارية نشر الدعوة الاسلامية بماهيتها بعد ان يرحل المؤسس فيكون هو الباني.

وذكّر المسلمين بالشهادتين واقرارهم بهما، واعقب ذلك بالنص، اشارة صريحة الى ان هنالك دعامة ثالثة في بنيان الكيان الاسلامي الى جنب هاتين الدعامتين الاوهي(الولاية لعلي على المؤمنين نصاً) .

وانه صلى الله عليه وآله نص على ذلك، بعد ان ذكر المسلمين بأنه أولى بهم من انفسهم، فهو كما نشر الدعوة الاسلامية لصالح البشرية، دون

رغبته في جزاء من احد،لا يرجو بذلك الا الله تعالى ، فهو ينص على عليَ لصالح البشرية آيضاً،دون جزاء او شكر ، واضعاً نصب عينيه قوله تعالى : (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)

واني لأعتقد جازماً، واقولها ناصحاً: بان الوحدة الاسلامية، سواء أكانت عقائدية فكرية، أم سياسية ، لايتم بناؤها الا بالاخذ عن اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وبذلك يرفرف علم الاسلام المرتقب على انحاء الدنيا من جديد كما وعدنا الله سبحانه بقوله الكريم : ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ))

ولنعد الى (خمَ) ولنستمع الى قوله تعالى بعد النص على علي بالولاية : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً)

حديث الغدير

(كما اتفق عليه الرواة والمؤرخون والمفسرون ، نقلا من كتاب الغدير لمؤلفه الحجة الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سره) ج١ ص٩ - ١٢

اجمع رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج للحج في سنة عشر من مهاجره ، واذن في الناس بذلك ، فقدم المدينة خلق كثير يأتمون به في حجته تلك ، التي يقال عليها :حجة الوداع ، وحجة الاسلام ، وحجة البلاغ ، وحجة الكمال ، وحجة التمام، ولم يحج غيرها ، منذ هاجر الى ان توفاه الله. فخرج صلى الله عليه وآله من المدينة مغتسلا ، متدهناً ، مترجلاً ، متجرداً ، في ثوبين صحاريين : ازار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليال، او ست ، بقين من ذي القعدة و اخرج معه نساءه في الهوادج ، وسار معه اهل بيته ، وعامه المهاجرين والانصار ، ومن شاء الله من قبائل العرب ، وأفناء الناس .

وعند خروجه صلى الله عليه وآله، اصاب الناس بالمدينة جُدري او حصبة ، منعت كثيرا من الناس من الحج معه صلى الله عليه وآله ، ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها الا الله تعالى.

وقد يقال : خرج معه تسعون الف ، ويقال : مئة الف ، واربعة عشر الفاً ، وقيل: مئة الف وعشرون الفاً ، وقيل : مئة الف واربع وعشرون الفاً ، ويقال: اكثر من ذلك ، وهذه عدة من خرج معه ، و اما الذين حجوا معه فاكثر من ذلك : كالمقيمين بمكة ، والذين اتوا من اليمن مع على امير المؤمنين وابي موسى .

اصبح صلى الله عليه وآله يوم الاحد بيلملم ، ثم راح فتعشى بشرف

السياله ، وصلى هناك المغرب والعشاء ،ثم صلى الصبح بعرق الظبية ، ، ثم نزل الروحاء ، ثم سار من الروحاء فصلى العصر بالمنصرف ، وصلى المغرب والعشاء بالمتعشى وتعشى به ، وصلى الصبح بالاثابة ، واصبح يوم الثلاثاء بالعرج، واحتجم بلحى جمل ((وهو عقبة الجحفة))، ونزل السقياء يوم الاربعاء ، واصبح بالابواء ،وصلى هناك ثم راح من الابواء ، ونزل يوم الجمعة الجحفة ، ومنها الى قدير وسبت فيه ، وكان يوم الأحد بعسفان ، ثم سار فلما كان بالغميم اعترض المشاة فصفوا صفوفا فشكوا اليه المشي ، فقال: استعينوا بالنسلان (مشي سريع دون العدو) ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الاثنين بمر الظهران ، فلم يبرح حتى امسى وغربت له الشمس بسرف ، فلم يصلِ المغرب حتى دخل مكة ،ولما انتهى الى الثنيتين بات بينهما فدخل مكة نهار الثلاثاء .

فلما قضى مناسكه وانصرف راجعا الى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات ، ووصل الى غدير خمٍ من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين ، وذلك يوم الخميس ، الثامن عشر من ذي الحجة ، ونزل اليه جبرئيل الامين عن الله بقوله : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) الاية . وأمره ان يقيم علياً علما للناس ، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية ، وفرض الطاعة على كل احد ، وكان اوائل القوم قريبا من الجحفة ، فامر رسول الله ان يرد من تقدم منهم، ويحبس من تاخر عنهم في ذلك المكان ، ونهى عن سمرات خمس متقاربات ، دوحات عظام ، ان لا ينزل تحتهن احد ، حتى اذا اخذ القوم منازلهم فقم ما تحتهن حتى اذا نودي بالصلاة ، صلاة الظهر ، عمد اليهن فصلى بالناس تحتهن ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة

الرمضاء ، وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس ، فلما انصرف صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته قام خطيباً وسط القوم على اقتاب الابل ، وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته فقال:

الحمد لله ، نستعينه ، ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا، ومن سيئات اعمالنا ، الذي لا هادي لمن ضل ، ولا مضل لمن هدى، واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله ، اما بعد ... ايها الناس قد نبأني اللطيف الخبير : انه لم يعمر نبي الا مثل نصف عمر الذي قبله، واني اوشك ان ادعى فأُجيب ، واني مسؤول ، و انتم مسؤولون، فماذا انتم فاعلون ؟

قالوا : نشهد انك قد بلّغتَ ونصحتَ وجهدتَ فجزاك الله خيراً .

قال : الستم تشهدون ان الا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله ، وان جنته حق وناره حق ، وان الموت حق ، وان الساعة آتيةٌ لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور ؟

قالوا : بلى نشهد بذلك

قال : اللهم اشهد .

ثم قال : ايها الناس الا تسمعون ؟!.

قالوا : نعم !.

قال : فإني فرط على الحوض ،وأنتم واردون عليَ الحوض ، وان عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة ، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين .

فنادى منادٍ : وما الثقلان يارسول الله ؟

قال : الثقلُ الاكبر: كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم

فتمسكوا به ، لا تضلوا . والآخر الأصغر : عترتي ، وان اللطيف الخبير نبأني : إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فسألت ذلك لهما ربي ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا .

ثم أخذ بيد علي ، فرفعها ، حتى رؤي بياض اباطهما ، وعرفه القوم اجمعون، فقال : ايها الناس من اولى الناس بالمؤمنين من انفسهم ؟.

قالوا : الله ورسوله اعلم! .

قال : ان الله مولاي ، وانا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من انفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، يقولها ثلاث مرات ، وفي لفظ احمدإمام الحنابلة : أربع مرات .

ثم قال : اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من احبه ، وابغض من بغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وادر الحق معه حيث دار ، الا فليبلغ الشاهد الغائب . ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله : ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)) الآية .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي ، والولاية لعلي من بعدي .

ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وممن هنأه في مقدم الصحابة : الشيخان ، أبو بكر وعمر ، كلٌ يقول بخٍ بخٍ لك يا ابن ابي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

وقال إبن عباس : وجبت والله في اعناق القوم .

فقال حسان : إئذن لي يا رسول الله ان اقول في علي ابياتاً تسمعهن .

فقال : قل على بركة الله .

فقام حسان ، فقال : يا معشر مشيخة قريش ، أتبعها قولي: بشهادة من

رسول الله في الولاية ماضية ، ثم قال :

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم فأسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكم ونبيكم ... فقالوا؛ ولم يبدوا هناك التعاميا:
الهك مولانا وانت نبينا ... ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له : قم يا علي ، فانني ... رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له اتباع صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه ... وكن للذي عادا علياً معاديا

﴿ لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله ، من هذه الأمة أحد ، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم ابداً : هم أساس الدين ، وعماد اليقين : اليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة ﴾ .

صدق أبو تراب

ابو تراب
يتحدث عن نفسه

• ان محلي منها محل القطب من الرحى : ينحدر عني السيل ، ولا يرقى اليّ الطير ، فسدلتُ دونها ثوباً ، وطويتُ عنها كشحاً . وطفقتُ أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذَاء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح مؤمن حتى يلقى ربه . فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذىً ، وفي الحلق شجا ، أرى تراثي نهباً.

• بنا إهتديتم في الظلماء ، وتسنمتم العلياء ، وبنا انفجرتم عن السرار.... اليوم أنطق لكم العجماء ذاتَ البيان ، غربَ رأي أُمرئ تخلف عني ، ما شككت في الحق مذ أُريته ، ولم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه ، اشفق من غلبة الجهّال ودول الضلال .

• فان أقُل ، يقولوا : حرص على الملك ، وإن أسكت ، يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيَا والتي والله لأبن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه ، بل إندمجت على مكنون علم لو بحتُ به لاضطربتم اضطرابَ الأرشية (أي الحبل) في الطوى (أي البئر) البعيدة .

• والله لا اكون كالضبع : تنام على طول اللدم ، حتى يصل اليها طالبها ، ويختلها راصدها، ولكني اضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه ، وبالسامع المطيع العاصي المريب ابداً ، حتى يأتي عليَ يومي ، فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستاثراً عليَ منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يوم الناس هذا.

• لسنا نرعد حتى نوقع ،ولا نسيل حتى نمطر.

• ان معي لبصيرتي : ما لبست على نفسي ، ولا لُبِسَ عليَ، وأيم الله

لا أفرطنّ لهم حوضاً انا ماتحه ، لا يصدرون عنه ، ولا يعودون اليه .

• والله ما كتمتُ وشمة ، ولا كذبتُ كذبة .

• لقد كنت ماأهدد بالحرب، ولا أُرهبُ بالضرب، وإني لعلى يقين من ربي، وغير شبهة من ديني .

• فنظرتُ فاذا ليس لي معين الا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت ، وأغضيت عن القذى ، وشربت على الشجى ، وصبرت على أخذ الكظم ، وعلى أمر من طعم العلقم .

• لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ،وها أنا ذا قد ذرفت على الستين.

• ما ضعفتُ ولا جبنتُ ،.. فلأنقبنّ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه.

• فقمت بالأمر حين فشلوا ،وتطلعت حين تقبعوا ، ونطقت حين تمنعوا، ومضيت بنور الله حين وقفوا ، وكنت اخفضهم صوتاً ، واعلاهم فوتاً ، فطرت بعنانها ، واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ، ولا تزيله العواصف ، لم يكن لأحد فيّ مهمز ، ولا لقائل فيّ مغمز ، الذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له ، والقوي عندي ضعيف حتى اخذ الحق منه. رضينا عن الله قضاءه ، وسلمنا لله امره ، اتراني اكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ والله لأنا اول من صدّقه فلا اكون اول من كذب عليه . فنظرت في امري فاذا طاعتي سبقت بيعتي ، واذا الميثاق في عنقي لغيري .

• قد يرى الحوّل القلب وجة الحيلة ودونه مانع من امر الله ونهيه فيدعها راي العين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في دين.

• اما قولكم : أكلّ ذلك كراهية الموت ؟ فوالله ما ابالي ادخلت على الموت، او خرج الموت اليّ .

واما قولكم : شكاً في اهل الشام ، فوالله ما دفعت الحرب يوماً الا وانا اطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي ، وتعشوا الى ضوئي ، وذلك احب اليّ من ان اقتلها على ضلالها ، وان كانت تبوء بآثامها .

•.... اما البراءة فلا تتبرأوا مني ، فاني ولدت على الفطرة ، وسبقت الى الايمان والهجرة .

• ولكني بلغني انكم تقولون : عليّ يكذب (والخطاب لأهل العراق) قاتلكم الله ، فعلى من اكذب ؟ اعلى الله ؟ فانا أول مَنْ آمن به ، ام على نبيه؟ فأنا أول من صدقه ، كلا والله ! ولكنها لهجة غبتم عنها ، ولم تكونوا من أهلها . ويلمَه ؟ كيلاً بغير ثمن لو كان له وعاء (يعني علمه لو صادف او وجد نفوسا قابلة وعقولاً عاقلة) ولتعلمن نبأه بعد حين .

• لقد علمتم اني أحق الناس بها من غيري (يعني الخلافة) ووالله لأُسَلِّمَنَّ ما سلِمَت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة التماسا لأجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزِبرجه .

• أنا حجيج المارقين ، وخصيم المرتابين ،وعلى كتاب الله تعرض الأمثال ، وبما في الصدور تجازى العباد .

• أما والله اني ليمنعني من اللعب ذكرُ الموت .

• إن من أحب عباد الله اليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف ، فزهر مصباح الهدى في قلبه ، وأعدّ القرى ليومه النازل به ، فقرب على نفسه البعيد ، وهون الشديد ، نظر فأبصر، وذكر فاستكثر ، وارتوى من عذب فرات سهلت موارده ، فشرب نهلاً ، وسلك

سبيلاً جدداً ، قد خلع سرابيل الشهوات ، وتخلى من الهموم إلاهماً واحداً انفرد به ، فخرج من صفة العمى ، ومشاركة اهل الهوى ، وصار من مفاتيح ابواب الهدى ، ومغاليق أبواب الردى ، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله ، وعرف مناره ، وقطع غماره ، إستمسك من العرى بأوثقها ، ومن الحبال بأمتنها ، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس : قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الامور من اصدار كل واردٍ عليه ، وتصيير كل فرع الى أصله ،مصباحُ ظلمات ، كشاف عشاوات ، مفتاح مبهمات ، دفاع معضلات، دليل فلوات ، يقول فيفهم ، ويسكت فيسلم: قد أخلص الله فاستخلصه، فهو من معادن دينه ، وآوتاد أرضه، قد الزم نفسه العدل ، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه ، يصف الحق ويعمل به ، لايدع للخير غاية الا أمها ، ولامظنة الا قصدها ، قد أمكن الكتاب من زمامه ، فهو قائده وإمامه ، يحل حيث حل ثقله ، وينزل حيث كان منزله .

• ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر ؟ واترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي ، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي .

• والله ما أسمعهم الرسول شيئاً إلا وها أنا ذا اليوم مسمعكموه.

• فأنا فقأت عين الفتنة ، ولم تكن ليجرؤ عليها أحدٌ غيري، بعد أن ماج غيهبها، واشتد كلبها، فاسألوني قبل أن تفقدوني . فوالذي نفسي بيده لاتسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولاعن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها، وقائدها ، وسائقها ، ومناخ ركابها ، ومحط رحالها، ومن يُقتل من اهلها قتلاًويموت منهم موتاً. ولوقد فقدتموني ونزلت

بكم كرائه الامور ، وحوازب الخطوب ،لأطرق كثير من السائلين، وفشل كثير من المسؤولين.

• ماضعفتُ، ولاجبنتُ، ولاخنتُ ، ولاوهنتُ ، وأيم الله لابقرنّ الباطل حتى أُخرج الحق من خاصرته .

• استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ ، وامتاحوا من صفو عين قد روقت من الكدر .

• نحن شجرة النبوة ، ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكم ، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة ، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة .

• إني للمحق الذي يتبع ، وإن الكتاب لمعي، مافارقته مُذ صحبته .

• والذي نفس إبن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على الفراش في غير طاعة الله .

• أنا كاب الدنيا لوجهها ، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها.

• علم علمه الله نبيه فعلمنيه ، ودعالي بأن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي.

• فاسألوني قبل أن تفقدوني.

• اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب : لم يسبقني إلارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة .

• والله ما أنكروا علي منكراً، ولاجعلوا بيني وبينهم نصفاً.

• لم يسرع أحدٌ قبلي الى دعوة حق ، وصلة رحم ، وعائدة كرم.

• والله لقد رقعتُ مدرعتي هذه حتى استحييتُ من راقعها، ولقد قال لي قائل:ألا تنبذها عنك ؟ فقلت: أغرب عني ، فعند الصباح يحمد القومُ

السُرى !

• إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه (أي الخلافة) وأعلمهم بأمر الله فيه.

• ألا وأني أقاتل رجلين، رجلاً ادعى ماليس له ، وآخرٌ منع الذي عليه .

• أنا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الفجار .

• وقد قال قائل : انك على هذا الامر(أي الخلافة) ياابن ابي طالب لحريص ! فقلت: بل أنتم والله لاحرص وأبعد ، وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبتُ حقاً لي ، وانتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه.

اللهم اني أستعينك على قريش ومن أعانهم فانهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وآجمعوا على منازعتي أمراً هو لي ، ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تتركه .

• ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله ، لما أتاه الملأ من قريش ، فقالوا له : يا محمد إنك قد إدعيت عظيماً لم يدعهُ آباؤك ولا أحد من بيتك ، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول ، وإن لم تفعل علمنا إنك ساحر كذاب

فقال صلى الله عليه وآله : وما تسألون ؟

قالوا : تدعوا لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله على كل شيء قدير فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق .

قالوا : نعم .

قال : فاني سأريكم ما تطلبون ، وإني لأعلم إنكم لاتفيئون الى

الخير..... ـ الى أن قال عليه السلام ـ

فقلت أنا : لا إله إلا الله فإني أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من أقرّ بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك .

فقال القوم كلهم : بل ساحر كذاب ! عجيب السحر ، خفيف فيه وهل يصدقك إلا مثل هذا؟

﴿ يعنونني ﴾ !!

• أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب ، وكسرت نواجم القرون : ربيعة ومضر، وقد علمتم منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة .

• والله لوشئت ان أخبر كل رجل منكم بمخرجه ،ومولجه، وجميع شأنه لفعلتُ، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا وأني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه . والذي بعثه بالحق وأصطفاه على الخلق، ما أنطق الاصدقاً ، وقد عهد اليّ بذلك كله ، وبمهلك من يهلك ، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر ، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي الأ أفرغه فى اذني وأفضى به إلي .

• إني والله ما أحثكم على طاعة الأ اسبقكم اليها ، ولا أنهاكم عن معصية الا اتناهى قبلكم عنها .

• إن أمرُنا صعب مستصعب ، لايحمله الا عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، ولايعي حديثنا الا صدور أمينة ، واحلام رزينة .

ايها الناس! سلوني قبل ان تفقدوني! فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الارض.

• إنما مثلي بينكم مثل السراج في الظلمة ليستضيء به من ولجها فاسمعوا ، أيها الناس ، وعوا ، وأحضروا آذان قلوبكم ، تفهموا .

• وإني لمن قوم لاتأخذهم في الله لومة لائم :سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الابرار ، عُمّارُ الليل ومنارُ النهار ، متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله ، لايستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ، ولايفسدون: قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل .

• فالمتقون فيها هم أهل الفضائل : منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عنهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء ، ولولا الأجل الذي كتب عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب، وخوفاً من العقاب ، عظم الخالق في انفسهم فصغر مادونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون : قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة ، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ، ارادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها : أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء من القرآن ، يرتلونه ترتيلا ، يُحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً ، وظنوا أنها نصب أعينهم ، وإذا مروا بأية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم ، وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول آذانهم ، فهم حانون على اوساطهم ، متفرشون لجباههم وأكفهم وركبهم واطراف اقدامهم، يطلبون الى الله تعالى فكاك رقابهم. وأما النهار

فحلماء علماء ابرار اتقياء ، قد براهم الخوف بري القداح، ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، ويقول قد خولطوا ، ولقد خالطهم أمرٌ عظيم : لايرضون من أعمالهم القليل ، ولايستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون ، إذا زكي أحدهم خاف مما يقال له! فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري ، وربي أعلم بي من نفسي . اللهم لاتؤاخذني بما يقولون ، واجعلني أفضل مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون .

فمن علامة احدهم : انك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين ، وايماناً في يقين، وحرصاً في علم ، وعلماً في حلم ، وقصداً في غنىً ، وخشوعاً في عبادة ، وتحملاً في فاقة ، وصبراً في شدة ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، وتحرجاً عن طمع ، يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسي وهمه الشكر ،ويصبح وهمه الذكر ، يبيت حذراً ،ويصبح فرحاً: حذراً لما حذر من الغفلة ، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة . إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب ، قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه ، ميتة شهوته ،مكظوماً غيظه ، الخيرُ منه مأمول ، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين ، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين. يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائباً منكره ، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره ، مدبراً شره ، في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لايحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه،لا

يضيع ما استحفظ ،ولا ينسى ماذكر ، ولاينابز بالالقاب ، ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب،ولايدخل في الباطل ، ولايخرج من الحق . إن صمت لم يغمه صمته ، وإ ن ضحك لم يعلُ صوته، وإن بُغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة . أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخدعة.

• إني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط ، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي نكص فيها الابطال.

• ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس ... والله ما أُستَغفل بالمكيدة، ولااستغمز بالشديدة .

• إني أكره لكم ان تكونوا سبابين .

• فأغضيتُ على القذى ، وجرعت ريقي على الشجى ، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم ، وآلم للقلب من حز الشفار .

• وأن لم اكن عمرت عمر من كان قبلي ، فقد نظرت في اعمالهم ، وفكرت في اخبارهم ،وسرت في آثارهم ، حتى عدت كأحدهم ، بل كأني بما انتهى اليّ من امورهم قد عمرت مع اولهم الى اخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره .

• لايزيدني كثرة الناس حولي عزة ولاتفرقهم عني وحشة.

• الا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه، الا وانكم لاتقدورن على ذلك ، ولكن اعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد .

فوالله ماكنزتُ من دنياكم تبرا ، ولا ادخرت من غنائمها وفرا، ولا اعددتُ لبالي ثوبي طِمرا ، ولا حزتُ من أرضها شبرا ، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبره ، ولهي في عيني أوهى واهون من عفصة مقرة ، بلى ! كانت في ايدينا فدك من كل ماأظلته السماء ، فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين .

ونعم الحكم الله ! وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غدٍ جدث ؟

- وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادةٍ تقضمها.
- والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عِراقِ خنزير في يد مجذوم .
- وانما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب المزلق ، ولو شئت لاهتديتُ الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي، الى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لاطمع له في القرص ، ولاعهد له بالشبع !! أو أبيتُ مبطاناً وحولي بطون غرثى ، وأكباد حرى !! أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داء أن تبيت ببطنة

وحولك أكباد تحن الى القدّ !

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم مكاره الدهر ؟ أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش ؟ فماخلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها ، وتلهو عما يرادبها ، أو أترك سدى، وأهمل عابثاً ، أو أجرّ حبل الضلالة، او أعتسف طريقة المتاهة.

وكأني بقائلكم يقول : إذا كان هذا قوت أبن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان ؟؟ ألاوأن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً، والنباتات البدوية أقوى وقوداً وابطأ خموداً!

وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليتُ عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها ، وسأجهد في ان أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس(أي منقلب الفكر) حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد .

• وأيم الله ـ يمينا استثنى فيها مشيئة الله ـ لأروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنعُ بالملح مأدوماً ، ولأدعن مُقلتي كعينِ ماء نَضَبَ معينها ، مستفرغة دموعها .

أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك ؟!

وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ؟!

ويأكل عليٌّ من زادهِ فيهجع ؟!

قرت إذن عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية !

• ماشككتُ في الحق مذ أريته.

• ماكذبتُ و لا كُذبتُ ، ولاظللتُ ولاضُلّ بي .

• أما الاستبداد علينا بهذا المقام ، ونحن الأعلون نسباً ، والأشدون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نوطاً ، فإنها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله والمعود اليه يوم

القيامة.

• دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لاتقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول ، وإن الافاق قد غامت ، والمحجة قد تنكرت . واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما اعلم ، ولم اصغ لقول القائل ، وعَتب العاتب ، وان تركتموني فانا كأحدكم ، ولعلي أسمعكم وأطوَعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزير ، خير لكم مني أمير.

• فما راعني إلا والناس كعرف الضبع اليّ ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم ، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت اخرى ، وقسط آخرون ، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : ((تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) بلى! والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم، وراقهم زبرجها .

أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن يقاروا على كضة ظالم، ولا سغب مظلوم ، لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز .

• لم تكن بيعتكم إياي فلتة (يعني قول عمر بن الخطاب : كانت بيعة ابي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها) وليس أمري وامركم واحد : إني اريدكم لله ، وانتم تريدونني لأنفسكم .

أيها الناس : أعينوني على انفسكم ، وأيم الله لانصفن المظلوم من ظالمه ، ولأقودن الظالم بخزامته ، حتىأرده منهل الحق ، وإن كان كارهاً .

• فأقبلتم اليّ إقبال العُوَذ المطافيل على أولادها تقولون : البيعة ،

البيعة!! قبضتُ يدي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجذبتموها !

• والله ماكانت لي في الخلافة رغبة ، ولافي الولاية إربة ، ولكنكم دعوتموني اليها ، وحملتموني عليها ، فلما أفضت إليّ نظرت الى كتاب الله، وما وضع لنا ، وأمرنا بالحكم به ، فاتبعته ؛ وما إستن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقتديته.

• فان الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين ، فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فو الله ماكان يلقى في روعي، ولايخطر ببالي ان العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته ، ولاإنهم منعوه عني من بعده!

وتُختَمُ الرسّالات

رجع النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع الى المدينة، وهو يرقب دنوأجله، وشعر الرسول الاعظم بطلائع الداء تقترب منه، ولم يأبه به، لأنه ينتظر لقاء الرفيق الاعلى ، ولم يصرفه ذلك عن آخر خط من خطوط الرسالة، إذْ أمر بتجهيز جيش كبير يضم جلة الصحابة: كأبي بكر وعمر ، وأبي عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير، وغيرهم ، وغيرهم ، بقيادة اسامة بن زيد . وأمره أن يتوجه لغزو الروم، فيوطئ الخيل تخوم البلقاء ، على مقربة من مؤتة حيث قتل أبوه، ولكن رجال الجيش فوجئوا بتأمير شاب حدث لم يبلغْ العشرين من عمرهِ ، على رهط من كبارِ الصحابة ، فأثار هذا فيهم شعوراً من الكراهية وعدم الرضى، مما ثار الحسد في النفوس ، لدرجة خرج بهم ذلك عما تستوجبه رغبة الرسول الأعظم وهو المنقذ والهادي ، حتى قالوا : أمر علينا غلاماً.

وبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ((إن تطعنوا في إمارته ، فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وإنه لخليقٌ للامارة ، وكان أبوهُ خليقاً لها))

وخرج أسامة فعسكر في الجرف ، على مقربة من المدينة، وأخذ يجهز جيشه، ولكنه هو الآخر كان متثاقلاً ، على عكس ما كان عليه النبي إذ كان حريصاً على الاسراع في بعث اسامة.

ودبَّ المرض في جسم النبي ، وهو في بيت زينب بنت جحش ، فلم يقعده المرض عما عود نساءه من أداء حقوقهن فكان يدور عليهن الى أن

إشتد عليه المرض في دار ميمونه. وفي هذه الاثناء وصلت الأخبار بظهور الأسود العنسي باليمن ، ومسيلمة باليمامة ، وطليحة في بني أسد وعسكر بسميراء؛ فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاصباً رأسهُ ، من الصداع، فقال : إني رأيت في عَضُدَيّ سوارين من ذهب ، فنفختهما فطارا، فأولتَهُما بكذاب اليمامة ، وكذاب صنعاء .

ثم امر بانفاذ جيش أسامـــــة .

انتقل بعد ذلك الى دار عائشة .

وفي الساعات الأخيرة من حياته إجتمع عنده رجال من الصحابة ، فيهم عمر بن الخطاب ، فقال النبي صلى الله عليه وآله :

هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده .

قال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله.

فاختلفوا بين يديه واختصموا ، فلما كثر اللغط وارتفعت الأصوات بين موافق ومخالف ، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : قوموا.

وهذا هو التدبير الأول لمنع الخلاف والنزاع في الخلافة من بعده لأنه لاشك إنه أراد ان ينص على علي بالخلافة ولما علم القوم ذلك منعوه .

اراده الله وأباه الناس ..

ومامنعه المرض وشدته من أن يَحث الناس على الخروج في بعث اسامة ، والإسراع في إنفاذه وكان يستحث أسامة نفسه لما يرى من تثاقل ، وجعل يقول : إنفذوا بعث أسامة ، لعن الله المتخلف منه .

وهذا هو التدبير الثاني لمنع الخلاف والنزاع في الخلافة لأنه أراد أن يبعد كل من تسول له نفسه منافسة علي في الخلافة عن المدينة ، وبعيداً الى

مؤتة ، ليستتب الأمر لعلي ، ولما علموا ذلك إثّاقلوا ولم ينفذوا بعث أسامة لدرجة أثاقل معها أسامة نفسه.

أراده الله وأباه الناس .

ووجد صلى الله عليه وآله وسلم نفسه نشيطاً ، وقد خف ما به من حرارة الحمى، فخرج معتمداً على عليٍ عليه السلام والفضل بن العباس حتى أتى المسجد فأقبل على الناس رافعاً صوته ، حتى سمعه من كان خارج المسجد ، قال:

((ايها الناس سُعِرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون علي بشيء، إني والله لم أُحل الاما أحل القرآن ، ولا أُحرم إلا ما حرم القرآن ، ولعن الله قوماً اتخذوا قبورهم مساجد .

وراى المسلمون في ذلك تماثل النبي صلى الله عليه وأله وسلم الى الشفاء ولكنه ما أن رجع الى بيته حتى كانت المنية تقترب منه ، فيعاوده الضعف ، ثم اخذ يزداد وهناً على وهن حتى لحق بالرفيق الاعلى .

ولنستمع لأبي تراب وهو يحدثنا عن هذه الساعات الرهيبة من حياة الأُمة الاسلامية :

﴿ ولقد قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن رأسهُ لعلى صدري ، ولقد سالت نفسه في كفي ، فأمررتها على وجهي ، ولقد وُلِيتُ غُسلَهُ صلى الله عليه وآله وسلم، والملائكة أعواني ، فضجت الدار والأفنية، ملأٌ يهبط، وملأٌ يَعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم ، يصلون عليه حتى وارياه في ضريحه، فمن ذا احق به مني حياً وميتاً ؟!﴾

﴿ بأبي أنت وأمي يارسول الله ، لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة والانبياء ، واخبار السماء ، خصصت حتى صرت مسلياً

عمن سواك ، وعممتَ حتى صار الناس فيك سواء . ولولا أنك أمرتَ بالصبر ، ونهيتَ عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون[1]، ولكان الداء مماطلاً، والكمد محالفاً ، وقلالك، ولكنه مالا يملك رده ، ولا يستطاع دفعه.

بأبي انت وأمي ، أذكرنا عند ربك ، وأجعلنا من بالك .﴾

﴿ إن الصبر لجميل الاعنك ، وان الجزع لقبيح الاعليك ، وان المصاب بك لجليل، وانه قبلك وبعدك لجلل. ﴾

---

(١) منابع الدمع من الرأس

لمـــاذا

ابـو تـراب

دون غيره ؟؟

﴿ واجمعواعلى منازعتي حقاً كنت اولى به من غيري ﴾

قابلية .. ومؤهلات

مما مرَ كله ، نستنتج إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إتخذ علياً دون غيره أخاً في حياته ، ووصياً وخليفة ، مؤدياً عنه رسالة السماء بعد وفاته ، كان للامور التالية :

١. ان علياً قد فتح عينيه ، وقلبه ، على العقيدة ، ولم تخالط نفسه ، ولامثقال ذرة، من شوائب الشرك ، والوثنية، بينما كان الآخرون قد نالوا قسطاً ، قليلاً او كثيراً ، من شهوات الجاهلية، وقسم ثالث قد إنغمس حتى الأذنين فيها.

٢. عندما نزل قول الله عز وجل ((وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)) دعى محمد صلى الله عليه وآله وسلم قومه الى مؤتمر يفاوضهم في أمره ، ويطلب منهم المؤازرة والنصر، فلم يجد السامع ، الملبي ، الا علياً: الذي نصره دون غيره ، مماكان مدعاة لسخرية القوم وقتئذ !! إذْ ظنوه اقل شأناً من المستوى الفكري والعقائدي الذي هم عليه !! وهذا دليل واضح على ان أبا تراب كان مستعداً فطرياً لتحمل تبعات المسؤولية التي ستلقى عليه ، مستقبلاً . أمسكوا كلهم، مع انهم يسمعون قول الرسول الأعظم وهو يضمن لمن يؤازره وينصره

منهم: الأخوة له ، والوراثة ، والوزارة ، والوصايا، والخلافة من بعده واستجاب عليٌ ، فيأخذ النبي برقبته ويقول : ((إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطعيوا))

٣. عندما أراد النبي الأعظم، وعمه العباس التخفيف عن أبي طالب ، لضيق ذات يده،وأخذ كل منهما ولداً من أولاده ، ليقوم بتربيته، إصطفى صلى الله عليه وآله علياً ،ذا النفس الصافية ، والفطرة السليمة دون غيره ليعده الإعداد العام والخاص لتأدية الرسالة التي بداها هو صلى الله عليه وآله وسلم . وهو بأخذه لعلي ، من عمه ، وتلقينه إياه ، ومنذ نعومه اظفاره ، تعاليم الإسلام ، قد رسم له الخطط الكفيلة باسعاد البشرية ، لتمتزج هذه التعاليم بذاته : نصاً وروحاً ، ومن ثم يتقولب بها تماماً ، وذلك ليتولى شؤون الأمة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، دون غيره .

٤. وفي غزوة الخندق لما برز عليٌ الى عمر بن عبد ود ، قال صلى الله عليه وآله فيه: ((برز الايمان كله الى الشرك كله)) وهذا يدل على عمق ايمانه عليه السلام بعقيدته التي عرفها حقاً ، وعرف كيف يدافع عنها . وهو وحده الذي برز لطاغية الشرك دون غيره.

٥. وفي غزوة خيبر، باهى به الذين تراجعوا بالراية ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اني دافع الراية غداً الى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار)) فتطاولوا لها ، ولكنه دفعها الى علي ، وبه فتح الله دون غيره.

٦. ولما آخى بين المهاجرين قبل الهجرة ، وبين المهاجرين والانصار ، بعدها بخمسة اشهر: إصطفى علياً لنفسه ، فآخاه ، وقال له : ((انت

مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي)) . ثم لم يزل يكرر هذه الكلمة في مناسبات كثيرة ، منها : لما سد الأبواب الشارعة الى المسجد إلا باب عليَ ، ومنها في غزوة تبوك لما خلفه على المدينة سنة تسع من الهجرة ، بزيادة بعض الالفاظ في بعض كتب الحديث . وكان هذا الكلام لعلي دون غيره.

٧. قول عمر بن الخطاب :

لقد اعطي علي بن ابي طالب ثلاثة لئن تكن لي واحدة احب الي من حمر النعم : زوجته فاطمة بنت رسول الله،
وسكناه المسجد مع رسول الله يحُلُ له ما يحُلُ له فيه ،
وإعطاءه الراية يوم الخيبر .
وكان ذلك لعلي دون غيره .

٨. وكان حديث الغدير في حجة الوداع فيه دون غيره . لذلك كان يقول : ﴿فوالله إني لأولى الناس بالناس ﴾ .

٩. ان النبي صلى الله عليه وآله لبثَ في قومهِ داعياً الى الله ، زهاء ، ربع قرن، ومنطقي إن هذه الفترة غير كافية لتثبيت عقيدة جديدة : اساسها التوحيد ، وقوامها المساواة، قامت على أنقاض مجتمع يقدس الحجارة والخشب ، مجتمع جاهل لا يعرف من مقومات الحياة الا : الغزو والسلب والنهب ، ولا يهضم من العلوم الا ما يتعلق بالانساب ومفاخر الآباء . فمثل هذا المجتمع لا تكفيه هذه الفترة لتقلب الاسس الاجتماعية الجاهلية الى دعائم اسلامية تصون المجتمع من الانهيار والاداة لذلك كان عليٌ دون غيره .

١٠. إن المجتمع الجاهلي الذي كان يفكر في عروبته تفكيراً عنصرياً محضاً

قد وجد تحويلا الى الأممية في الدين الجديد ، حيث ان هذا الدين للناس كافة، ولم يكن لأناس بعينهم ، فمثل هذا المجتمع يراد له شخصية سياسية حكيمة مبتعدة ابتعاداً كليا عن مجرد التفكير في العصر الجاهلي فضلاً عن العنصرية الجاهلية ، ولا تعترف الا بالاسلام طريقاً وحيداً لصيانة حقوق افراد المجتمع الواحد. . وهذه الشخصية : هو عليٌ دون غيره .

القيادة الإسلامية

ابو تــراب
والقيــادة الاسلامية

لو إستعرضنا أنظمة الحكم في الدول المجاورة للجزيرة العربية ونظام الحكم القائم في الجزيرة العربية ذاتها : لوجدنا ان الحكم المفروض على الناس ، هو حكم ملكي يستند على الاقطاع، وتدير شؤونه طبقتا النبلاء والكُهان ، حيث كانتا تَعتبران نفسيهما : الطبقة العليا في الشعب ، ويجوز لها مالا يجوز لعامة الناس ، فهي ذات الثراء والجاه ، وهي الواضعة للقوانين على هواها ، غير عابئة بمصلحة المقنن لهم. أما الشعب فعليه يقع القسط الأوفر من توفير الحياة اللائقة بالطبقة العليا ، والواجب ـ وكما ترى هي ـ أن تعيشها . فهو الذي يكد ويكدح ليملأ الكروش لحد الانتفاخ ، وليبيت هو جائع ، ويضع على جواري ومغنيات قصور الطبقة العليا الحلي والجواهر، وتعمل نساء الشعب مع الشعب بثياب لاتكاد تسترها . هذا ماكان في الامبراطوريات المجاورة للجزيرة العربية ، قبل الاسلام .

أما الحكم القبلي الذي كان سائداً في الجزيرة العربية ذاتها قبل ان ينبثق نور الرسالة المحمدية ، فالفخر والثأر والغزو كل أولئك كان يسيطر سياسياً على عقلية كل فرد من افراد القبيلة التي تربطهم عادة رابطة النسب، التي تشغل أكبر حيز من تفكيرهم ، أو رابطة الولاء . وحتى بعض المناطق التي نشأت فيها الدولة كالعراق واليمن لايمكن ان نراها قد تخلصت من نمط الحكم والتفكير القبلي .

وفي هذا المجتمع تظهر طبقة ارستقراطية ـ أو قريبة من هذا المفهوم ـ تعتمد على الجاه الديني الذي كان مصدره سدانة الكعبة ، ورعاية

الأصنام ، ورفادة وسقاية الحجيج ، اوالشراء الفاحش الناتج عن الربا، والمنافسة الحرة في استغلال الناس ، خاصة في المجال التجاري .

ثم كانت الدعوة الاسلامية ..

﴿ إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين وآميناً على التنزيل ، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار ، منيخون بين حجارة خُشن، وحيّات صُم ، تشربون الكدِر ، وتأكلون الجَشب ، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم ، الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة ﴾ .

وانبثق النظام الجديد في قلب الجزيرة العربية ، هذا النظام الذي جاء ليصلح الفرد في ذاته والمجتمع في مجموع أفراده ، هذا النظام الذي جعل منفذين إثنين لقوانينه الجديدة: الاول من جانب الدولة ، والثاني ذات الفرد، والثاني بطبيعة الحال لايكون فاعلاً إلا مع الإيمان الصحيح والعميق في الذات ، وقوة الضابط النفسي، الذي يحاول الإسلام بواسطته أن يصل بالفرد الى أرقى المستويات المثالية. وكان شعار الفرد المسلم فيها وكما قال أبو تراب : ﴿ زنوا انفسكم قبل ان توزنوا ، وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا، وتنفسوا قبل ضيق الخناق ، وانقادوا قبل عنف السياق، واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر ، لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ .﴾

وكان الرسول الأعظم هو الذي بلّغ الناس هذا النظام عن الله عز وجل، فهو الرئيس ، وهو القائد ، وهو المرشد ، ولكن هذا القائد ماكان يسكن قصوراً ذات رياش فخمة يطاف عليه بانية من ذهب او فضة ، كما هي الحال في البلاد المجاورة للدولة الاسلامية .

لا ..

وانما كان كما وصفه أبو تراب :

﴿ لقد حقر الدنيا وصغرها ، وأهونها وهونها ، وعلم أن الله زواها عنه اختياراً، وبسطها لغيره احتقاراً، فأعرض عنها بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه ، وأحب ان تغيب زينتها عن عينه ، لكيلا يتخذ منها رياشاً ، او يرجو فيها مقاماً، بلّغ عن ربه معذراً، ونصح لأمته منذراً ، ودعا الى الجنة مبشراً.﴾

كان يجلس مع اصحابه يرشدهم ويعلمهم ويواسيهم في مجالات الحياة، في الحرب يقودهم، ويقسم معهم قوته ، لهذا كانت الدعوة الاسلامية تدخل القلوب، وتهيمن عليها ، وتخلق من العرب رجالاً على مستواها. وتمكن صلى الله عليه وآله وسلم في ظرف ربع قرن من ان يصوغ منهم : لهم ما للأسودِ في غير تكبر ، ولهم علم من علمه في غير أبّهة . وهم كما وصفهم أبو تراب : ﴿دُعوا الى الاسلام فقبلوه ، وقرأوا القرآن فأحكوه، وهُيجوا الى القتال فولهوا وله اللقاح الى أولادها ، وسلبوا السيوف أغمادها ، وأخذوا بأطراف الارض زحفاً زحفاً، وصفاً صفاً ، بعض هلك وبعض نجا ! لايبشرون بالاحياء ، ولايعزون بالموتى ، مره العيون من البكاء ، خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاه من الدعاء ، صفر الالوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين أولئك اخواني الذاهبون ، فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض الايدي على فراقهم .﴾

واخذت الدعوة الجديدة تشق طريقها وسط الضجيج الهائل من الدعاية المسعورة ، والمحاربة المادية والمعنوية ، التي كانت تثيرها الطبقة الارستقراطية التي كانت ترى ان الاسلام يحاربها مادياً في الجاه والثروة ،

خاصة وان شعاراً قد طُرحَ:

﴿ فما جاع فقير الإ بما متع به غني .. ﴾

كما كانت هذه الطبقة تتصور ان مركز مكة الديني قد اضمحل بتكسير الاصنام التي كانت قائمة حول البيت ،فلو سمعوا حديث أبي تراب له وهو يتحدث عن هذا البيت الحرام ومكانته:

﴿ وفرض عليكم حج بيته الحرام ، الذي جعله قبلة للأنام ، يرِدُونهُ ورودَ الأنعام ، ويألهون اليه ولوه الحمام، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته ، واذعانهم لعزته ، واختار من خلقه سمّاعاً اجابوا اليه دعوته ، وصدقوا كلمته ، ووقفوا مواقف أنبيائه ، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الارباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته ، جعله سبحانه وتعالى للاسلام علماً، وللعائذين حرماً فرض حجه ، واوجب حقه، وكتب عليكم وفادته ، فقال سبحانه : ((وَلِلَّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)).﴾

إضافة الى ان كلمة المساواة ، المساواة بين اعضاء الاسرة، المساواة بين افراد المجتمع، المساواة بين الطبقات ، المساواة بين أفراد الجميع ، فلا تفاضل الابالتقوى، فان الأتقى هو الأكرم .

ودار الزمن دورته ، وارتفعت راية الاسلام خفاقة ، وعبر صوت الاسلام الافاق يجلجل : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فلبى البعض النداء عن إيمان ، وآخرون عن خوف ، وفئة إئتلافاً ، واعطى نفر الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، وبقي من بقي مصراً على عناده .

والدعوةُ وإن لاقت نجاحاً كبيراً، وساد الاسلام الجزيرة ، الا ان المدة غير كافية لتتغلغل روح النظام الجديد في شعاب النفوس ، خاصة تلك

النفوس التي لوثتها الجاهلية بادرانها. ومن هنا جاء اختيار عليٍّ ليتسلم زمام قيادة الامة ـ وكما تقدم ذلك ـ حيث انه وحده بصفاء نفسه التي لم يخالطها دنس الجاهلية ولا للحظة واحدة ، وبوجهه الذي كرمه الله من السجود لغيره ، هو وحده القادر على تحقيق العدالة الاسلامية للمجتمع الذي ترعرعت في ربوعه الدعوة الاسلامية ، وهو بقابليته القادرة على ادخال العقيدة الى العقول والنفوس ، لتحل الحقيقة في العقول محل الخرافة، ولتتغلغل العقيدة في النفوس بدلا من التعصب ، وذلك بسيرته وطريقته في الحياة قبل اقواله ، ولنستمع اليه : ﴿ من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحقُ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم .﴾

فرئاسة الدولة الاسلامية لا يمكن ان تستند الا الى شخص يؤمن بهذه الشريعة ، وبالمصدر الالهي الذي جاءت من عنده ، أي ان يكون مسلماً ، بما في هذه الكلمة من مشتقات ومعانٍ . وكما ان من المستحيل ان توجد حياة اسلامية تامة الصورة دون قيام دولة اسلامية تعمل على اقامتها ، فانه من المستحيل ايضاً ان تكون الدولة الاسلامية بالمعنى الصحيح ما لم يتول زمامها شخص – او جماعة – يتوقع منهم ان يخضعوا باختيار واخلاص الى تعاليم الاسلام .

ثم هل ان تعليم النفس والتهذيب بالسيرة الذاتية كافٍ لذلك ؟

يحدثنا ابو تراب :

﴿ ان الله فرض على أئمة العدل ان يقدروا انفسهم بضَعفَة الناس كي لا يتبيَغ بالفقير فقره ﴾ .

وهذا ما كان رمزاً لسيرته (عليه السلام) ، فهو القائل :

﴿ أأبيتُ مبطاناً ولعل رجلاً باليمامة او الحجاز من لا عهد له بالقرص ولاطمع له بالشبع .﴾

ثم يعطينا أبو تراب بعد ذلك كله صفات اخرى للقائد :

﴿ انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامانة المسلمين : البخيل ، فتكون في اموالهم نهمته .

ولا الجافي ، فيقطعهم بجفائه .

ولا الحائف للدول فيأخذ قوماً دون قوم .

ولا المرتشي في الحكم : فيذهب بالحقوق ويقف بها دون القاطع .

ولا المعطل للسنة ، فيهلك الامة ﴾ .

﴿ اشقى الرعاة من شقيت به رعيته ﴾ .

﴿ لا زعامة لسيء الخلق ﴾ .

﴿ اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه في جبروته ﴾ .

أي ان لا يصلح لقيادة الامة من كان طاغيةً جباراً .

ولذلك كان يقول :

﴿ ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم ، وترفعوا فوق نسبهم ، وألقوا الهجينه (أي الفعلة القبيحة) على ربهم وجاحدوا الله على ما صنع بهم ، مكابرة لقضائه ومغالبة لآلائه ، فإنهم قواعد أساس العصبية ، ودعائم أركان الفتنة ، وسيوف إعتزاز الجاهلية ، فاتقوا الله ولاتكونوا لنعمه عليكم أضداداً ، ولا لفضله عندكم حساداً ، ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم ، وخلطتم بصحتكم مرضهم ، وأدخلتم في حقكم باطلهم ، وهم أساس الفسوق ، وأحلاس العقوق ، إتخذهم إبليس مطايا ضلال وجنداً بهم يصول على

الناس ، وتراجمة ينطق على ألسنتهم إستراقاً لعقولكم ودخولاً في عيونكم ، ونفثاً في أسماعكم ﴾

﴿ إنصف الله وإنصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ﴾

أي انه لا يصلح للقيادة من لا يساوي بين الجميع في الحق.

﴿ ليكن احب الأمور اليك اوسطها في الحق واعمقها في العدل ، وأجمعها لرضا الرعية.﴾

﴿ ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلكَ وزيرا﴾

أي انه لا يصلح للقيادة من لا يكون نزيها في اختيار المسؤولين الذين يعتمد عليهم.

﴿ إكثِر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ماصلح عليه أمرُ بلادك، واقامة مااستقام به الناس قبلك .﴾

﴿ فلا تطولن إحتجابك عن رعيتك ، فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور .﴾

أي ان على القائد ان يكون مستشيراً في اموره لذوي الخبرة ، غير بعيد عن الشعب ، ذا علم تام بامورهم ، بما يصلحهم ويحسن احوالهم ، وعكس ذلك لايصلح للقيادة .

فالواجب الذي يحتمه الله سبحانه وتعالى على القائد هي هذه الامور معتمدة على اساس العدل ، وترتقي على دعائم من التقوى ﴿ اما الإمرة البرة فيعمل فيها التقي ، واما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي ﴾ وشتان بين العمل الصالح لصالح الامة وخدمتها ، وبين التمتع باللذات الشخصية التي يكون عاقبتها الهلاك والدمار لها .

وهل على ولي الامر ان يقوم بصالح الاعمال من اجل اسعاد المجتمع

وحده؟؟ ام يتعاون مع المجتمع ليقوما معاً بتأدية الرسالة الانسانية المفروضة عليهما من اجلها ؟

يحدثنا ابو تراب بقوله :

﴿ ان لي عليكم حقاً ولكم علي حق ، فأما حقكم : فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كي لا تجهلوا ، وتأديبكم كي ما تعلموا !!

واما حقي عليكم : فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب ، والاجابة حين ادعوكم ، والطاعة حين امركم .﴾

وبهذا الحديث ترتسم امامنا الخطوط العريضة للاهداف السامية التي من اجلها تقام الحكومات وينصب الحكام ، وفي هذه الكلمات ـ على وجازتها ـ دستور كامل في الحقوق ، والواجبات المترتبة : على ، و للشعب ، وعلى ، وللحاكم .

فحقوق الشعب تتجسد، وحسب منطوق هذا الدستور فيما يلي :ـ

اولاً : النصيحة للأمة ، ومصارحتها في الحقائق ، وعدم المرواغة في كل ما يحدث من المسائل التي لها علاقة تامة بحياة الشعب ، واظهار موقف الدولة من جميع القضايا واضحاً جلياً ، اذ أن الشعب هو صاحب المصلحة الحقيقية ، ومن هذا المنطلق يجب ان يكون المعلن وغير المعلن ، واحد ، لا ان يعلن امراً والواقع خلافه ، الا في الامور التي تتعلق مصلحة الدولة العليا بعدم إعلانها ، كالحرب .

ثم النصيحة للأمة فيما تقوم فيه الدولة من اعمال ، مهما كان مجالها : اقتصادية او اجتماعية اوعمرانية . والنصيحة للامة في هذا الباب هي : ان تكون هاتيك الاعمال مثمرة ، ومن صالحها ، لا ان تكون تمجيداً للاشخاص وحسب. ونرى ان ابا تراب حين وضع هذه الكلمة في مقدمة

واجبات ولي الأمر، يريد ان يضع امامنا حقيقة ثابتة وهي : ان كل عمل لايرتكز عليها فهو من اجل تمجيد الأشخاص ، والدعاية لهم ، وهذا طريقه الى الاضمحلال .

ولنستمع اليه وهو يقول :

﴿فان حقاً على الوالي ان لايغيره على رعيته فضل ناله ، ولاطول خص به ، وان يزيده ماقسم الله له من نعمه دنواً من عباده وعطفاً على اخوانه .

الا وان لكم عندي ان لا احتجز دونكم سراً الا في الحرب، ولا اطوي دونكم امراً الا في حكم (أي في حكم صرح به الشرع في حد من الحدود مثلاً لان حكم الله نافذ ولا مجال فيه لمشاورة)، ولا أوخر لكم حقاً عن محله، ولا اقف به دون مقطعه . وان تكونوا عندي في الحق سواء ، فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ، ولي عليكم الطاعة . ﴾

ثانياً : الانعاش الاقتصادي : الذي هو عماد رفاه ابناء المجتمع، وعلى هذا الاساس يتمكنون من بناء حضارتهم . وقيام مجتمعهم على دعائم رصينة من الاخلاقية الاسلامية والعلم النافع . ولكي تبرر الدولة حقها في المطالبة بطاعة الرعية ـ كما يقول الاستاذ محمد أسد ـ وولائها ، فان عليها ان تضطلع بعبء العمل على تحقيق السعادة الدنيوية لهم ، أي ان من واجبها ان تمدهم بالوسائط الاقتصادية الضرورية لتوفير الرفاه المادي لهم ، وصيانة كرامتهم .

ولاريب في ان الاسلام قد وضّحَ بأن حياة البشر لسيت قائمة على المظهر المادي لها فحسب ، وان القيم النهائية للحياة روحية في طبيعتها ، ولكن على الرغم من ذلك فانه لايحق للمسلمين ان ينظروا للحقائق والقيم

الروحية على انها: اشياء منفصلة عن المظاهر المادية للحياة الانسانية . فالاسلام يطالب بايجاد المجتمع الصالح لافي نظرته الخلقية للحياة فقط ولكن في مظاهر العمل كذلك .

الاسلام يريد مجتمعاً يوفر المطالب الروحية لافراده كما يوفر حاجاتهم المعاشية ايضاً ﴿اعمل لاخرتك كأنك تموت غداً واعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً﴾.

وعلى هذا فانه لكي تكون الدولة اسلامية بالمعنى الكامل ، لابد ان تنظم أمور المجتمع بطريقة تتيح لكل فرد رجلاً كان او امرأة ان يستمتع بالحد الادنى للرفاهية على الاقل، هذا الحد الذي بدونه لايمكن ان توجد كرامة انسانية ، ولاحرية حقيقية ، ولانهضة روحية على الاطلاق . وهذا مبدأ ابي تراب الذي كان يوصي عماله به :

﴿ وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى مَن قِبَلَك : من ذوي العيال ، والمجاعة ، مصيباً به مواضع الفاقة . وقال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية :

﴿ يابني ، اني اخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه ، فان الفقر منقصة للدين (لانه ربما يحمل على الخيانة والكذب ، او احتمال الذل ، أو القعود عن نصرة الحق ، وكلها نقص في الدين) مدهشة للعقل ، داعية للمقت ﴾ .

وان هذا لايعني بطبيعة الحال : ان على الدولة ان تضمن العيش الرغيد،والحياة الهانئة الخالية من الهموم لكل فرد فيها ، لان هذا شبه مستحيل ، بل يجب ان لا يقوم فيها ذلك النوع من الفقر المذل ، الساحق للروح البشرية ، جنباً الى جنب مع الغنى والثراء الفاحش للطبقة الحاكمة وأعوانهم وعبيدهم وسياطهم المسلطة على الناس ... كما ان على الدولة ان

تسخر كافة امكاناتها لتأمين وسائل الحصول على الحد الادنى من الحياة الكريمة لكل مواطن ، وان توجد الفرص للحصول على تلك الوسائل ، والا يستمتع اشخاص بخفض العيش ولين الحياة على حساب الاخرين وهناك نماذج بشرية يجب على الدولة ان ترعاهم وتوفر لهم بصورة مباشرة مايحتاجون اليه من وسائل الحياة الكريمة ، ولنستمع وصية ابي تراب فيهم:

﴿ ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحلية لهم من : المساكين ، والمحتاجين، واهل البؤس ، والزمنى ، فان في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً ، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى ، وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلك عنهم بطر ، فانك لا تُعذر بتضييعك التافه ، لأحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعّر خدك لهم ، وتفقد امور من لايصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ، ففرغ لاؤلئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع امورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعذار الى الله يوم تلقاه ، فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم ، وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه .

وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لاحيلة له ، ولايُنصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل ، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق ما وعد الله لهم . ﴾

واذا كانت مصادر الثروة موزعة توزيعاً لاعدالة فيه بحيث يتمتع البعض بعيش رغيد ، بينما تناضل الاكثرية قواها للحصول على قوتها الضروري ، فان الفقر يصبح هنا من الد اعداء التقدم الروحي ، وقد يدفع

الى الزيغ والانحراف عن طريق الله ، والارتماء ـ وان لم تكن هذه قاعدة عامة ولكن قد تكون سبباً ـ في احضان المادية المدمرة للروح .

كما ان وجود الفقر الى جانب الثراء الفاحش قمين بأن يقضي قضاء مبرماً على روابط الاخوة ، وعواطف التراحم بين الناس ، هذه الاخوة ، التي يتوقف عليها انتشار الاسلام ، وتغلغله في النفوس والمجتمعات .

ثالثاً : التعليم مع التقوى : ان تأمين التعليم لكافة افراد الشعب واجب يحتمه التقدم الروحي والمادي للامة ، وهذا بدوره يحتم تشييد المدارس ، على قواعد متينة وحكيمة من التقوى والورع في: المنهج ، والمعلم ، والتطبيق، كي ينشأ الجيل بعيداً عن الاستهتار ، والتميع ، والتفسخ ، وهذه الامور اذا ما أناخت بكلكلها على صدر الامة صيرتها الى دار البوار .

واذا سنت قوانين التعليم على هذا الاساس ، يكون ذلك نصيحة للامة من قبل ولي الامر ؛ وما احوج امتنا اليوم الى تدعيم بنائها الخلقي فاننا نرى باعين يصيبها القذى: الشباب ـ وليس الكل ـ بانحلالهم الخلقي المشين وتفسخهم العقائدي وفراغهم الثقافي ذلك الذي تتعاون على غرسه في النفوس الاسرة والمجتمع والمدرسة .

فبعض الأُسر التي تحللت من الروابط الخلقية التي وضعها الاسلام تقذف بابنائها أو بناتها في يَم المجتمع الذي لايقيم وزناً للاخلاق الاسلامية ، وهذا المجتمع ولاشك هو نواة التفسخ في بنية المجتمع الاسلامي الكبير ، واذا ما كبرت هذه النواة، ونفثت سمومها ، حينذاك يكون الخراب والدمار للامة بأسرها . والمدرسة التي يكون فيها المعلمون اجناساً مختلفة من الميول والاهواء ، وكل منهم ـ الامارحم ربي ـ لايهمه تربية الطفل ، وانما هي محصور في الارتزاق من هذه المهنة، مرتب وعلاوة ، وترفيع ، ثم التقاعد .

اما الطفل تعلم ام لم يتعلم ؟ وماذا تعلم ؟ وكيف ؟ هذا لايهم!!ولو كان هم المعلم[1] في تربية تلميذه بقدر همه في المكان الذي يقضي فيه مكان سهرته غير البريئة، لكان ربح التلميذ والمجتمع منه عظيماً وعظيماً جداً، ولكن كيف بتربية التلميذ اذا دخل عليه مربيه سكراناً في أول حصة ولربما في درس التربية الدنيية ـ هذا واقع موجود فعلاً لايمكن لأي انسان ان ينكره ـ كل

---

(١) في عام ١٩٧٢ ، وفي ليلة تاسوعاء من شهر محرم ، خرجت الناصرية عن بكرة ابيها للاجتماع الجماهيري الذي يعقد في شارع الحبوبي ـ الشارع الرئيس في المدنية ـ للمناسبة، وكنت المتحدث في هذه المناسبة الوف مؤلفة من الناس رجال ونساء واطفال تستمع، وكان الحديث حول الحرية ـ وهو حديث مرتجل ـ وقادني الحديث الى المعلم، ودوره في المجتمع، وقلت مما قلت (ان بعض المعلمين يحتاجون الى تربيةولا يحق لمن يحتاج الى تربية ان يربى) وبعد ان انهيت حديثي في حوالي الساعة العاشرة مساءً، وانقبض الجمع اوكاد، حدث شجار بين المعلمين منهم من ايدني ، ومنهم من اتهمني بالغرور وعدم احترام المعلمين ، بعد هذه المشادة سارت مظاهرة من المعلمين ضدي تطالب بمعاقبتي لاني اهنت المعلمين وقصدوا المحافظ، = الاانهم لم يجدوه ، فتحولوا الى مديرية التربية ، وهدأ مدير التربية من روعهم ووعدهم انه في الصباح يدرس الموضوع ، وارسل لي في الليل يطلب نص الخطاب الذي القيته ، ولم يكن عندي له نصاً لان الخطاب كان مرتجلاً ، واعتذرت للرسول عن ذلك ، واني لم اعلم بما حدث بعد ان انصرفت الى داري وفي الصباح اجتمع المعلمون الحانقون من حديثي امام دائرة مديرية التربية فسألهم هل يوجد تسجيل للخطاب ، فاجابوه انه معهم ، وادار آلة التسجيل وسمع الخطاب مرتين، وقال : ان هذا الخطاب لايحتوي اطلاقاً على اهانة للمعلمين وانما يضع ايديهم على الداء الذي يجب ان يعالجوه واشاروا الى العبارة التي اغاضتهم . وقال لهم : نعم ، ان بعض المعلمين يحتاجون الى تربية بل اكثرهم، ولو إطلعتم على الملفات الشخصية لذهلتم ، ومن حسن الصدف ان كانت امام قضية لعصابة من المعلمين في (سوق الشيوخ) تسرق البقر !!

فخرجوا من عنده نادمين على مافعلوه من فوضى ليلة تاسوعاء وان كان البعض قد ثقل لقاءه لي في بعض الاحيان ، ولكني لا أزال مصراً ان بعض المعلمين يحتاجون الى تربية ، وفاقد الشيء لايعطيه .

اولئك وايمُ الحق عوامل انحلال تنخر في جسم البنية الاجتماعية ، تنذر بالخطر ، خاصة في مدارس البنات التي يجب ان تكون مصانع - وهي لهذا وجدت - لأمهات المستقبل اللائي يحملن مشعل الفضيلة ، لا...

فعلينا ان نكون حذرين يقظين بما يخطط لبناتنا !!

وحق الشعب في التعليم ليس هذا الانحلال ، والتحلل ، لا ، وانما هو خلق مجتمع متمسك بدينه وعقيدته ، ومثله العليا ، يدافع عنها دفاعه عن عرضه وماله ونفسه ، حيث لايرضى عنه بديلاً ، مرتكزاً بذلك على اساس متين من التعاليم الاسلامية التي تثبت قدمه على العمل من اجل اسعاد امته بالعلم .

فحق الشعب بالتعليم هو : اختيار معلمين من ذوي المواهب في فن التعليم ، والكفاءة العلمية ، والخلق الفاضل بحيث يكون حرصهم على تهذيب النشيء حرصهم على وقت ترفيعاتهم ، لا ان يكونوا خليطاً من افكار ومعتقدات شاذة تخلق الشكوك عند الطالب ، وتزرع في لبه الحيرة ، ومن ثم تقوده الى الانتحار الخلقي. وعند هذا المنعطف علينا ان نستمع الى أبي تراب ، بأذن واعية ، وهو ينادينا :

﴿ اتقوا الله في عباده وبلاده ، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم... واطيعوا الله ولاتعصوه ، واذا رايتم الخير فخذوا به ، واذا رايتم الشر فأعرضوا عنه﴾.

وان كان هذا النداء للقادة إلا إنه ينادي كذلك كل ذي ضمير حي من افراد المجتمع كي يتعاونوا على اسعاده.

فاذا ضمن الحاكم للامة معاشها الرغيد الحلال ، ورفه عنها ، ووضع أسساً لتعليمها صالحة ، ساد الاستقرار في ربوع البلاد ، واستتب الامن .

ومن هنا يتمكن من ان يعمل جاهداً كي يحقق مزيداً من الاعمال التي يحتاجها الشعب من بناء المستشفيات، وتأمين الطب وتشيد الجسور، والقناطر ، وتعبيد الطرق الى ماهنالك من الاعمال الكثيرة الواجب عليه انجازها من اجل اسعاد المجتمع .

اما حق القائد على الرعية فهو : الوفاء ببيعتهم له ، وعدم الغدر به ، الغدر الذي لايكون مسلماً من اتخذه اداة لتغيير وضع، او اعادة نظام قديم، لأن ((الايمان قيد الفتك)) كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والغدر يعني : نقض البيعة ، والعصيان بنوعيه المدني والمسلح ، او الاغتيال السياسي.

والواجب أيضاً على الامة التي يكون رأيها موجهاً توجيها اسلامياً صحيحاً ابداء النصح في المشهد والمغيب ، واظهار النقد البناء الذي يقوم الاعوجاج ، والابتعاد عن المغالاة في المدح وخاصة المدح الكاذب ، والتملق والوصولي ، والتزلف من أجل الاطماع .

ومن حق القائد على الرعية الاجابة لدعوته فيما يدعوهم اليه في الحرب والسلم وضمن المصلحة العامة للمسلمين . واذا مادعاهم الى ماينافي الاسلام فهنا العصيان .

فمن خطبة خطبها بصفين ، قال عليه السلا م :

﴿ اما بعد ، فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية امركم ، ولكم عليّ من الحق ، مثل الذي لي عليكم ، فالحق اوسع الاشياء في التواصف ، واضيقها في التناصف ، لايجري لاحدٍ الاجرى عليه، ولايجري عليه الاجرى له . ولو كان لأحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه ، لقدرته على عباده ، ولعدله في كل ماجرت عليه صروف

قضائه، ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد اهله .

ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ، ويوجب بعضها بعضاً ، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض .

واعظم ما إفترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي ، فريضة فرضها الله سبحانه لكلٍّ على كلّ، فجعلها نظاماً لالفتهم ، وعزاً لدينهم ، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ، ولايصلح الولاة الا باستقامة الرعية . فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه ، وادّى الوالي اليها حقها ، عزّ الحق بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل ، وجرت على اذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة ، ويئست مطامع الاعداء .

واذا غلبت الرعية واليها ، أو أجحف الوالي برعيته ، اختلفت هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الجور ، وكثر الادغال في الدين ، وتركت محاجّ السنن ، فعمل الهوى، وعطلت الاحكام ، وكثرت علل النفوس ، فلا يستوحش لعظيم حق عُطّل ، ولا عظيم باطل فُعِل !! فهناك تذل الأبرار ، وتعز الأشرار ، وتعظم تبعات الله عند العباد....﴾

العدل هو الاساس

الذي مر عليك ، جميعه ، يحتم الطاعة لولي الأمر ، لأنه ـ وكما يجب ـ يستند على العدل ، الذي هو حجر الزواية في بناء الدولة الاسلامية، ومن وجهة نظر الفطرة الانسانية السليمة ، وقديماً قيل : العدل اساس الملك.

ولانتفق مع الاستاذ محمد ابو زهرة ، حيث يقول في كتابه (المذاهب الاسلامية) ماندونه ، وهو يرى انه الحل الافضل كما جاء من سياق كلامه:

واذا لم يكن هناك حاكم عدل سواه ـ أي الموجود فعلاً ـ أو لم تتم له البيعة رغباً، أو رهباً ، فإن الطاعة واجبة لهذا الملك، الذي لم يستوف شروط الخلافة ، ولقد قال الحسن البصري في وجوب طاعة ملوك بني امية مانصه : هم يلون من أمورنا خمسة: الجمعة والجماعة ، والفيء، والثغور، والحدود ، ولا يستيقم الدين إلا بهم !!! وان جاروا وان ظلموا ، والله ! ـ انه لقسم لو تعلمون عظيم من الحسن البصري ـ لما يصلح الله بهم اكثر مما يفسدون ، وكان يقول ـ أي الحسن البصري ـ هؤلاء الملوك ـ أي بني امية ـ وان رقصت بهم الهماليج ، ووطىء الناس اعقابهم ، فان ذل المعصية في قلوبهم ، الا ان الحق الزمنا طاعتهم ! ومنعنا من الخروج عليهم !! وامرنا ان نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم !!!

الاسئلة التي تطرح نفسها هنـــا .

الاول : من الذي نصبهم ومن الذي جاء بهم ؟

الثاني : ما الذي يستفيده المجتمع من ذل المعصية في انفسهم؟

وظلمهم متفش فيهم ، والسيف يقطع رقابهم للظنة والتهمة؟؟

الثالث: من الذي الزمنا بطاعة الظالم ؟

الرابع : من الذي منعنا من الخروج على الظالم ؟

الله ؟ ؟ حاشا لله، وانه لسائلنا يوم القيامة عن السكوت على الظالم ، واذا كان الركون الى الظالم يوجب مس النار فماذا تقول النار لمن دافع عن الظالم وروّج لظلمه ، وجعل ذلك عبادة ؟؟ أي حق هذا الذي الزمهم طاعتهم ، ومنعهم الخروج عليهم ؟ ضربهم الكعبة بالمنجنيق ؟ ! اباحتهم المدينة نساءً واموالا ودماءً ، وفيها من الصحابة اجلهم ، ومن اهل البيت اشرفهم؟ قتلهم حجر بن عدي ؟ وعمار بن ياسر ؟ وعمر بن الحمق الخزاعي ؟ ام قتلهم الحسين وسبي عياله ؟ وقتل الحسن قبله؟ وهما سيدا شباب اهل الجنة ، وانهما امامان قاما ام قعدا ، بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله والذي لاينطق عن الهوى؟! أم شربهم الخمر .. الى آخر ما في صفحاتهم من الخزي والعار . ولنستمع من قال عنه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : ((علي مع الحق . .)) :

﴿ وايم الله لتجدن بني أمية لكم ارباب سوء بعدي ﴾

﴿ ولكنني آسي ان يلي امر هذه الامة سفهاؤها ،وفجارها ، فيتخذوا مال الله دولاً ، وعباده خولاً ، والصالحين حرباً ، والفاسقين حزباً ، فان منهم الذي قد شرب فيكم الحرام ، وجُلد حداً في الاسلام ، وإن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ (أي يعطى مالاً حتى يسلم كعمرو بن العاص الذي لم يسلم حتى طلب عطاء من النبي فلما اعطاه اسلم).﴾

والقول : بان نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم ، يدل على السلبية التامة التي نهى عنها الاسلام ، ومن شيمة المسلم اباء الضيم ، والزام الظالم

على العدل ، وغير خافٍ عنا قول الاعرابي لعمر بن الخطاب : ان لم تعدل قومناك بسيوفنا .

ويستطرد الاستاذ : ولقد نقل في شرح الموطأ أن رأي الامام مالك ، ورأي جمهور اهل السنة: انه اذا ظلم الامام فالطاعة أولى من الخروج.

وردنا علىهذا القول نهضة الحسين السبط الكبرى التي رسمت للمسلمين الخط العريض للجهاد ،ولمحاربة الظالم اياً كان، وفي أي مكان كان ، وفي أي زمان كان ، جهاداً لله وفي سبيل الله ومن اجل دين الله ، ولاننسى هنا قول الحسين : من ادركنا قتل ، ومن لم يدركنا لم يبلغ الفتح . فالجهاد ضد الظالم وظلمه فتح مهما كانت النتيجة ، ومهما كرّ الجديدان .

ولايمكن ان يكون رجل كالحسين السبط ينهض بالسيف ، والطاعة ، والقعود ، والتخاذل ، والاستكانة للظالم ، واقرار المنكر ، هو الافضل !!

ثم اضاف الاستاذ : اما أهل السنة ، فقالوا : الاختيار ان يكون الامام: فاضلاً عادلاً ، محسناً ، فان لم يكن فالصبر على طاعة الجائر اولى من الخروج عليه ، لما فيه من استبدال الخوف بالامن ، واهراق الدماء ، وشن الغارات ،والفساد ، وذلك اعظم من الصبر على جوره وفسقه ، والأصول تشهد !! والعقل !!! ان قوى المكروهين اولى بالترك .

واقول : ان محاربة الظلم وعدم الصبر عليه اولى ، لان بوجوده فساد للامة ، وانحراف عن الدين ،، اما اذا أُقرّ الظلم فيخرس صوت الحق ، ويموت الضمير الذي يكون الاداة الدافعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وذلك ما ظهر واضحاً جلياً في زمن الدولة الاموية والعباسية ومن ثم العثمانية على التعاقب ، واكلت الاجيال المتتالية ثماره بانحراف المجتمع عن الدين وعن الحق . وما أشبه اليوم بالبارحة !!

ولنستمع لتحذير ابي تراب في هذا المجال :

﴿ الا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم ، والقوا الهجينة (أي الفعلة القبيحة) على ربهم ، وجاحدوا الله على ما صنع بهم ، مكابرة لقضائه ، ومغالبة لآلائه ، فانهم قواعد اساس العصبية، ودعائم اركان الفتنة ، وسيوف اعتزاء (أي تفاخر) الجاهلية ، فاتقوا الله ، ولا تكونوا لنعمته عليكم اضداداً ، ولا لفضله عندكم حساداً ، ولا تطيعوا الادعياء ، الذين شربتم بصفوكم كدرهم ، وخلطتم بصحتكم مرضهم ، وأدخلتم في حقكم باطلهم ، وهم اساس الفسوق ، واحلاس العقوق ، اتخذهم ابليس مطايا ضلال ، وجنداً بهم يصول على الناس ، وتراجمة ينطق على السنتهم ، استراقاً لعقولكم ، ودخولاً في اعينكم، ونفثاً في اسماعكم ﴾ .

ثم اردف الاستاذ ، وهو يأتي بدليل تلو الدليل ليدافع عن الظالمين :

لقد صرح الامام احمد بوجوب الصبر عند الجور ، ونهى عن الخروج نهياً صريحاً ، ولذا روي عنه انه قال - أي الامام احمد - : الصبر تحت لواء السلطان على ما كان من عدل او جور !!ولا يجوز الخروج على الامراء بالسيف وان جاروا!!

واستطرد الاستاذ : ولكن ابن تيمية يذكر ان الخليفة اذا أُختير على انه عدل ، وكان اختياره بمشورة المسلمين ، ثم تبيّن انه فاسق ، قد اختلفوا في طاعته، فقيل: واجبة وتستمر بيعته في الاعناق ، وهو الراجح عند الجمهور ، وقيل:ان بيعته تنقض،وطاعته غيرواجبة،وهو رأي غير الجمهور.

وردنا الاجمالي على الاستاذ الشيخ محمد ابو زهرة هو ما قاله ابو تراب :

﴿ إنما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع ، واحكام تبتدع ، يخالف فيها كتاب الله ، ويتولى عليها رجالٌ رجالاً ، على غير دين الله، فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ، ولو ان الحقّ خلص من الباطل انقطعت عنه السنُ المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغثٌ فيخرجان ! فهنالك يستولي الشيطان على اوليائه ، وينجو من سبقت لهم من الله الحسنى ﴾

وماذا عن الظلم يا سيدي ؟

﴿ والله لان ابيت على حسك السعدان مسهداً ، وأجر في الاغلال مصفدا، احبَ اليَ من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد أو غاصباً لشيء من الحطام ، وكيف اظلم احداً لنفسٍ يسرع الى البلى قفولها ، ويطول في الثرى حلولها ﴾

﴿ والله لو أُعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلت . وان دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعليَ ولنعيم يفنى ، ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل ، وبه نستعين ﴾

﴿ ولا تظلم كما لاتحبُ ان تُظلم ﴾

﴿ انصف الله وانصف الناس من نفسك ، ومن خاصة اهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فانك إلا تفعل تظلم ! ومن ظَلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله ادحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع او يتوب ، وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته، من إقامة على ظلم ، فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد ﴾ .

أي عظمة هذه التي صاغت قانون العدالة ؟

انها عظمة ابي تراب !

التي هي عظمة الإسلام!

التربية أولاً !!

ابو تراب
والمنهاج التربوي

ان الفترة التاريخية التي أشغل حيزها ابو تراب عليه السلام كانت بدايتها : بداية تحول عظيم في حياة البشرية ، وبلورة لإتجاهها الانساني في شتى المجالات ، وكانت تلك البداية انطلاقاً ثورياً ، يجرف تياره كافة النظم البائدة ، والتقاليد البعيدة عن روح الفطرة الانسانية . اما نهايتها فهي نهاية الدنيا ، فان آراءه التي هي اراء الاسلام تنسجم مع كل عَصر ومِصر ، ولذتها على لسان كل باحث في شتى المجالات الحياتية ، فنحن الان وان كنا في العقود الاخيرة من القرن الرابع عشر من الهجرة[1] ، نجد ان هذه الاراء حية طرية جديدة عذبة وكأنها وضعت الان . فآراؤه عليه السلام على مر الزمن وكر الجديدين طاقة هائلة تدفع المجتمع دفعاً نحو الحياة المثلى التي ينشدها .

وحين يتتبع المرء أحداث تلك الفترة الدقيقة من حياة المجتمع الاسلامي، يجده عليه السلام قد وضع بصماته على كل جسيمة ودقيقة من الأمور ، سواء أكانت متعلقة بالمجال الخالص من حياة الفرد ، ام المجال العام ، فوضع لكل جانب من جوانب الحياة منهجاً – هو المنهج الاسلامي – بقول أو عمل . فهو الامام العادل ، وواضع خطط الحرب ، والقانوني المحنك ، كما انه المربي الذي نادى بضرورة التعلم والتعليم ووضع الاسس الصحيحة لذلك ، كما يتبين لنا مما يأتي من البحث .

---

(١) الطبة الأولى من الكتاب كانت في ١٩٦٨/٨/٢٠ م .

اذ ان احداً ، أياً كان ، لا ينكر ما للتربية من تأثير في نفسية الفرد ، وعقله ، وتفكيره، وأثرها في تكوين الشخصية ، بما لها من ابعاد وجوانب: فردية ، واجتماعية.

من اجل ذلك نرى ان علماء النفس والتربية قد اهتموا الاهتمام الكبير بتربية الانسان وتنشئته النشأة الصالحة الإنسان الذي يؤثر في المجتمع تأثيراً ايجابياً في مجال تحويله الى المجتمع الذي يريدهُ الله ، مجتمع اسلامي ، الفضيلة أساسه ، والعدالة سياجه ، والرحمة سداه ، والعلم لحمته.

ولما كانت التربية تهدف الى ايجاد هذا النوع من الافراد ، لذا نرى : ان المنهاج التربوي عند علماء التربية في العصر الحديث عرضة للتغيير والتبديل، بين آونة واخرى ، كلما جدّت نظرية ، وأُعتقِدتْ صحتها ، ونفعها للفرد والمجتمع ، ولو ان هذه النظريات كانت مبنية على اسس سليمة ، لما صار هذا التغيير المستمر ، وكما يعرف المتخصصون والعاملون في هذا المجال .

والمفكرون - سليمو الفطرة – في هذا العصر يدركون جيداً ما للدين من اثر في انتشال الانسان من الاهواء . والشذوذ، والانحراف ، ولكنهم لا يضعون ذلك في مخططاتهم التطبيقية ، حتى ولو قرر علماء النفس : بأن للدين اثراً في تهذيب السلوك ، وضبط النزعات المضرة بالفرد والمجتمع ، وان له الاثر العميق في النفس الانسانية ، فهو ينفذ حيث لا ينفذ القانون ويعاقب ويثيب على النية كما يثيب ويعاقب على الفعل ، اما القانون فتأثيره على الفعل ، وحسب ، وحتى الفعل فهناك ثغرات يمكن التسلل منها لإرتكاب الجرائم والأمثلة من الواقع على ذلك كثيرة وكثيرة . والتربية الدينية تنمي (الضمير) وتجعل من الانسان رقيبا على نفسه يحاسبها على ما ترتكب من الآثام مهما كان حجمها أو لونها ، كما يدفعه هذا الرقيب

(الضمير) ويحثه على التفكير بفعل الخير دوماً .

ولنستمع الى ابي تراب وهو يحدثنا في هذا المجال :

﴿اعملوا في غير رياء ولا سمعة، فانه من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له.﴾

﴿ تزودوا من الدنيا ما تحرزون انفسكم به غداً ﴾

﴿ واتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل ان يتعض بكم مَن بعدكم ﴾

﴿ وان اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ﴾

﴿ رحم الله أمرءاً سمع حكماً فوعى ، ودعى الى رشاد فدنا، واخذ بحجزة هادٍ فنجا: راقب ربه ، وخاف دينه ، قدّم خالصاً ، وعمل صالحاً ، اكتسب مذخوراً ، واجتنب محذوراً ، رمى غرضاً ، وأحرز عوضاً ، كابر هواه ، وكذب مناه ، جعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عدة وفاته ، ركب الطريقة الغراء، ولزم المحجة البيضاء ، اغتنم المهل ، وبادر الاجل ، وتزود من العمل .﴾

وكل هذه الامور في طريقة تنمية (الضمير) .

﴿ عباد الله : زنوا انفسكم قبل ان توزنوا ، وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا، وتنفسوا قبل ضيق الخناق ، وانقادوا قبل عنف السياق ، واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ ، وزاجر ، لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ ﴾

والزاجر الواعظ الذاتي هو الضمير .

﴿ اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تُبَل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر، يوم الريح العاصف ، خوفاً من العقاب ، ورجاء الثواب﴾ .

﴿ وأنهوا عن المنكر ، وتناهوا عنه ، فإنما أُمرتم بالنهي بعد التناهي ﴾ .

والتناهي الذاتي لا يصدر الا عن ضمير حي .

﴿اعملوا ليوم تذخر له الذخائر ، وتبلى فيه السرائر ، ومن لا ينفعه حاضر لبّه، فعاز به عنه اعجز ، وغائبه اعوز ، (أي من لم ينتفع بعقله الموهوب له الحاضر في نفسه ، فأولى به ان لاينتفع بعقل غيره الذي هو غائب عن نفسه)﴾.

﴿ اعينوني على انفسكم ﴾.

﴿ فلينتفع امروء بنفسه ، فانما البصير من سمع فتفكر ، ونظر فابصر ، وانتفع بالعبر ، ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي ، والضلال في المغاوي﴾.

﴿ اعلموا ، عباد الله ، ان عليكم رصداً من انفسكم ، وعيوناً من جوارحكم﴾.

﴿ طوبي لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ﴾.

﴿ فطوبي لذي قلب سليم اطاع من يهديه ، وتجنب من يرديه ، واصاب سبيل السلامة ببصر من بصره ، وطاعة هادٍ امره ﴾.

﴿ وبرق له لامع كثير البرق ، فابان له الطريق ﴾.

﴿ فحاسب نفسك لنفسك ، فان غيرها من الانفس لها حسيب غيرك﴾.

﴿ امرؤ لجم نفسه بلجمها ، وزمها بزمامها ، فامسكها بلجامها عن معاصي الله، وقادها بزمامها الى طاعة الله ﴾.

﴿ اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك ﴾.

﴿ احصد الشر من صدرِ غيرك بقلعة من صدرك ﴾.

﴿ من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ﴾.

وان كانت هناك فروق بين طرق التعليم ووسائله اليوم ، وماكانت عليه يومذاك، الا ان الهدف واحد ، والغاية واحدة ، وانه عليه السلام قد وضع المنهاج التربوي الاول ، والذي هو منهاج الاسلام ، فهو حين يناديا عبر القرون :

﴿ بادروا العلم من قبل تصويح نبته ، ومن قبل ان تشغلوا انفسكم عن مستنار العلم من عند اهله ﴾.

وحين نسمع قوله عليه السلام :

﴿ منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا ﴾.

نكون مجدين في المثابرة على التحصيل العلمي ونشره على ضوء الشعار الاسلامي: ((من المهد الى اللحد)) .

وفي طلبنا للعلم علينا ان نلاحظ جيداً : ان تربيتنا الاسلامية يجب ان تكون متكاملة من جميع نواحيها ، العلمية والتربوية ، والنفسية ، فاذا كانت همة المربين تنصب على ناحية واحدة ، فتكون التربية الناقصة ، التي تكون بدورها سبباً لازدواج الشخصية ، وذلك مانراه عند كثير من أنصاف المتعلمين ، هؤلاء الذين ياخذون بجانب او اكثر من المبادىء المستوردة يرونها مكملة لما موجود في الاسلام ، وماعلموا ان الاسلام نظام للحياة مستند على نمط التفكير الخاص به ، ومجال الفكر المخصص له، ومنهجه في رؤيته للحياة ، ولما وراء الطبيعة ، فبعضهم يرى انه يأخذ الجانب الاقتصادي من فكرة غير اسلامية ، وهذا لايعارض بزعمهم الاسلام ، ولكنهم نسوا او تناسوا او تجاهلوا ان الاعتقاد بعدم صحة جانب من جوانب العقيدة الاسلامية ، انما هو كفر ، لانه إيمان ببعض الكتاب .. لهذا كان لزاماً علينا ان نأخذ بالمنهاج التربوي الاسلامي المتكامل ، كي تكون النتائج في تربية

الفرد الذي هو حجر الزاوية لبناء المجتمع مضمونه .

وابو تراب ينظر الى الفرد ، ومهما بلغ به العلم ، انه متعلم:

﴿ كل عالم غيره ـ أي غير الله ـ متعلم ﴾

لان الإنسان مهما تفتحت امامه ابواب العلوم وعبء منها عبّاً ، إلا انه قد أغلق عنه الكثير الكثير ، والانسان وان كان عالماً ينضح عنه العلم ، الا انه قد يستفيد ويتعلم من تجربة انسان بسيط ، وينتبه لكثير من الاخطاء بلفظ جرى على فم طفل، او تصرف جاء من حيوان ، ولقد نقل عن ابن المدبر إنه تعلم من الكلب والخنزير ، فقال تعلمت من الكلب الوفاء ومن الخنزير بكوره في العمل .

اما حين نتساءل ما الذي يجب ان نتعلمه ؟

يواجهنا الجواب على شفتين وكلتا ينطق الحق :

﴿ انه لاخير في علم لاينفع ، ولاينتفع بعلم لايحق تعلمه ﴾

والمواد التي يراها عليه السلام تستحق الاولوية في الاهمية هي :

﴿تعلم كتاب الله وتاويله وشرائع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه﴾.

لان القرآن مصدر العلوم ، فبدراسته وتأويله ، يتمكن من ان يتوصل الى شتى فنون المعرفة ، وتتفتح ذهنيته الى طرق عديدة من الخبرة ، والتفاعل مع آراء الاخرين، فيقدر من أن يميز بين ماهو مفيد وغير مفيد ، صالح وطالح ، خير أو شر ، فيأخذ ماهو نافع له وللآخرين ، ويتجنب ماهو مفسد لنفسه وللآخرين . والتتبع التاريخي لسير التربية والتعليم في الفترات المتعاقبة من تاريخ المجتمع الاسلامي يوصل الى : ان القرآن وعلومه العديدة والمتشعبة اثرت في تطوير هذا الفن ، ليكون سلاحاً بيد الشعوب للحفاظ

على حضارتها وتاريخها لابل وجودها في وجة الغزو الصليبي التبشيري . وتجربة الحفاظ على عروبة الجزائر بفضل القرآن ليست بعيدة عن الأذهان!

ثم يدرس الحلال والحرام : القانون الاسلامي بكل فروعه المدني ، التجاري ، الجنائي ، العقوبات ... ليعرف المرء مواضع قدمه لينقذ نفسه من الهلكة، والمجتمع من التفكك والتغابن ويكون شعاره ((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)) ويجنب نفسه والمجتمع الافات الانحرافية التي من الممكن أن تتغلغل من نقاط الضعف في النفس البشرية .

وبعد ذلك اعطاء الاهمية للأدب ـ والذي يعني هنا : التربية الحسنة والخلق القويم والسلوك المستقيم ـ فيقول في وصيته لإبنة الحسن عليهما السلام :

﴿ فبادرتُك بالأدب قبل ان يقسوا قلبك ، ويشتَغل لبُك ، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ماقد كفاك أهل التجارب : بغية وتجربة ؛فتكون قد كُفيتَ مؤنة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ماقد كنا نأتيه ، وأستبان ماربما اظلم علينا منه .﴾

ومن ثنايا هذا القول تتضح الاهمية من التجربة في عملية التعلم والتعليم ، حيث نراها في الفقرة السالفة منطلقاً لطلب العلم، وحيث يكون التفاعل بين افكار المعلم والمتعلم بما يجده من اراء . فان كان العكس ، فيقول عليه السلام :

﴿ فان أبت نفسك ان تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لابتورط الشبهات ﴾

وعن الاستفادة من التاريخ عملياً للأخذ بالحسن والاعتبار بالاخطاء التي وقع بها الماضون فيأخذ الحسن ويتجنب الخطأ:

﴿ إني ، وان لمْ اكن عُمرتُ عمر من كان قبلي ـ فقد نظرت في اعمالهم ، وفكرت في اخبارهم ، وسرت في اثارهم حتى عدت كاحدهم ، بل كأني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى اخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فأستخلصت لك من كل امر نخيله، وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله.﴾

ويعقد عليه السلام أهمية بالغة على التعلم في الصغر ، لانه اثبت في القلب ، وارسخ في الذهن ، واقوم لسلوك الفرد ، ويوضح ذلك قوله ، عليه السلام :

﴿ واجمعت عليه من ادبك ، ان يكون ذلك وانت مقبل العمر، ومقتبل الدهر، ذو نية سليمة ، ونفس صافية .﴾

لماذا؟

﴿انما قلب الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته . ﴾

ومن هذا الراي تبرز حتمية التربية الصحيحة في البيت ، والتي يكون فيها المربي والمعلم : الام ، المعبر عنها بالمدرسة الاولى ، والتي ينبغي ان تكون عارفة بمقومات التربية الصحيحة ، وهذا لاياتي الاعن طريق تربيتها اولاً .. والاب الذي يكون المشرف على سيرة التربية في بيته ، والذي عليه ان يطعم افكار بنيه وبناته بالافكار الصحيحة المبنية على أسس دينية صحيحة ، لا بالخرافات التي يظن انها من صلب الدين ، والتي تبتعد بالنشيءعن فطرته السليمة ، وحينذاك ينشأ الطفل وقلبه هواء ، فارغ من كل معتقد يتقبل كل فكرة ، وان كانت بعيدة عن فطرته الانسانية . وهذا لايتأتى الاعن ان يكون الاب قد هيأ نفسه لان يكون اباً ، ومسؤولاً عن تربية ابنائه امام الله تعالى ((فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)).

ثم ياتي دور المعلم في المدرسة باعتباره المطبق والاداة في عملية التربية والتعليم، وكذلك المنهج الذي يجب ان يكون اسلامياً في كل نقطة من نقاطه، والكتاب الذي يضعه اناس لهم ضمائر تحركهم نحو الصحيح ، والصحيح فقط ، وكذلك المشرف التربوي الذي تاخذ المدرسة بوجوده طابعاً خاصاً من النظام ، والانفعالات ، والجودة بالاداء والتطبيق . فالمدرسة هي المكان المقدس بالمنطق العلمي والاخلاقي ، والمعلم هو المربي الحق ، والكتاب الذي فيه هندسة عملية التعليم ، والمشرف التربوي الذي يلاحظ التطبيق بصورته الفضلى كل اولئك لهم سيطرة عظيمة على اتجاه الطالب وسلوكه في الحياة ، وحتى على الافكار التي يحملها اليها .

ومن المدرسة الحديثة بوضعها الحديث ، وبمخطط وضع منذ اول يوم وطأت ارضنا قدم الاستعمار- نقول ذلك استناداً لواقع الحال - كان الانحراف عن الدين .

وابو تراب حين يضع نظريته التربوية ، والتي هي نظرية الاسلام التربوية ، اراد ان (يهيء رجالاً مطبوعين بطابع الاسلام الخالص ، ويتخرج بفضله : المؤرخون المسلمون ، والفلاسفة المسلمون ، والمسلمون الحاذقون في العلوم الطبيعة والاقتصادية والمالية ،والذين لهم الحظ في القانون والسياسة ، وفي كل فرع من فروع العلوم ، والفنون ، ومن الذين امتزجت الفكرة الاسلامية بلحومهم ، ودمائهم ، وتثقفت اذهانهم ،واتسعت مداركهم اتساعاً يؤهلهم لتدوين نظام للافكار والنظريات ، ومنهاجاً كاملاً للحياة العملية مبنياً على مبادىء الاسلام ، وقواعده ، وبذلك يتمكنون من مقارعة ائمة الكفر ، ويجاذبونهم بحبل ، كي لا يبسطوا سلطان سمومهم الفكري على عقولهم ، واذهانهم ، ويرغموهم على الاستسلام لزعامتهم الفكرية).

بين أول الحديث

وآخره . . .

اول حديث....

لابي تراب....

بعد ان بايعه الناس

ومن خطبة له عليه السلام في اول خلافته :

﴿ ان الله تعالى انزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر ، فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا، الفرائض الفرائض . ادوها الى الله تؤدكم الى الجنة . ان الله حرّم حراماً غير مجهول ، واحلّ حلالاً غير مدخول ، وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها ، فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده الا بالحق ، و لا يحل اذى المسلم الاّ بما يجب ، بادروا امر العامة، وخاصة احدكم وهو الموت ، فان النار امامكم ، وان الساعة تحدوكم من خلفكم . تخففوا تلحقوا !! فانما ينتظر بأولكم اخركم، اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، واطيعوا الله ولا تعصوه، واذا رايتم الخير فخذوا به ، واذا رايتم الشر فاعرضوا عنه . وتوشك الأيام أن تنتهي ﴾ .

وتوشك الأيام أن تنتهي

رُوي عن نوف البكالي ، قال : خطبنا هذه الخطبة بالكوفة امير المؤمنين عليه السلام ، وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف ، وكأن جبينة ثفنة بعير.. فقال عليه السلام :

﴿ الحمدُ لله الذي اليه مصائر الخلق ، وعواقب الامر ، نحمدُهُ على عظيم احسانه ، ونيَر برهانه ، ونوامي فضله وامتكانه، حمداً يكون لحقه قضاءً ولشكره اداءً، والى ثوابه مقرباً ، ولحسن مزيده موجباً ، ونسعتين به استعانة راجٍ لفضله، مؤمل لنفعه ،واثق بدفعه، معترف له بالطول ، مذعن له بالعمل والقول.

ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً واناب اليه مؤمناً وخنع له مذعناً ، واخلص له موحداً ، وعظّمهُ ممجداً ، ولاذ به راغباً مجتهداً ، لم يولد سبحانه فيكون في العز مُشاركاً ، ولم يَلد فيكون مورثاً هالكاً ، ولم يتقدمه وقتٌ ولا زمان ، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان ، بل ظهر للعقول بما ارانا من علامات التدبير المتقن ، والقضاء المبرم.

ومن شواهد خلقه خلق السموات موطّدات بلا عمد ، قائمات بلا سند ، دعاهُنّ فأجبن طائعات مذعنات ، غير متلكئات ولا مُبطئات ، ولولا إقرارهن بالربوبية ، واذعانهن له بالطواعية . لما جعلهن موضعاً لعرشه ولا مسكناً لملائكته ، ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه ، جعل نجومها اعلاماً يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الأقطار ، لم يمنع ضوء نورِها ادلهام سِجَف الليل المظلم ، ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس

ان تَرُدَّ ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر.

فسبحان من لايخفى عليه سواد غسق داج ، ولا ليل ساج ، في بقاع الارضين المتطأطئآت ، ولا في بقاع السُفع المتجاورات، وما يتجلجل به الرعدُ في افق السماء ، وما تلاشت عنه بروق الغمام ، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عن عواصف الانواء وانهطال السماء ، ويعلم مسقط القطرة ومقرّها، ومسحب الذرة ومجرها ، وما يكفي البعوضة من قوتها ، وما تحمل الأُنثى في بطنها .

الحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسيٌ اوعرشٌ ، او سماءٌ او ارضٌ ، او جانٌ او انس ، ولا يدرك بوهم ، ويُقدّر بفهم ، ولا يشغلُهُ سائلٌ ، ولا ينقصُهُ نائل، ولا يُنظرُ بعين ، ولا يُحَدُّ بأينَ؟ ولا يوصف بالأزواج ، ولا يُخلق بعلاج ولا يُدرك بالحواس ، ولا يُقاس بالناس ، الذي كلم موسى تكليماً. وأراه من آياته عظيماً ، بلا جوارح ولا ادوات ، ولا نطقٍ ولا لهوات.

بل، إن كنت صادقاً أيها المتكلف لوصف ربك ، فصف جبرائيل وميكائيل ، وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مزجحنين (المائل لثقله ، كناية عن انحنائهم لعظمة الله) ، متولهة عقولهم ان يَحُدُّوا أحسن الخالقين ، فإنما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات ، ومن ينقضي اذا بلغ امدَ حده بالفناء! فلا اله الا هو أضاء بنوره كل ظلام ، واظلم بظلمته كل نور .

اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم المعاش، ولو ان احداً يجد الى البقاء سُلَماً او الى دفع الموت سبيلاً لكان ذلك سليمانَ بن داود (عليه السلام) . الذي سُخّرَ له مُلك الجن والانس ، مع

النبوة وعظيم الزلفة . فلما استوفى طعمته ، واستكمل مدتهُ ، رمته قسيُّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية ، والمساكن معطلة ، وورثها قوم آخرون، وانَّ لكم في القرون السالفة لعبرة !

اين العمالقة وابناء العمالقة ؟ أين الفراعنة وابناء الفراعنة؟ أين اصحاب مدائن الرسّ الذين قتلوا النبيين ، واطفأوا سنن المرسلين ، واحيوا سُنن الجبارين؟ أين الذين ساروا بالجيوش ، وهزموا بالالوف ، وعسكروا العساكر ، ومدَنوا المدائن ؟ ﴾ .

قال (عليه السلام) يعني نفسه :

﴿ قد لبس للحكمة جُنّتها ، وأخذها بجميع أدبها : من الاقبال عليها ، والمعرفة بها ، والتفرغ لها ، وهي عند نفسه ضالّتهُ ، التي يطلبها ، وحاجته التي يسأل عنها ، فهو مغترب اذا إغترب الاسلام ، وضرب بعسيب ذنبه ، والصق الارض بجرانه ، بقية من بقايا حجته ، خليفةٌ من خلائف انبيائه ﴾ .

ثم قال (عليه السلام) :

﴿ ايها الناس .. إني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الانبياء بها أممهم، وادّيت اليكم ما ادّت الاوصياء الى من بعدهم، وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا ، وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا!! لله انتم ، اتتوقعون اماماً غيري يطأ بكم الطريق ، ويرشدكم السبيل ؟!

الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلاً ، واقبل منها ما كان مدبراً ، وأن مع الترحال عباد الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى .

ما ضَرَّ اخواننا الذين سُفكت دمائهم وهم بصفين ان لا يكونوا اليوم احياء يسيغون الغُصصَ ويشربون الرَنَق ؟! فقد ـ والله ـ لقوا الله فوفّاهم

أجورهم ، واحلّهم دار الامن بعد خوفهم .

اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقِ ؟ اين عمار[1] . اين ابن التيهان[2] ؟ واين ذو الشهادتين[3] ؟ واين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على النيّة ، وأبرد برؤوسهم الى الفجرة ؟ ﴾ .

قال نوف : ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء .

ثم قال عليه السلام :

﴿ اوه على اخواني الذين قرأوا القران فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، احيوا السنّة ، واماتوا البدعة ،دُعوا للجهاد فأجابوا ، ووثقوا بالقائد فاتبعوه ﴾.

ثم نادى باعلى صوته :

﴿ الجهاد الجهاد عباد الله !! ألا واني معسكر في يومي هذا، فمن اراد الرواح الى الله فليخرج ﴾ .

قال نوف : وعقد للحسين عليه السلام في عشرة الاف ، ولقيس بن سعد رحمه الله في عشرة الاف ،ولأبي ايوب الانصاري في عشرة الاف ، ولغيرهم على اعداد أخر ، وهو عليه السلام يريد الرجعة الى صفين .

فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر ، فكنا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان .

---

(١) عمار بن ياسر

(٢) ابو الهيثم مالك ابن التيهان ،وهو عمرو ابن الحارث قتلوا في صفين وارسلت رؤوسهم الى البغاة

(٣) خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين

آخـر حديث ..
لأبي تـراب

ومن كلام له عليه السلام قبل موته :

﴿ أيها الناس .. كل أمرىء لاقٍ ما يفرُ منه في فِراره ، والأجل مساق النفس، والهرب منه موافاته ، كم أطردتُ الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر ، فأبى الله الا اخفاءه ، هيهات !علم مخزون ، اما وصيتي فالله لا تُشركوا به شيئاً ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا تضيعوا سنته . اقيموا هذين العمودين ، واوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذمٌ ما لم تشردوا (أي تميلوا عن الحق) . حمل كل امرىء منكم مجهوده ، وخففَ عن الجهلة رب رحيم ، ودين قويم ، وامام عليم ، انا بالأمس صاحبكم ،وانا اليوم عبرة لكم ، وغداً مفارقكم ، غفر الله لي ولكم.

ان ثبتت الوطأة في هذه المزلة فذاك ، وان تدحض القدم فإنا كنّأ في افياء أغصان، ومهب رياح ، وتحت ظل غمام اضمحل في الجوّ متلفقها ، وعفا عنها في الارض مخطها، وانما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً ، وستعقبون مني جثة خلاء ، ساكنة بعد حراك ، وصامتة بعد نطق ، ليعضكم هدوّي وخفوت إطرافي (أي العينان) وسكون أطرافي (أي الرجلان واليدان) فانه واعظ للمعتبرين من المنطق البليغ ، والقول المسموع . وداعي لكم وداع امرىء مرصد للتلاقي (أي منتظركم) غداً ترون أيامي ، ويكشف لكم عن سرائري ، وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي﴾.

ومن وصية له عليه السلام
للحسن والحسين عليهما السلام
لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

﴿ أوصيكما بتقوى الله ، وان لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا للحق ، واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً .

أوصيكما ، وجميع ولدي ، وأهلي ، ومن بلغه كتابي ، بتقوى الله ، ونظم أمركم ، وصلاح ذات بينكم ، فاني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله وسلم يقول : "صلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام " .

الله الله في الأيتام ، فلا تغبّوا أفواههم ، ولا يضيعوا في حضرتكم .

والله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه سيورثهم .

والله الله في القرآن ، لايسبقكم بالعمل به غيركم .

والله الله في الصلاة ، فانها عمود دينكم .

والله الله في بيت ربكم ، لا تخلوه ما بقيتم ، فإنه ان تُرك لم تناظروا .

(أي لا ينظر اليكم بالكرامة لامن الله ولا من الناس).

والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل والتباذل ، واياكم والتدابر والتقاطع ، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ﴾.

ثم قال : ﴿ يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين

خوضاً ، وتقولون : قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ! لا تقتلنّ بي الا قاتلي انظروا اذا أنا مت من ضربته هذه ، فاضربوه ضربة بضربة ، ولا يُمثل بالرجل ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول:

"اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور" ﴾ .

ملحق

((وجدت من المناسب أن اختم هذه الحلقة بكلمة ألقيتها في الاحتفال السنوي لمدينة الناصرية بذكرى عيد الغدير الأغر في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٨٤ هجـ))

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكـــرى الغـــدير..

مرحباً بكِ ايتها الذكرى ..

مرحباً بك ايتها الذكرى فانك تأخذين بحواسنا ومشاعرنا بعيداً بعيداً الى حيث نسمع الوحي على لسان النبي الامي غضاً نديا

((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ))

مرحباً بك ايتها الذكرى فانك تسمعيننا قول الرسول الاعظم ليطرق الاسماع ويمسها مساً عنيفاً:

((الست اولى بالمؤمنين من انفسهم))

((فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه))

مرحباً بك ايتها الذكرى فانك تجعلين المستمع لا يغتاظ من النقد البناء:. وتخلقين منا رجالاً نعمل بموجب الآية الكريمة :

((فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى))

تخلقين منا أناساً نلح بالمزيد من طلب العلم النافع لنا عملا بما توحيه الاية الكريمة :

((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ))

مرحباً بك ايتها الذكرى . .

انك لجميلة عذبة . . ولكن . . ويا للاسف الشديد ..

عندما تلألأت انوارك وتألق لألاؤك. . وجدنا الصلة بيننا وبين امير

المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام مجرد صلة عاطفية مبنية على اسس رملية من الخرافات والتقاليد التي طغى ظلها على جوهر العقيدة .. واذا بقينا كذلك هدمت هذه الخرافات العقيدة وقوضت اركانها .

حلمك مستمعي الكريم ..

حلمك ان الهبت مشاعرك بسوط النقد البناء ..

فأنا اقولها بصراحة لاني اعتبر نفسي وانا في موقفي هذا مسؤول أمام الله عز وجل.

نعم .. اقولها صراحة باننا نعيش مع ائمتنا على مستوى عاطفي يجعلنا بعيدين وبعيدين جداً عن المستوى الاسلامي الرفيع ، المستوى المراد منا ان نحياه كمسلمين..

ومن هنا اتينا ، وذهب ريحنا ، وتشتت قوانا ، وتمكن منا اعداؤنا الى زمن قريب..

ايها السادة . . ما فائدة الولاء والحب العاطفي اذا كانت اعمالنا جميعها كفرا وبغضاً لاهل البيت ؟

ولعلك ايها الاخ الكريم تقول . . ومن حقك ان تقول ..

ما هذا الخلط ؟

اذا كنا نحب فكيف نبغض ؟

واقول . . اذا عملنا عكس ما يرتضيه الشارع المقدس حينذاك ينقلب ولاؤنا كفراً وحبنا بغضاً لاننا سرنا على غير الخط الذي رسمه لنا من نواليه ونحبه ..

وان الذي يقول لك ان الحب ينفعك من غير عمل واستقامة انه يغشك.. نعم والله انه يغشك ..

واني لارى ان لاداعي للخداع بعد اليوم . . خداع النفس وخداع المجتمع ، وخداع الاجيال القادمة . . علينا ان نعري انفسنا امام انفسنا . . وان ننتشل ذاتنا من الحضيض المادي الذي انحدرت اليه ، ونرفعها للقمة حيث المبادىء الاسلامية التي يجب ان نعيشها بعد ان نجعل انفسنا على مستواها . .

وحين اقول مبادىء اسلامية لا ارمي بذلك الى خطط حزبية ضيقة المدى والتفكير .. ولا اعني بذلك شعاراً يُتجر به او اغراء للجماهير المندفعة عاطفياً بدون سلاح من علم أو عمل او ان يبرز زيد او عمر على اكتاف الاخرين . .

حين اقول مبادىء اسلامية لا اقصد مطلقاً مسبحة تدار وهينمة شفاه أو حركة دائبة بين البيت والمسجد – وان كان هذا العمل جميلاً – الا انه يعطي نتائج مضادة اذا كان الفرد بلا روح ، بلا حياة ، بلا عقل . .

أنا لا اقصد ذلك ابداً ..لا...وانما الذي اريده هو : المبادىء التي يجب ان يعمل بها ولها كل فرد في الظاهر والباطن ، في البيت وخارجه ، في المعمل والمتنزه في المجال الخاص والعام ، بل في كل دقيقة من دقائق حياتنا التي نعيشها..

يجب ان نعمل سوية من اجل اظهار الواقع الاسلامي وان لا نجعله مجرد قيم خيالية .

اما في واقعنا هذا الذي نعيشه فان سؤالا كبيراً يدور في ذهني :

هل نحن مسلمون ؟

ويجيبني الواقع بمرارة . .

أأخبرك ما الجواب ؟

نعم . . أخبرك وبكل صراحة . . وان كانت الصراحة مرة في أغلب الاحيان . . ان لا . . وإنما نحن أشباحٌ للمسلمين نسير على هذه الارض التي ما خلقها الله وإيانا عن لعب او لهو..

ومن حقك ان تقول ..

ما هودليلك على ذلك ؟

واني لمستعد ان اجيبك ..

لو كنا مسلمين حقاً لما تعطش احدنا الى النظر الى عرض غيره بنهم غريزي..

لو كنا مسلمين حقاً لما شربت الخمرة في الاسواق فضلاً عن البيوت والمحال الخاصة والعامة.

لو كنا مسلمين حقاً لما شوهد شباب متهتك ممن تزيا بزي النساء روحاً وقالباً في كل منعطف يسمعون المارات افحش الكلام واقبحه .

لو كنا مسلمين حقاً لما تركنا بناتنا وهن في عمر الورود يَجُلنَ في الشوراع والاسواق وكل واحدة منهن كأنها مساقة الى مخدعها في ليلة زفافها..

وهنا قد يتهمني البعض بالرجعية كما هي موضة العصر..

وردي على هذا الاتهام ..

بئس التقدمية والثقافة ، الاسفاف في الخلق والانحطاط في القيم والمثل.

واذا كنا مسلمين حقاً فما هذا الغش في الاسواق ؟

وما هذا الربا المتفشي سواء اكان العلني منه ام المتخفي وراء حجاب..

الى ما هنالك من الاعمال اللا اسلامية التي تجعل علياً عليه السلام في مثل هذه الذكرى يشيح بوجهه عنا ويرفض ولاءنا ..

ويرفض ولاءنا ايضاً ، لاننا نسينا قوله :

﴿ ((فان كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الامور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالاخلاق والاحلام العظيمة والاخطار الجليلة والاثار المحمودة فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية للكبر والاخذ بالفضل وللكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق وللكظم للغيظ واجتناب الفساد في الارض. واحذروا ما نزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال . فتذكروا في الخير والشر أحوالهم واحذروا أن تكونوا أمثالهم . فاذا تفكرتم في تفاوت حالهم فالزموا كل أمر لزمت العزة به شأنهم وزاحت الاعداء له عنهم ومدت العافية فيه عليهم وانقادت النعمة له معهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم: من الاجتناب للفرقة والزوم الألفة والتحاض عليها والتواصي بها ، واجتنبوا كل امر كسر فقرتهم واوهن منتهم : من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الايدي)) ﴾ .

وذلك بطبعية الحال نتيجة للاعمال اللا إسلامية التي نراها صباح مساء تلك الاعمال التي يقوم بها مدعو الاسلام .

اذن لنصحح اوضاعنا ولا تصحح الا بصلاح انفسنا . وانفسنا لا تصلح الا بالتربية الاسلامية الحقة .

فلنحسن تربية انفسنا . . وعند ذلك نتمكن من خلق جيل اسلامي صاعد واع يخدم نفسه ووطنه وامته ، ويتمكن من حمل مشعل الهداية للعالم الذي تملكه القلق المادي والخوف من التيارات الفكرية المتضادة الجارفة . .

معذرةً أبا الحسن : معذرة ان لم اكن قد اعطيت هذه المناسبة حقها ، ولكنها يا أبا الحسن نفثات صدر مؤمن بالمبادىء والقيم العليا التي ضحيتم من اجلها اهل البيت والتي يجب ان يعيشها الشعب المسلم في انحاء الدنيا .. يحاول عرض بعض المشاكل الاجتماعية على أذنٍ واعية تسمع وتتعض وتشارك في وضع الحلول الصحيحة السليمة للاصلاح . .

وإني لا دعو كافة الشعراء والخطباء من على هذا المنبر ـ كما دعوتهم من قبل ـ الى العمل من اجل رفعة الاسلام وعزته ومنعته.. فكفانا تخمة من الفاظ رنانة ومدح . . فالائمة ما وجدوا ليمدحوا ويُثنا عليهم فالله قد مدحهم ورسوله والمؤمنون ولكنهم وجدوا من اجل العمل للاسلام ونشر تعاليمه.، فلنضع نشر تعاليم الاسلام نصب اعيننا في كل خطوة نخطوها .

ايها السادة :

ان الاحتفال بذكرى الغدير ليس عملاً طائفياً كما يحلو للبعض أن يسميه ولكنه ـ اذا كان هنالك تجاوب بين افراد الشعب المسلم طبعاً ، قوة دفع هائلة تأخذ بيد المجتمع نحو العلو.. علو الاسلام ومبادئه ـ أما اذا كان هذا التجاوب منعدما ونظر لمثل هذه الاحتفالات من زاوية معتمة خاصة فانها لا ولن تفي بالغرض المرجو منها . . وإنها لا تؤتي ثمارها ، وإذا كان ذلك في بعض الاحيان فيكون الثمر فجّاً لا فائدة منه .

ومعذرةً أيها الاخوان المحتفلون ..

والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الناصرية ـ العراق ٢٠ / ٨ / ١٩٦٥

القسم الثاني

ما أضيفَ للكتاب في طبعته الثانية

الأولُ . . .

والآخر !!

الأولُ والآخر

نص الخطبة التي ارتجلها
سماحة الشيخ محمد حسن عليوي الخضري
ليلة الأربعاء الثالث عشر من رجب ١٤٢١هـ
لمناسبة مولد الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وقد تضمنت هذه الخطبة الكثير من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المذكور في كتاب ((نهج البلاغة)) ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ..وصلى الله وسلم على اشرف الأنبياء وخاتم والمرسلين .. حبيبنا ونور قلوبنا وطب دائنا .. محمد صلى الله عليه وآله وسلم .. وعلى آله الطيبين الطاهرين[1]

السلام عليك يا سيدي يا أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وسيد الثقلين ، ويعسوب الدين، وتاج البكائين، وقاتل المشركين، ومميز المؤمنين من المنافقين بحبه، سيدي علي بن أبي طالب (عليه السلام)

سيدي يا أمير المؤمنين : ما أنا ؟ وما خطري ؟ حتى أتحدث في عظمتك !! التي ملأت الدنيا من بدئها بالكلمات التي تاب بها الله تعالى على أبي البشر آدم (عليه السلام) ، والكلمات التي سارت بها سفينة نوح (عليه السلام)، والكلمات التي اتمهُنَّ إبراهيم (عليه السلام) ، وعهد إبراهيم وبشارة موسى ، وترنيمة عيسى عليهم السلام، وبشارة التوراة والإنجيل..

والعهد والميثاق الذي أخذه الله من المؤمنين على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : لتنصُرُنَّهُ ونصر الله من نصره وخذل الله من خذله .. إلى القبر ، والبرزخ والحشر، والحوض، ولواء الحمد، والصراط ، والميزان وجلوسه على باب النار يقول لها : هذا وليي لي فاتركيه ، وهذا عدوي لك فخذيه ، وحيث يكون في يدك يا سيدي قضيب من عوسج الجنة تذود به

(١) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء .وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم .وقد ورد في ثنايا الخطبة القول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فإنما نقولها للأمانة في النقل من المصادر التي تعتمد على الصلاة البتراء.

المنافقين عن الحوض كما تَذادُ غريبة الإبل يوم وردها. فأنا لي أن أتحدث عن صوت بدا نورا من حول العرش وانتهى نوار تضاء به عرصات القيامة، والدنيا كل الدنيا صدى صوته.

ولكنه دَلْوي أدلو به بالذي ينفعني يوم حشري ونشري.

أيها الأحبة :

لقد سألني بعض أبنائي صباح هذا اليوم هذا السؤال: أليس قول الإمام علي (عليه السلام) ((أنا الأول والآخر)) فيه رائحة الشرك؟ فضلاً عن الغلو.؟

فأجبت: أني سأتحدث هذه الليلة ليلة الأربعاء الثالث عشر من رجب الحرام ١٤٢١هـ ليلة ميلاد سنام العرب وتاج قريش علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وأرجو التوفيق من الله تعالى أن يعينني على الصواب في شرح هذا المقطع من خطبته (عليه السلام) : الذائعة الصيت والتي اختلف فيها العلماء بين نفي واثبات وتحريف.

أخي الكريم: إنَّ هذه الخطبة ظنية الصدور عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعلى فرض القطع بصحتها: فانه ليس فيها مثقال ذرة من شرك . ولا غلو أقول ومن الله السداد والتوفيق والهداية إلى الحق:علي مع الحق والحق مع علي، وعلي مع القرآن والقرآن مع علي: هكذا قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكون هو صلى الله عليه وآله وسلم مدينة العلم وعلي بابها.

قال ابن عباس : عِلَم النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ من علم الله ، وعلم علي من علم النبي، وعلمي -ابن عباس- من علم علي، وما علمي

في علم علي إلا قطرة من سبعة أبحر.

أيها الأحبة: لنبدأ الموضوع من أوله ولنعود إلى بيت أبي طالب وفاطمة بنت أسد ونتدرج بما تسعفنا به الذاكرة والوقت إلى يوم الشهادة في المحراب.

جاء في مستدرك الصحيحين، ونور الأبصار، وكنوز الحقائق، وأسد الغابة، وغيرها كثير :أن عليا (عليه السلام) هو الأول الذي ولد في الكعبة وهو الآخر. . وانه (عليه السلام) الأول الذي بمنزلة الكعبة -حيث يؤتى ولا يأتي- وهو الآخر.

وجاء في صحيح الترمذي ، وخصائص النسائي، وأسد الغابة،ومستدرك الصحيحين ، وتاريخ الطبري، ومسند الامام احمد بن حنبل ، وغيرهم كثير وكثير جداً : ان عليا (عليه السلام) أول من اسلم ولما يدخل الشرك إلى قلبه مقدار حبة خردل وهو الآخر.

قال طه حسين في إسلامياته: من الخطأ ان يقال ان عليا رضي الله عنه وكرم الله وجهه أول من اسلم ، فعلي والإسلام ولدا معا . وهذا القول - كما يقول طه حسين لمن كان على غير الإسلام ثم اسلم وما كان علي إلا مسلماً من أول حياته

وجاء في الرياض النظرة، عن الخليفة عمر بن الخطاب قال: اشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] سمعتُهُ وهو يقول: لو ان السموات السبع وضعت في كفة ووضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي ، فهو (عليه السلام) في ذلك الأول وهو الآخر.

وجاء في صحيح ابن ماجة، وفي تاريخ الطبري ،ومستدرك الصحيحين،

---

(١) كما في المصدر ، وينبغي ان يقال صلى الله عليه وآله وسلم

وكنز العمال، والرياض النظرة، ومسند احمد بن حنبل، وغيرهم كثير: ان عليا (عليه السلام) أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قبل الناس كلهم, ولا أحد غيره مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وجاء في الرياض النظرة : قيل يا رسول الله وكيف يستطيع علي ان يحمل لواء الحمد ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وكيف لا يستطيع ذلك؟! وقد أعطي خصالاً شتى : صبراً كصبري، وحُسْناً كحسن يوسف، وقوة كقوة جبريل ، وهو عليه السلام الأول في ذلك وهو الآخر.

وهو (عليه السلام) الأول الذي لقّبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبي تراب وهو الآخر وكانت من أحب الكنى إليه (عليه السلام) .

وهو (عليه السلام) الذي نزلت فيه وفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة والحسنين آية التطهير وهو الآخر. وهو (عليه السلام) الأول الذي خص في الحوار بين معاوية بن أبي سفيان وسعد بن أبي وقاص:

معاوية لسعد : ما منعك ان تسب أبا تراب؟

سعد بن أبي وقاص : ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن اسبه، لئن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك يقول له: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ألا انه لا نبي من بعدي ؟!)

وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم خيبر يقول له: ((لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسولهَ ويحبُّهُ اللهُ ورسولهُ))

قال سعد: فتطاولنا لها ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) ادعوا لي علياً .

ولما نزلت هذه الآية: ((فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ .... ﴿ آية المباهلة ﴾)) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسن وحسيناً . وهو عليه السلام الآخر.

ذكر الحديث مسلم في صحيحه وكل مفسر فسر آية المباهلة. وجاء في صحيح الترمذي قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت.وكذا رواه احمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه .وهو الأول مع ولديه وفاطمة وهو الآخر.

هل أتاك حديث هل أتى، والكوثر، والعاديات وآية المودة من سورة الشورى ، آية التبليغ، وسأل سائل بعذاب واقع؟؟ هل قرأتها؟ هل فهمت – سيدي الكريم مغزاها- أن عليا (عليه السلام) هو الأول فيها وهو الآخر.

هل قرأت سورة الرعد وهل تأملت ((إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))؟؟

وهل اطلعت على سورة السجدة وثبّت نظرك في قوله تعالى: ((أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ))

أو سورة هود: وقوله تعالى ((أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ)) أو سورة التحريم:))فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ)) وغيرها كثير وكثير ! كان علي (عليه السلام) فيها الأول والآخر.

أخي في الله: تأملت آية النجوى والصدقة قبل مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والآية الناسخة لها وهو المورد الذي لم يعمل به رجل من المسلمين سوى علي (عليه السلام) فهو الأول وهو الآخر.

ومن هنا جاء قول علي (عليه السلام) يوم الشورى في حديث المناشدة: أفيكم أحد ناجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنتي عشرة مرة

غيري حين قال الله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)) ؟ قالوا: اللهم لا.... الحديث

وهو (عليه السلام) الأول الذي نام على فراش رسول الله ليلة الأول من ربيع الأول حين هاجر صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة يفديه بنفسه،وهو الآخر.

وهو الأول الذي آخاه رسول الله حين آخا بين المهاجرين والأنصار وهو الآخر ﴿لان عليا مهاجري وليس أنصاري﴾.

وهو (عليه السلام) الذي خُصَّ بحديث الغدير وهو الآخر

وهو (عليه السلام) الأول الذي فاضت روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين صدره ونحره وهو الآخر.

وهو (عليه السلام) الأول الذي صعد على منكب النبي وحطم الأصنام وهو الآخر.

وهو (عليه السلام) الأول الذي هاجر علانية وهو الآخر.

وقد ذكر مسلم في صحيحه ان ((حب علي من الإيمان)) وهو الأول في ذلك وهو الآخر.

وهو (عليه السلام) الأول الذي قال يوم ضرب في المحراب ((فزت ورب الكعبة)) وهو الآخر.

هذا الذي ذكرته غيض من فيض مما ذكر في كتب الصحاح من حديث، والتفسير، والتاريخ

سيدي الكريم: هل هذا الذي سمعته شرك والعياذ بالله ؟! أو فيه مثقال ذرة من غلو؟!

بعد ان بينا بشذرات قليلة للجواب عن السؤال الذي بدأنا فيه الحديث

ننتقل إلى بيت أبي طالب وفاطمة بنت أسد وهي تستأذنه للخروج إلى المسجد الحرام حيث الكعبة المشرفة لتنشق وتستضيف فاطمة بنت أسد لتضع أعظم مولود في الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاك هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ...

وألان اتلوا عليكم حديث المناشدة الأول والثاني - وهما الحديثان اللذان يؤيدان ما أسلفنا ذكره- مما رواه إمام الحرمين شيخ الإسلام المحدث الكبير إبراهيم بن محمد الجويني الشافعي من أعلام القرن السابع والثامن الهجريين المولود عام ٦٤٤هـ والمتوفى سنة ٧٣٠هـ

فرائد السمطين الباب الثامن والخمسون من السمط الأول:-

جوامع فضائل متلألئة الأنوار[١] ولوامع مآثر لمعة الآثار :

٢٥٠ - أنبأني السيد النسابة جلال الدين عبد الحميد بن فخار بن معد بن فخار الموسوي رحمه الله قال: أنبأنا والدي السيد شمس الدين شيخ الشرف فخار الموسوي رحمه الله ، إجازة براويته عن شاذان بن جبرائيل ألقمي عن جعفر بن محمد الدوريستي عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي بن بابوية القمي[٢] قال : حدثنا أبي ﴿ و ﴾ محمد بن الحسن رضي الله عنهما، قالا : حدثنا سعد بن عبد الله ، قال : حدثنا يعقوب بن يزيد ،عن حماد بن عيسى عن عمر بن أذينه ، عن إبان بن أبي عياش : عن سليم بن قيس الهلالي[٣] قال : رأيت عليا عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في

---

(١) لعل هذا هو الصواب ،وفي الأصل : (فضلالة الأنوار..)

(٢) رواه في الحديث : (٢٥) من باب : (نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على القائم (عليه السلام). وهو الباب : (٢٤) من كتاب إكمال الدين : ج ١ ، ص ٢٧٤ ط عام ١٣٩٠ ، وفي ط ص ٢٨٦.

(٣) ذكر الحديث في أوائل كتابه ، ص١١١،ط٣

خلافة عثمان (رض) وجماعة يتحدثون ويتذاكرون العلم والفقه ، فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها وما قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل مثل قوله : الأئمة من قريش، وقوله : الناس تبع لقريش وقريش أئمة العرب . وقوله لا تسبوا قريشا . وقوله : أن للقرشي قوة رجلين من غيرهم . وقوله: من أبغض قريشاً أبغضه الله . وقوله : من أراد هوان قريش أهانه الله .

وذكروا الأنصار وفضلها وسوابقها ونصرتها وما أثنى الله عليهم في كتابه وما قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وذكروا ما قال ﴿ في ﴾ سعد بن عبادة ، وغسيل الملائكة ، فلم يدعوا شيئا من فضلهم حتى قال : كل حيَ : منا فلان وفلان . وقالت قريش: مناَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنا حمزة ومنا جعفر ومناَ عبيدة بن الحرث ، وزيد بن حارثة ، وأبو بكر ، وعمر وعثمان وأبو عبيدة وسالم ﴿مولى أبي حذيفة﴾ وابن عوف فلم يدعوا من الحيَين أحداً من أهل السابقة إلا سمَوه !! وفي الحلقة أكثر من مأتي رجل فيهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمان بن عوف ، وطلحة ، والزبير ، والمقداد ، وأبو ذر ، وهاشم بن عتبة ، وابن عمر، والحسن والحسين عليهما السلام وابن عباس ومحمد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر .

و ﴿ كان في الحلقة ﴾ من الأنصار أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو أيوب الأنصاري وأبو الهيثم ابن التيّهان ، ومحمد بن مسلمة ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وجابر بن عبد الله ، وانس بن مالك ، وزيد بن أرقم وعبد الله بن أبي أوفى وأبو ليلى ومعه ابنه عبد الرحمن قاعد بجنبه غلام صبيح الوجه أمرد ، فجاء أبو الحسن البصري ومعه ابنه الحسن غلام أمرد صبيح

الوجه معتدل القامة .

قال ﴿ سليم ﴾ : فجعلت انظر إليه والى عبد الرحمن بن أبي ليلى فلا ادري أيهما أجمل غير ان الحسن أعظمهما وأطولهما .

فأكثر القوم وذلك من بكرة إلى حين الزوال ، وعثمان في داره لا يعلم بشيء مما هم فيه ، وعلي بن أبي طالب ساكت لا ينطق ﴿ هو ﴾ ولا احد من أهل بيته .

فاقبل القوم عليه فقالوا : يا أبا الحسن ما يمنعك ان تتكلم ؟ فقال : ما من الحيين إلا وقد ذكر فضلا وقال حقا ، فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار بمن أعطاكم الله هذا الفضل ؟ أبأنفسكم وعشائركم وآهل بيوتاتكم أم بغيركم؟ قالوا : بل أعطانا الله ومنّ علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعشيرته لا بأنفسنا وعشائرنا ولا بأهل بيوتاتنا. قال : صدقتم يا معشر قريش والأنصار! ألستم تعلمون ان الذي نلتم من خير الدنيا والآخرة منا أهل البيت خاصة دون غيرهم ؟ وان ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إني وأهل بيتي كنا نوراً يسعى بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق الله تعالى آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف سنة ، فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض ، ثم حمله في السفينة في صلب نوح عليه السلام ، ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم عليه السلام، ثم لم يزل الله تعالى عز وجل ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة من الآباء والأمهات ، لم يلق واحد منهم على سفاح قط)؟! فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدر وأهل أحد : نعم قد سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال ﴿ علي ﴾ عليه السلام : أنشدكم الله أتعلمون ان الله عز وجل فضل في كتابه السابق على المسبوق في غير آية ؟ واني لم يسبقني إلى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم احد من هذه الأمة؟ قالوا : اللهم نعم . قال : فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت : ((وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)) ﴿١٠٠ التوبة :٩﴾ ((وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)) ﴿١٠-١١/الواقعة ٥٦ ﴾ سُئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انزلها الله تعالى ذكره في الأنبياء وأوصيائهم فانا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي بن أبي طالب وصيي وأفضل الأوصياء؟! قالوا : اللهم نعم .

قال : فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)) ﴿ ٥٩/ النساء : ٤ ﴾ وحيث نزلت : ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)) ﴿٥٥/ المائدة : ٥ ﴾ وحيث نزلت : ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً))؟! ﴿١٦/التوبة ٩ ﴾ قال الناس : يا رسول الله خاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم؟ فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعلمهم ولاة أمرهم وان يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجهم ، فينصبني للناس بغدير خم ثم خطب وقال :

أيها الناس ان الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت ان الناس مكذبي فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني !!! ثم أمر فنودي بالصلاة جامعة ثم خطب فقال: أيها الناس أتعلمون ان الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين

وأنا أولى بهم من أنفسهم ؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: قم يا علي ، فقمت فقال: من كنت مولاه فعلي هذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

فقام سلمان فقال: يا رسول الله ولاء كماذا ؟ فقال: ولاء كولايتي ، من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه . فانزل الله تعالى ذكره : ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً)) ﴿المائدة: ٥﴾ فكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الله اكبر تمام نبوتي وتمام دين الله ولآية علي بعدي.

فقام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول الله هؤلاء الآيات خاصة في علي ؟ ﴿قال﴾ بلى فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة ، قالا: يا رسول الله بينهم لنا. قال علي أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي . ثم ابني الحسن ثم الحسين ثم تسعة من ولد ابني الحسين واحد بعد واحد ، القران معهم وهم مع القران ، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليَ الحوض

فقالوا : كلهم : اللهم نعم قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء . وقال بعضهم: قد حفظنا جل ما قلت ﴿و﴾ لم نحفظه كله، وهؤلاء الذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا.

فقال علي (عليه السلام) : صدقتم ليس كل الناس يستوون في الحفظ ، وانشد الله عز وجل من حفظ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قام فاخبر به.

فقام زيد بن أرقم والبراء بن عازب ، وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر

وأنت إلى جنبه وهو يقول : ﴿يا﴾ أيها الناس ان الله عز وجل امرني ان انصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي والذي فرض الله عز وجل على المؤمنين في كتابه طاعته فقرنه وبطاعته وطاعتي ، وأمركم بولايته ، واني راجعت ربي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني!!!

يا أيها الناس ان الله أمركم في كتابه بالصلاة فقد بيّنتها لكم ، و﴿بـ﴾ الزكاة والصوم والحج فبينتها لكم وفسرتها ، وأمركم بالولاية واني أشهدكم أنها لهذا خاصة – ووضع يده على علي بن أبي طالب (عليه السلام) – ثم لابنيه بعده ثم للأوصياء من بعهدهم من ولدهم لا يفارقون القران ولا يفارقهم القران حتى يردوا عليّ حوضي.

أيها ﴿ الناس : قد بينتُ لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ودليلكم وهاديكم ، ﴾ وهو أخي على بن أبي طالب وهو فيكم بمنزلتي فيكم فقلدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم فان عنده جميع ما علمني الله من علمه وحكمته فسلوه وتعلموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلموهم ولا تتقدموهم ولا تخلفوا عنهم فأنهم مع الحق والحق معهم لا يزايلوه ولا يزايلهم . ثم جلسوا.

قال سليم: ثم قال علي (عليه السلام) : أيها الناس أتعلمون ان الله انزل في كتابه: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)) ﴿٣٣-الأحزاب:٣٣﴾ فجمعني وفاطمة وبنيّ الحسن والحسين ثم ألقى علينا كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي ولحمي يؤلمني ما يؤلمهم ويؤذيني ما يؤذيهم ويحرجني ما يحرجهم فاذهب الرجس عنهم وطهرهم تطيرا. فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله ؟ فقال أنت إلى خير إنما أنزلت في

﴿وفي ابنتي﴾ وفي أخي علي بن أبي طالب وفي ابني وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها لأحد شرك؟؟!.

فقالوا كلهم: نشهد بان أم سلمة حدثتنا بذلك فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحدثنا كما حدّثتنا أم سلمة.

ثم قال علي (عليه السلام) : أنشدكم الله أتعلمون ان الله انزل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) ﴿١١٩/ التوبة-٩﴾ ؟! فقال سلمان: يا رسول الله عامة هذا أم خاصة ؟ قال: أما المؤمنون فعامة المؤمنين أمروا بذلك، وأما الصادقون فخاصة لأخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة .قالوا: اللهم نعم.

قال أنشدكم الله أتعلمون أني قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك: لِمَ خلفتني ؟ فقال : ان المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي ؟! قالوا اللهم نعم.

فقال : أنشدكم الله أتعلمون ان الله انزل في سورة الحج : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) ((وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ))؟! فقام سلمان فقال: ﴿يا رسول الله﴾ من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس ؟ الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ﴿وهم على﴾ ملة ﴿أبيكم﴾ إبراهيم ؟

قال: أعني بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الأمة. قال سلمان :

بينهم لنا يا رسول الله ، فقال: أنا وأخي علي أحد عشر من ولدي.

قالوا : اللهم نعم.

فقال: أنشدكم الله أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام خطيباً لم يخطب بعد ذلك فقال: يا أيها الناس أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلوا فان اللطيف ﴿الخبير﴾ اخبرني وعهد إليَ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَ الحوض. فقام عمر بن الخطاب شبه المغضب فقال: يا رسول الله أكل أهل بيتك ؟ قال: لا ولكن أوصيائي منهم أولهم أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي هو أولهم ثم ابني الحسن ، ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد حتى يردوا عليَ الحوض ﴿هم﴾ شهداء الله في أرضه وحجته على خلقه وخزّان علمه ومعادن حكمته ، من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله ؟؟!

فقالوا كلهم : نشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك.

ثم تمادى لعلي السؤال فما ترك شيئاً إلا ناشدهم الله فيه وسألهم عنه حتى أتى على آخر مناقبه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً، (وكانوا في) كل ذلك يصدقونه ويشهدون انه حق.

فضيلة كاملة ومنقبة شاملة

﴿في احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على الذين أرادوا به الغائلة﴾

٢٥١- اخبرني الشيخ الإمام تاج الدين علي بن أنجب بن عبد الله الخازن البغدادي المعروف بابن الساعي ، قال: نبأنا الإمام برهان الدين ناصر ابن أبي المكارم المطرزي الخوارزمي إجازة ، قال : أنبأنا اخطب خوارزم ضياء الدين أبو المؤيد الموفق ابن احمد المكي رحمه الله إجازة إن لم يكن سماعاً ، قال: أخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أفضل الحفاظ أبو النجيب سعد بن عبد الله بن الحسن الهمداني المعروف بالمروزي فيما كتب اليّ من همدان ، أنبانا الحافظ أبو علي الحسن بن احمد بن الحسن الحداد باصفهان ، فيما إذن لي في الرواية عنه ، أنبانا الشيخ الأديب أبو يعلي عبد الرزاق بن عمر بن إبراهيم الطهراني سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة ، انبأنا الإمام الحافظ طراز المحدثين أبو بكر احمد بن موسى بن مردويه الاصفهاني.

حيلولة : قال الشيخ الإمام شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني : واخبرني بهذا الحديث عالياً الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الاصفهاني في كتابه اليّ من أصفهان سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، عن أبي بكر احمد بن موسى بن مردويه ، أنبأنا سليمان بن الحرث بن محمد ، حدثنا أبو يعلي ابن سعيد الرازي حدثنا ﴿محمد بن﴾ حميد حدثنا زافر بن سليمان، حدثنا الحارث بن محمد عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال:

كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم عليا يقول : بايع الناس أبا بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه فسمعت وأطعت مخافة ان يرجع الناس كفاراً ﴿ يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم

بايع الناس عمراً وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه ، فسمعت وأطعت مخافة ان يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف﴾ ثم انتم تريدون أنْ تبايعوا عثمان ؟!! إذا لا اسمع ولا أطيع . ﴿و﴾ ان عمر جعلني من خمسة أنفار أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي كلنا فيه شرع سواء وأيم الله لو أشأ ان أتكلم ثم لا يستطيع عربيهم ولا عجميهم ولا معاهد منهم ولا المشرك رد خصلة منها ﴿ لفعلت﴾ ﴿ثم﴾ قال: أنشدكم الله أيها الخمسة أفيكم ﴿احد هو﴾ اخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري ؟ قالوا لا.

قال أمنكم احد له عم مثل عمي حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله غيري ؟ قالوا لا.

﴿ قال: أمنكم احد له ابن عم مثل ابن عمي رسول الله ؟ قالوا: لا.﴾

قال: أمنكم احد له أخ مثل أخي ﴿جعفر﴾ المزين بالجناحين يطير مع الملائكة في الجنة ؟ قالوا: لا .

قال أمنكم احد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء هذه الأمة ؟ قالوا: لا.

قال أمنكم احد له سبطان مثل الحسن والحسين سبطا هذه الأمة ابنا رسول الله غيري ؟ قالوا : لا.

قال أمنكم احد قتل مشركي قريش قبلي ؟ قالوا: لا. قال أمنكم احد وحد الله قبلي ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم احد أمر الله بمودته غيري ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم احد غسّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلي ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم احد سكن المسجد يمر فيه جنباً غيري ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم احد ردت عليه الشمس بعد غروبها حتى صلى العصر غيري ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم احد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – حين قرب إليه الطير فأعجبه – : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير – فجئت أنا لا اعلم ما كان من قوله فدخلت ﴿عليه فـ﴾ قال: وإليَّ يا رب وإليّ يا رب ! غيري ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم احد كان اقتل للمشركين عند كل شديدة تنزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم احد كان أعظم غناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – حين اضطجعت على فراشه ووقيته بنفسي وبذلت ﴿له﴾ مهجتي – غيري ؟ قالوا: لا.

قال: أمنكم احد كان يأخذ الخمس غيري وغير فاطمة ؟ قالوا: لا.

قال : أفيكم أحد يأخذ الخمس سهم في الخاص وسهم في العام غيري ؟ قالوا: لا

قال: أفيكم احد يطهره كتاب الله غيري ؟ حتى سد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبواب المهاجرين جميعاً وفتح بابي إليه ، حتى قام إليه عماه حمزة والعباس وقالا: يا رسول الله سددت أبوابنا وفتحت باب علي ؟!! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما أنا فتحت بابه ولا سددت أبوابكم بل الله فتح بابه وسد أبوابكم. قالوا: لا.

قال: أفيكم احد تمم الله نوره من السماء ؟ حتى قال: ((وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)) ﴿٢٦ بني إسرائيل﴾ قالوا : اللهم لا.

قال: أفيكم احد ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ست عشرة مرة غيري؟ حين نزل : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَة)) ﴿١٢- المجادلة﴾؟!! قالوا: اللهم لا.

أفيكم احد ولي غمض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري ؟ قالوا:لا.

قال: أفيكم احد ﴿كان﴾ آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وضعه في حفرته غيري ؟ قالوا : لا.

هذا غيضٌ من فيض من الخصال التي خُصَّ بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دون غيره ، ومن هنا كان الأول ، وكان الآخر ، فلا غلو في ذلك ولا شرك .

والله سبحانه وحده الهادي إلى سواء السبيل والسلام عليكم سادتي ورحمة الله وبركاته .

المغيب . .

نص الكلمة

التي ارتجلها

سماحة الشيخ

محمد حسن عليوي الخضري

ليلة وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

في الناصرية

في الثامن والعشرين من صفر سنة ١٤٢٢ هـ

وقد تضمنت الخُطبة بعض كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المذكور في كتاب ((نهج البلاغة)) ...

بسم الله الرحمن الرحيم

((وما محمد إلا رسول قد خلت من قَبْله الرُّسُلُ أفَإنْ مَاتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئا)) آل عمران/ ١٤٤

((هُوَ الَّذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَكَفَى بِاللَّه شَهِيداً ❖ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه وَالَّذِينَ مَعَهُ أشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّه وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ)) الفتح/ ٢٨-٢٩

((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأصْلَحَ بَالَهُمْ)) محمد /٢

الذكرى بين أيدينا تأخذ بأرواحنا وأحاسيسنا إلى حيثُ نقف أمامها بخشوع التعظيم وعظمة التلذذ بترديدها.نردد أنشودة الوفاء لعظيم ما كان في الدنيا أعظم منه...

ولدليل في الحياة ما كان في الدنيا أروعُ من خطواته ..

ولنورٍ هاد ينير الفكر ما كان في الفكر أورع منه

ولحنان يسبغ على الأمة ما كان في الأحضان أدفأ منه..

ولبسمة تشرق في ظلمات الحياة بنور ربها لتبين حقيقة الجادة التي نسلكها بيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها فما كان في الحياة نور اسطع منها ...

ولقواعد في كل أمر تحير العلماء في تفسير كنهها وقصروا في بلوغ مداها وأمعنوا النظر في ترديد صداها ...

ولدين تجلى بين يديه غصن زيتون لمن أراد السلام ((وَإنْ جَنَحُوا

لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)) الأنفال/ ٦١

وسيفا قاطعا لمن أراد النفاق والفرقة والطغيان ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)) التوبة / ٧٣ ((قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)) التوبة / ١٢٣ .

ولدوحة أغصانها باسقات غرسها بيديه الكريمتين وسقاها من مهجته ورعاها وبروحه غذاها لتبلغ المسيرة من بعده أقصاها.

((إني تركت فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي : كتاب الله ، حبل ممدود من السماء إلى الأرض.وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما)).

ولأمة اهتدت بهديه وسارت على منهاجه ولبت دعوته وانقادت إلى أمر الله بأمره وانتهت عما لا يريده الله بنهيه ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) آل عمران/١١٠ .

الذكرى بين أيدينا تأخذنا بأرواحنا إلى حيث البحث عن الذات المسلمة فينا لنعرضها على مقياس الإسلام والنهج الخالد لنعرف الذي عرفناه وندرك الذي لم نبلغه بعد في محاكمة للنفس وبحث عن الهوية ونقد ذاتي للتصحيح ((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) الرعد / ١١ . وهذا أمر إيجابي

وليعلم الناس انه سبحانه الكريم الذي لا يسلب نعمة أنعمها على عبد إلا أن يغير ((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) الأنفال / ٥٣ . وهذا أمر سلبي

أن آلاف الكتب وملايين المقالات ودهر طويل من ساعات الخطب التي

تحدثت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تف بالغرض الذي من اجله وضعت ونشرت وقيلت ، لان السنين كلما مرت تكشفت عن عنصرٍ جديد من عناصر عظمة هذا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وما كان ذلك إلا لان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ساحة ومساحة... وصوت وصدى...ساحته كانت الجزيرة تردد صوته فيها بين جبالها ووديانها وبين سهولها وصحاريها ..((قولوا لا اله إلا الله تفلحوا)) .

الجزيرة التي أراد ان يحولها إلى ايجابية الإسلام ويبعدها عن سلبية الشرك ((يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)) البقرة / ٢٥٧ ومن ثم قيادة العالم بزمام الإسلام ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) سبأ / ٢٨ .

وساحته وصدى صوته الدنيا من أولها إلى فنائها فهو ترتيل ادم ودعاء نوح وترنيمة موسى ودعوة إبراهيم وبشارة عيسى واللحن الأخضر الذي انشده النبيون والمرسلون كلهم في مسيرتهم نحو الكمال المطلق بأمر الله تعالى

فقد بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل وبشيرا برحمة رب العالمين وقومه في الجزيرة على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن، وحيات صم ، يشربون الكدر ، ويأكلون الجشب ، ويسفكون دماءهم ويقطعون أرحامهم . الأصنام فيهم منصوبة والآثام بهم معصوبة – كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) - اللهم فاجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك ، الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل، والمعلن الحق بالحق ، والدافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل ، كما حمل فاضطلع، قائما بأمرك مستوفزا في مرضاتك، غير ناكل عن قُدُم ولا واهٍ عن عزم ، واعيا لوحيك،

حافظا على عهدك ، ماضيا على نفاذ أمرك، حتى أروى قبس القابس، وأضاء الطريق للخابط

وهُديت به القلوب بعد خوضات الفتن وأقام موضحات الأعلام ، ونيرات الأحكام فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك بالحق ورسولك إلى الخلق

أرسله الله على فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم واعتزام من الفتن وتلظٍ من الحروب .. والدنيا كاسفة النور ، ظاهرة الغرور ،على حين اصفرار من ورقها وأياس من ثمرها واغورار من مائها قد درست منار الهدى ، وظهرت أعلام الردى .

بعثه والناس ضلال في حيرة وخابطون في فتنة قد استهوتهم الأهواء واستنزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء في الجهل، فبالغ صلى الله عليه وآله وسلم في النصيحة ، ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة.

وبنظرة واقعية ، وبمنظار ثاقب، وتجربة عميقة حقَر صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا وصغرها ، وأهونها وهوَنها ، وعلم صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى زواها عنه اختيارا،وبسطها لغيره احتقارا، فاعرض عنها بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه ، وأحب ان تغيب زينتها عن عينه لكي لا يتخذ منها رياشا ، أو يرجو فيها مقاما.

بلّغ ذلك عن ربه معذرا ، ونصح لامته منذرا، ودعا إلى الجنة مبشرا .

ليخرج بالحق عباد الله من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادته جل شانه، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته تبارك وتعالى، بقرآن قد بينه واحكمه ، ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه، وليقروا به إذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه

فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا قد رأوه.. بما أراهم من قدرته وخوفهم من سطوته، وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات . ثم انه صلى الله عليه وآله وسلم خلق فينا راية الحق من تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق.. ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان عليا (عليه السلام) لم يرد على الله ولا على رسوله قط ولقد واساه بنفسه في المواطن التي نكص فيها الأبطال وتأخرت فيها الأقدام .. نجده أكرم الله بها وصي نبيه وهو القائل : ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي، فامررتها على وجهي ،ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة أعواني .

فضجت الدار والأفنية : ملأٌ يهبط وملأٌ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلون عليه حتى وارياه في ضريحه صلى الله عليه وآله وسلم .

سيدي الكريم

هل مات محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟؟!!

محمد صلى الله عليه وآله وسلم : لم يمت !!

محمد صلى الله عليه وآله وسلم نداؤنا في مآذننا ، وركن في الأذان .

فان الغينا النداء : مات محمد !

محمد صلى الله عليه وآله وسلم صلاتنا على شفاهنا..فان مات التسبيح على شفاهنا ، ومات الذكر في قلوبنا، وبين جوانحنا: مات محمد !

محمد صلى الله عليه وآله وسلم نورنا على طريقنا يهدينا إلى سبيلنا: سبيل الله إلى الخير ..

فان عشنا في ظلام ، بغير نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم : مات

محمد !

محمد لم يمت !!!

محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت ما دام صلى الله عليه وآله وسلم ينكر علينا التعدد في الدين ...

لا تعددية في الدين ...

فان الإصرار منا على التعددية والتفرقة في الدين : مات محمد !!

((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) آل عمران /١٩

ولم يقل سبحانه وتعالى : ان الأديان .

قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)) التوبة / ٣٣

ولم يقل جل شانه: ليظهره على الأديان .

لان الأديان -وكما أسلفنا في دروس التفسير- بعضها يكمل بعض ، وبعضها يوضح بعض، وبعضها يظهر ما اندرس من بعض، وبعضها يقيم الأحكام التي ماتت من الدين السابق ويحييها..

الدين عند الله واحد ((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)) البقرة/٢٥٦

الدين واحد ..محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت !!

الدين متعدد ..محمد مات !!

هذا في الأديان ومن باب أولى تأكيده في التمذهب فان تعددت المذاهب على التفرقة :فان محمدا مات: وان تلاقت الأفكار على الوحدة فمحمد

صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت:

((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)) آل عمران/١٠٣ .

فان كانت كلمة التوحيد ووحدة الكلمة فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حي فينا وان كانت كلمة الشرك ونفاق التفرقة: فمحمد مات !!

إن إلى سبيل إلى الله واحد ((وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) الأنعام/١٥٣

فان اتبعنا السبل التي تفرقنا : محمد قد مات !! فإذا نهجنا نهجا واحدا على طريق محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل واحد – سبيل الله – على صراط واحد – صراط الله – في جادة واحدة – جادة الله – على ضوء شرع واضح المنهاج – شرع الله – : محمد حي لم يمت !!

فإذا نبذنا ذلك وراء ظهورنا فمحمد قد مات !!

محمد صلى الله عليه وآله وسلم ترك فينا قرانا يقرأ ..يتلى في كل لحظة ..أناء الليل وأطراف النهار ..لا تمر لحظة على الكرة الأرضية إلا والقرآن يتلى .

ان صمت هذا الصوت.. محمد مات !!

محمد صلى الله عليه وآله وسلم خلف فينا الثقلين: كتاب الله والعترة ، واخبرنا بخبر الله عنهما: أنهما لن يفترقا حتى يردا على محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحوض .

لن يفترقا ...

فما دام القرآن والعترة حيين فينا : فان محمد صلى الله عليه وآله وسلم حي .. فإذا فرقنا بين القران والعترة: فمحمد قد مات !!

أيها الأحبة :

دينكم خير الأديان..طريقتكم في الحياة خير طريقة ...

منهجكم لم يسبقكم إليه سابق، والعامل به لا يلحقه لاحق. الناس جميعا : قديمهم وحديثهم ، متقدمهم ومتأخرهم عيال عليه.. الكل في كل علومهم عيال على كتاب الله ..وعلى علم الله.

كتابكم خير كتاب، حي ينبض، جديد لا يمل ، ما دام الجديدان ..لا يبليه كر الجديدين،ولا يبلى، إلا إذا تركناه نحن واتبعنا غيره..مات محمد!!

أما إذا سرنا على نهجه، وما استجدينا من الآخرين منهجا.ولا استجدينا من الآخرين طريقة في الحياة ..فمحمد حي لم يمت !!

أما إذا صرنا عيالا على غيرنا، والذين هم في الأصل عيال علينا..فقد مات محمد!!

اللهم احشرنا مع محمد وآل محمد وارزقنا شفاعتهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد.اللهم أفسح له مفسحا في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على البانين بنيانه وأكرم لديك منزلته واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة اللهم اجمع بيننا وبينه في بَرْدْ العيش وقرار النعمة ورخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة وتحف الكرامة في مستقر رحمتك يا ارحم الراحمين.

والله سبحانه الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٨ صفر ١٤٢٢

٢٢ ايار ٢٠٠١

المنهاج التربوي الإسلامي

المنهاج التربوي الإسلامي
في وصية الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب لولده الحسن (عليهما السلام)
بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد بقلم سماحة الشيخ الأستاذ محمد حسن عليوي الخضري

ان الأزمات التي تعصف بالمجتمع الإسلامي ، وتتقاذف الفرد المسلم كثيراً ما تهد كيانه ، وتحبط آماله ، وتزلزل عقيدته، وتشتت فكره، وقد تصل به إلى إلغاء هويته ، منها : الاقتصادية، ومنها الفكرية، ومنها العقائدية، ومنها أزمات واقعهِ المعاش، ومسيرة حياته اليومية وتعامله مع المجتمع، واخطر هذه الأزمات هي الأزمة الأخلاقية، اذ يعيش نهاية القرن العشرين،ولا انفصام له عن مجتمع دولي قد تخطى حدوده الجغرافية، وقلص المسافات، واختزل الزمن، فالراديو ثم التلفزيون ثم الفيديو - معجزة العصر- ثم الانترنت كل أولئك ساهم في إحراق الخطوط الوهمية الفاصلة بين الشعوب ، وحدث التثاقف الحضاري بينها.

ثم ان الإخطبوط الاستعماري الصهيوني قد مد اذرعه المتعددة الكريهة - إلى حد الاشمئزاز - في كل مجالات الحياة،وقد مدَ اغلبها وأخطرها وأشدها فتكاً نحو القوانين الأخلاقية التي تحكم المجتمع الإسلامي، ويتبناها الفرد المسلم عقيدة وسلوكاً وواقعا معاشا، مد هذه الأذرع: يهدم تارة ويترك الأساس، ويقتلع من الجذور تارة أخرى، أو يجعلها في واقع ضبابي غير

محدد المعالم ثالثة.

واخطر من ذلك كله هو أسلوب هدم الدين بالدين، فالمسلم المعاصر يرى اليوم جمهرة من الناس تزيّوا بالدين، ووصلوا في غفلة من الزمن إلى مراتب عليا من السُلّم الثقافي الديني، وفي بعض الأحيان إلى أعلى مراقي السُلّم في مجال الفتيا، قد أسهموا إسهاماً فاعلا في هذا المجال – هدم الدين بالدين – فهم يرتدون زي الدين ويخمدون أنفاسه، ويتجلببون جلباب الروحانيين وقلوبهم تسبح بحمد المادة، ويتكلمون كلام العارفين وفعلهم فعل الشياطين، يصعدون منابر المسلمين ويتحدثون بحديث القديسين والدماء والأموال تضج إلى الله من أفعالهم ((كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ))

وأوضح ما هُدِمَ الدين به باسم الفتنة التي قال عنها أبو تراب صلوات الله وسلامه عليه : (إنما بدءُ وقوع الفتن أهواءٌ تُتبَعْ، وأحكام تُبتَدعُ ، يخالفُ فيها كتاب الله ، ويتولى عليها رجال رجالا على غيرِ دينِ الله، فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو ان الحق خلص من الباطل انقطعت عنه السن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيخرجان، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى).

ونردد مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ((لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله فان الناس اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل)) وقال (عليه السلام): ((اقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره، وامرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سميعة، وقد خرقت الشهوات عقله، وأماتت

الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يده شيء منها))

وقال (عليه السلام): ان ابغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، وعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره،رهن بخطيئته، ورجل قمش جهلاً، موضع في جهالة الأمة عاد في اغباش الفتنة، عم بما في عقد الهدنة، قد سماه أشباه الناس عالماً وليس به .. صدق أمير المؤمنين (عليه السلام)

هنا لا يجد الفرد المسلم في هذا المجتمع الذي تتقاذفه الأهواء وتتجاذبه الأطماع إلى ان يمم وجهه إلى كتاب الله اصدق الحديث وسنة رسول الله الصادق الأمين ليلقى المعين العذب الصافي فيضع عصا الترحال الشاق المضني بعيداً عن عواصف المادة وطغيانها، والمال وجبايته باسم الدين، ثم البحث في تراث أهل البيت عليهم السلام وما صح نقله عنهم.

واصدق وثيقة وصلتنا عن علي (عليه السلام) كتاب نهج البلاغة،والباحث يجد في هذا السِفْرِ الخالد صفو الأخلاق ومنهجها التربوي في وصية أمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام.

والذي اقطع به جازماً انه عليه السلام ما أراد بالوصية الحسن (عليه السلام) لان الحسن من الذين أراد الله ان يذهب عنهم الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهيرا، وإذا أراد الله أمراً يقول له كن فيكون، ولكن أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد ان يهذب أخلاقنا من خلال هذا النور المنبعث من فكر الرسالة ليضيء ظلمات جهالتنا، ويفك عقد نفوسنا ويجعل دقات قلوبنا تتناغم مع القران الكريم الذي لا يمسه إلا المطهرون والذي كان يعلمنا بالتوجه بالنداء للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لتعي القول أذن

واعية فيترجم ما يسمع إلى عمل، ويدع العمل ينطق.

إذن فمنهج الوصية منهج قرآني : إبداعاً في المعنى وعذوبة في جرس القول، ومنهجاً تربوياً وتوجيهاً أخلاقيا ، وخلقا إسلامياً في سطور.

فالوصية مدرسة أخلاقية متكاملة فيها صفاء أخلاق النبوة، وعذوبة خُلق الإمامة، ووضوح منهج الإسلام التربوي، والطريق الواضح والمحجة البيضاء الناصعة لكل من أراد ان يتعرف على منهج أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال ويسير على آثارهم.

وهذه الوصية كتبها أمير المؤمنين (عليه السلام) بـ (حاضرين) بعد منصرفه من (صفين) ، وفي صفين حدث ما حدث من الأمور ، مما يهد الجبال الرواسي ويزيلها من مكانها، ولكن كل هذه الأحداث لا تدع الإمام (عليه السلام) يتأخر ولو للحظة واحدة عن مهمته الأولى: إلا وهي: كونه معلماً للإنسانية بحسب الواقع الرسالي بان الإمامة امتداد الرسالة.

والوصية تحتوي على مضامين عالية وتشمل على قواعد سلوكية أتى عليه السلام عليها تبعاً:

الأول: علاقة الأب بابنه ، علاقة الحب والرحمة والرأفة والتوجيه وكونه قدوة للابن في القول والفعل بعيداً عن التسلط والجبروت، والقهر والانفعالات الآنية، وعلاقة الابن بالأب علاقة الطاعة والاحترام المشوبان بالحب الصادق والإتباع الواعي والتلقي السليم .

وعلاقتهما معاً بالحياة فهماً وتطويعاً لها إلى جهة الخير ومعرفة كونها : ملكوت السماء . وعلاقتهما معاً والحياة بالموت الذي جاء بالأثر (لم أرَ يقينا أشبه بالشك كاليقين بحقيقة الموت) حيث يعرف الأب الذي هو قدوة الابن والابن الذي يتفهم الحياة من أبيه بان الموت بوابة الخلود،

وهذا الخلود أما في جنة أو في نار، وينشد الأهم من ذلك كله (رُضوان من الله اكبر)

الثاني: علاقة الإنسان بِرَبِه ، حيث يعرفه ان العبودية لله تعالى هي أرقى درجات العبادة لله، وان أعظم وسام منح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انه (عبد الله ورسوله) (سبحان الذي أسرى بعبده) وإن العبادة لله عبادة الأحرار الذين وجدوا الله أهلاً للعبادة فعبدوه..وهذا لا يتأتى بالتمني والتشهي وإنما بطريقة علي (عليه السلام) (وهي أن نروّض روحنا بالتفاؤل ، وأدوات ذلك الموعظة التي تحي القلب وذكر الموت الذي يميت الشهوات وهو سبيل الحق والحق سبيل الخير في الآخرة والأولى.

الثالث: دراسة التاريخ دراسة عقلانية جادة بعيدة عن الأهواء والعواطف وغربلة ما فيه، وما كانت دراسة التاريخ غاية في ذاتها وإنما هي طريق لمعرفة الحاضر، وقد قيل: "الحاضر غرس الماضي والمستقبل جني الحاضر". وبذلك تتم الفائدة من أخبار الماضين وتجاربهم، وإكمال ما نقص عندهم، لا هدم ما عندهم وبناء الجديد على أنقاضه، إلا إذا كان ذلك البناء على غير الحق والمبني على الباطل باطل كما يقال.

والتاريخ تاريخان، تاريخ الأشخاص، وتاريخ الشعوب، وكلاهما يبين لنا سنن الله في خلقه، فنقتبس الخير، ونجتنب الشر

الرابع: الدنيا لا تستطيع ان تتحدث عن نفسها كما تحدث عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقد عرفها على حقيقتها في ظهورها وخفائها، وفي إقبالها وإدبارها، في دقائق جزئياتها التي تتألف منها، في غوايتها للإنسان وركونه إليها وطمأنينتهِ لحالها. وكيف ان الإنسان ينقاد لها

انقياداً عبودياً وهو يعلم بزوالها وفنائها مخاطبها بكلمته المشهورة (إليك عني غري غيري).

الخامس: لم تدع الوصية العلاقة المنطقية بين التوحيد والرسالة والإمامة، وأثر ذلك في ميسرة الحياة الشائكة، وكيف تجره هذه العلاقة إلى السياج الأخلاقي الإسلامي الذي يحصن الفرد والمجتمع الذي هو أمرٌ الهي وتوجيه وتطبيق رسالي والإمامة امتداد الرسالة .

فالتمسك بالأخلاق التي رسمها القران ووضع منهاجها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخطط تطبيقها الإمام بطرق شتى هي عبادة تحمي ممارستها الإنسان فردا ومجتمعا.

السادس: ولم تغفل الوصية العلاقة المنطقية بين التاريخ والحياة والأخلاق ، وكيف يستفيد المرء من هذه العلاقة حيث يرى من خلالها سنن الله في كونه، وسنن الله في خلقه،ولن تجد لسنة الله تحويلا ولن تجد لسنة الله تبديلا.

السابع: وضحت الوصية العلاقة بين الفرد وربه، وبين الفرد ومثله وبين الفرد ومجتمعه والمعايير التي تحكم هذه العلاقة.

الثامن: ان آفة كل عمل الإعجاب، والعجب قاتل للنفس الإنسانية، وان السم القاتل للذات هو الأنانية، والإعجاب بالذات فرع الأنانية، فمن طرق الوصول إلى رضا الله نبذ الـ (أنا) وان كان المرء اعلم بنفسه من غيره، ولكن ليدع الدنيا تتحدث عنه ((وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)).

والأنانية تقود إلى التكبر، والتكبر مرض نفسي خطير قد يأخذ بيد صاحبه إلى جنون مُحتّم.

والتكبر يأخذ المرء إلى بخس الناس أشيائهم، ولربما تعدى عليهم بظلم فينجر إلى الحسد (الذي بدا بصاحبه فقتله) والحسد يجره إلى الافتراء والغيبة والبهتان...و...و...الخ.

بهذا نرى كيف يجر الأمر السيئ إلى أمرٍ أسوأ منه.

التاسع: ان كل نفس بما كسبت رهينة،وان عمل المرء لا يعمله غيره ، كما ان رزقه لا يأكله غيره، وان زاده إلى أخراه لا يُحمل عنه وان خير الزاد التقوى، كما ان سجله يوم يلقى ربه لا يلقى فيه، حين قال له (اقرأ كتابك) ، إلا حسناته هو، وسيئاته هو.

العاشر: الدعاء سلاح المؤمن، فكما ان الله تبارك وتعالى قد أمرَ بالدعاء فقد ضمن الإجابة كما أمر بالسعي وضمن الرزق والدعاء لا يكون سلاحا ماضيا إلا إذا قطع الإنسان جميع الأسباب الا سببا يربط بالله تعالى.

الحادي عشر: الذي أذل الإنسان، وسهل قياده وأخلده إلى الأرض، وربما إرغام انفه، وأبعده عن دينه:- الطمع. فالطمع رق مؤبد.

الثاني عشر: ورد في الوصية ما يقرب من اثنين وعشرين حكمة... حيث بدأت من قوله (عليه السلام) (وتلا فيك ما فرط من صمتك) إلى قوله (عليه السلام) (إياك ان تجمح بك مطية اللجاج). وكل واحدة من هذه الكلمات القصار درس في الأخلاق قائم بذاته ويمكن ان يملا شرحها مجلداً كاملا- نسال الله تعالى ان يوفقنا على إظهار أسرارها وما فيها من كنوز أخلاقية في محاضراتنا على المنبر في حين يتاح لنا ذلك فانه سبحانه قد عودنا الجميل من توفيقه والكثير من تسديده نسأله تعالى ان يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم- وهذه الكلمات تتضمن الموضوعات التالية:

١. القوانين التي تحكم الكلام والصمت.
٢. كتمان السر.
٣. الاعتماد على النفس في طلب الرزق والاقتصاد في ذلك .
٤. اليأس والأمل وعلاقة ذلك بالآخرين.
٥. العمل والحرفة والقوانين الأخلاقية التي تحكمها.
٦. التعلق بالواقع والتفكير الواقعي والابتعاد عن الطوبائية.
٧. التفكر والفكر والأخلاق والقواعد التي تربطها.
٨. الصداقة.
٩. الحرام، والأثر التكويني لآكل الحرام.
١٠. الظلم.
١١. الرفق والعنف (الخرق) والقوانين التي تحكمها
١٢. القانون الطبيعي للداء والدواء.
١٣. النصيحة والقواعد الأخلاقية التي تتحكم فيها تحكمها.
١٤. التواكل، والتمني: بضائع الموتى.
١٥. التجارب الذاتية والاستفادة من تجارب الآخرين والنقد الذاتي.
١٦. لا تنال المطالب العليا إلا بالهمم العليا.
١٧. النظر في عواقب الأمور.
١٨. التاجر والتجارة والكسب وأنواعه والقواعد التي تحكم ذلك.
١٩. اختر من يعينك، فان خير من استأجرت القوى الأمين.
٢٠. الصداقة والبخل .
٢١. لا تسبح ضد التيار - الخضوع للتقدير والتخطيط الإلهي، الذي فيه مصلحة الفرد.

٢٢. احذر ان تغلبك الخصوصيات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها.

الثالث عشر: وَضَعَ أمير المؤمنين (عليه السلام) دستورا أخلاقيا متكاملا للصداقة وأسسها والصديق وصفاته وكيفية اختيار الصديق وكيفية التعامل معه واختباره ووضع الأسس ضمن معايير عقلية ونفسية تقود إلى الأخلاق الفاضلة التي يجب ان يتحلى بها الفرد المسلم لا بل يتحلى بها كل إنسان في هذا المجال.

الرابع عشر: ولم ينسَ (عليه السلام) – في هذه الوصية – المرأة ودورها في الحياة، ومالها، وما عليها، في المجال الأخلاقي وسبر أعماق نفس المرأة وما يختلج فيها، وحلال محمد صلى الله عليه وآله وسلم حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد صلى الله عليه وآله وسلم حرام إلى يوم القيامة.

الخامس عشر: العشيرة نواة المجتمع والفرد نواة العشيرة وعلاقة الفرد المسلم أخلاقيا بهذين المسارين العشيرة والمجتمع فقد وضع عليه السلام الأسس الرصينة لهما.

وأخيراً ، وليس آخراً فان القارئ لهذه الوصية يجب ان يضع نُصْبَ عينيه هذه الحقائق.

الأولى: ان الوصية ليست ترفا فكرياً، ولم تكتب للتسلية، أو المتعة والتذوق الفني للكلام البليغ عالي المضامين وإنما هي دستور حياة لأبناء الحياة الذين يريدونها سلم للآخرة (وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا).

الثانية: لا تسرع في قراءة الوصية فلو قرأت يوماً سطراً واحداً منها بإمعان وتفكّر وطبقت تلك عملياً وجربت النقد الذاتي من

خلالها فان ذلك خير لك مما طلعت عليه الشمس .

الثالثة: احرص حين الانتهاء من قراءتها ان تعيد قراءتها، فاني ومنذ بداية الستينات أعيد قراءة الوصية، واني كلما قرأتُها وجدت فيها شيئا جديدا في مجال الأخلاق، بل في مجال الحياة كل الحياة.

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

وهو حسبنا ونعم الوكيل

والحمد لله رب العالمين

غرة شعبان ١٤١٩ هجرية

((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي
وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ
أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ)). هود/٨٨

نصُّ الوصية

بسم الله الرحمن الرحيم

من الوالدِ الفانِ. المقرّ للزمانِ (١)، المُدبرِ العُمُرِ، المُستَسلِم للدهرِ. الذّامِ للدنيا، الساكنِ مساكنَ المَوْتى. الظّاعنِ عنْها غَداً. إلى المَوْلودِ المُؤمّلِ مَا لا يُدْرِكُ (٢) ، السّالكِ سَبيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْقامِ ورَهينَةِ الأيّامِ ، ورَميّةِ المَصائبِ (٣). وعَبْدِ الدُّنْيا وتَاجرِ الْغُرُور. وغَريمِ المَنَايا.وأَسيرِ المَوتِ. وحَليفِ الهُمُومِ وقَرينِ الأحْزانِ. ونُصْبِ الآفات (٤). وصَريعِ الشهواتِ، وخليفةِ الأمواتِ . أمّا بعدُ فأن فيما تَبَيّنتُ منْ أدبارِ الدُنيا عني وجُموحِ الدهرِ(٥) عليّ وإقبالِ الآخرةِ إليّ ما يزعُني عن ذكرِ مَنْ سواي، والاهْتمامِ بما ورائي، غَير أنى حيثُ تفرّد بي دُونَ هُمومِ الناسِ هَمُ نفسي، فَصَدفني (٦) رأيي وصَرفني عن هَوايَ، وصَرّحَ لي مَحْضُ أمري فأفضى بي إلى جدٍ لا يكون فيه لعبٌ ، وَصدقٍ لا يشُوبُهُ كذبٌ. وجدتُكَ بعضي بل وجدتُكَ كلي حتى كأن شيئاً لو أصابكَ أصابني ، وكأن الموتَ لو أتاكَ أتاني، فَعَناني مِنْ أمركَ ما يَعْنيني من نفسي أمرِ فكتبتُ إليكَ مُستَظهراً (٧) بهِ إنْ أنا بَقيتُ لكَ أو فَنيتُ .

فأني أوصيكَ بتقوى الله - أيْ بُنيّ - ولزومِ أمرهِ وعمارةِ قَلْبكَ بِذكْرِهِ والاعتصام بحبله وأي سببٍ أوثقُ من سببٍ بينكَ وبينَ اللهِ انْ أنتَ أخذتَ به؟

أحْيِ قلبكَ بالوعظةِ ، وأمتْهُ بالزهادةِ ، وقوّهِ باليقينِ ، ونَورهُ بالحكمةِ . وذلّلهُ بذكرِ الموتِ ، وقررهُ بالفَناءِ (٨)، وبَصّرهُ(٩) فَجائعَ الدنيا، وحذّرهُ صَولَةَ الدهرِ وفُحْشَ تَقَلُّبِ الليالي والأيامِ ، وأعْرِضْ عَليه أخبارَ الماضينَ ،

وذكّره بما أصاب مَنْ كان قَبلَك من الأولينَ ، وَسِر في ديارهمْ وآثارهمْ فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا وأين حلوا ونزلوا، فأنك تجدُهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحُلّو ديارَ الغربة ، وكأنكَ عن قليل قَد صِرْتَ كأحَدِهِمْ. فأصْلح مَثواكَ (١٠) ، ولا تَبع آخِرَتكَ بدُنياكَ . ودع القولَ فيما لا تَعْرِفُ والخطابَ فيما لم تكلّف هـ[1] . وأمسك عن طريقٍ إذا خفتَ ضلالتهُ فأن الكَفَّ عند حَيْرَةِ الضلالِ خيرٌ من ركوب الأهوال . وأمُر بالمعروف تكُنْ من أهله ، وأنْكِر المُنكَر بيدك ولسانكَ وبَاين مَنْ فَعَلَهُ بجُهدِكَ (١١). وجاهِدْ في الله حقّ جهاده ولا تأخذكَ في الله لومةُ لائم . وخُضِ الغَمراتِ (١٢) للحقّ حيثُ كانَ، وتَفَقّه في الدين، وعوّدْ نَفْسكَ التصبّر على المكروهِ ونعمَ الخُلقُ التصبر.وألجىء نفسكَ في الأمورِ كُلها إلى إلهك فأنكَ تَلْجئُها إلى كهفٍ حَرِيزٍ (١٣) ، ومانع عزيزٍ. وأخْلص في المسألةِ لربكَ فأنَ بيده العطاءَ والحرمانَ ، وأكْثِر الاستخارةَ (١٤) وتَفَهَّمْ وصيّتي ولا تذهبنّ عنها صَفحاً (١٥) فان خيرَ القولِ ما نفعَ . وأعلمْ انه لا خَير في علم لا يَنْفَعْ ، ولا يُنْتَفَع بعلمٍ لا يَحِقُّ (١٦) تَعلّمُهُ.

أي بني ! إني لما رأيتُني قد بلغتُ سناً (١٧)، ورأيتُني أزدادُ وَهناً (١٨) بادرتُ بوصيتي إليك، وأوردتُ خصالاً منها قبل أن يعجلَ بي أجلي دُونَ أن أفضيَ (١٩) إليكَ بما في نفسي، وأن أنقُصَ (٢٠) في رأيي كما نَقصتُ في جسمي، أو" يَسبقني إليكَ بعضُ غلباتِ الهَوى وفتنِ الدنيا، فتكونَ كالصعبِ النَفُورِ "هـ[2]" وإنما قلبُ الحَدَث كالأرضِ الخالية ما أُلقي فيها مِنْ

---

(١) : إذا كان غيرك المسؤول فدع التطفل والفضول حتى ولو كنت أهلاً للإجابة واعلم ممن سأل.. وكيف بك إذا قال لك السائل ما إياك سالت،وقال المسؤول: ما إياك يعني.

(٢) : أي يسبقني بالاستيلاء على قلبك غلبات الهوى فلا تتمكن نصيحتي من النفوذ إلى فؤادك

شيءٍ قَبلتُه هـ فَبادرتُكَ (٢١) بالأدبِ قبلَ أن يقسو قلبك ويشتغلَ لُبكَ لتستقبلَ بجدِّ رأيكَ من الأمرِ ما قد كفاكَ أهلُ التجاربِ بُغيَتَه وتَجربَتَه [١]، فتكونَ قد كُفيتَ مؤونةَ (٢٢) الطلبِ ، وعُوفيتَ منْ علاج التجربة ، فأتاكَ من ذلك ما قد كنا نأتيه ، :واستْبانَ لك ما ربما أظْلَمَ علينا منه" هـ[٢].

أي بُني ! وان لم أكن عُمّرتُ عُمرَ مَنْ كانَ قبلي فقد نظرتُ في أعمالهم، وفكّرتُ في أخبارهم، وسرتُ في آثارهم حتى عُدْتُ كأحدهم. بل كأني بما انتهى إليّ منْ أمورهم قد عُمّرتُ مع أولهم إلى آخرهم ، فَعَرفْتُ صفو ذلك من كَدره ، ونفعهُ من ضَرره ، فاستخلصْتُ لكَ منْ كلِ أمرٍ نَخيلَهُ (٢٣) وَتوخّيتُ (٢٤) لك جميلَهُ ، وصرفْتُ عنك مجهولَهُ ، ورأيتُ حيثُ عَناني من أمركَ ما يُعني الوالدَ الشَفيقَ وأجمعتُ (٢٥) عليه من أدبك ان يكون (٢٦) ذلك وأنتَ مقبلُ العمرِ ومُقتبلُ الدهرِ، ذو نيةٍ سليمة ونفسٍ صافية، وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الإسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أجاوزُ ذلك بكَ إلى غيره (٢٧). ثم أشفقتُ أن يلتبسَ عليكَ ما أختلفَ الناسُ فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبسَ عليهم(٢٩)، " فكان إحكامُ ذلك على ما كرهْتَ منْ تنبيهكَ له أحبَ إليّ

فتكون كالفرس الصعب غير المذلل، والنفور ضد الإنس

(١) : اختلف الفلاسفة في علم الإنسان بالموجودات فهل تولد معه؟ أم هي فطرة في الذات ؟ أم هي كسب من تجارب الحياة ، وأدوات السمع والبصر واللمس والفكر توجد المعرفة. الذي عليه فلاسفة الإسلام ان الإنسان يولد صفحة خالية وتجارب الحياة تخط عليها المعلومات وهو مصداق للآية الكريمة ٧٨ من سورة النحل (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)

(٢) ظهر إذا انظم رأيه إلى آراء أهل التجارب فربما يظهر له ما لم يكن ظهر لهم فان رأيه يأتي بأمر جديد لم يكونوا أتوا به.

منْ إسلامكَ إلى أمرٍ لا آمنُ عليك به الهَلَكة" هـ[1] . ورَجوتُ أن يوفقكَ الله فيه لرُشدك ، وأن يُهديك لقصدك، فَعَهدتُ إليك وصيتي هذه.

وأعلم يا بني : ان أحبَّ ما أنت آخذ به إليَّ من وصيتي تقوى الله والاقتصارُ على ما فرضهُ الله عليكَ ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك، والصالحونَ من أهل بيتكَ ، " فأنهم لم يَدَعوا ان نظروا لأنفسهم كما أنت ناظرٌ، وفكروا كما أنت مفكرٌ، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والإمساكِ عما لم يُكلَّفوا" هـ[2] فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبكَ ذلك بتفهّم وتعلم ، لا بتورط الشبهاتِ وعُلَقِ الخصومات . وأبدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهكَ والرغبة إليه في توفيقك وترك كل شائبة (٣٠) أولَجتكَ (٣١) في شبهةٍ ، أو أسلمتْكَ إلى ضلالة . فإذا أيقنتَ أنْ قد صفا قلبُك فخشَعَ ، وتم رأيك فاجتمعَ ، وكان همُّك في ذلك هماً واحداً فانظر فيما فسرتُ لكْ . وان أنتَ لم يجتمع لك ما تحبُ من نفسك ، وفراغ نظرِكَ وفكرك فأعلم أنكَ إنما تَخْبِطُ العشواءَ (٣٢)، وتَتورَّطُ الظَلماءَ.

وليس طالبُ الدين مَنْ خَبَطَ أو خَلَطَ ، والإمساكُ عن ذلك أمْثَلُ" هـ[3]

فَتَفهَّم يا بني وصيتي،واعلم ان مالكَ الموتِ هو مالك الحياةِ (٣٣) وان الخالقَ هو المميتَ ، وان المفني هو المعيدُ ، وان المبتلي هو المعافى، " وان

---

(١) أي أنك وان كنت تكره ان ينبهك احد لما ذكرت لك فاني اعد إتقان التنبيه على كراهتك له أحب إليَّ من إسلامي إلقائك إلى أمر تخشى عليك به الهلك.

(٢) ذكرنا في المقدمة والتمهيد ان الحق بين والباطل بين ولكن يتعمد من يريد غواية الآخرين إلى الخلط بين الأمرين ليمرر ما يريد وخاصة في مجال هدم الدين بالدين!!

(٣) لم يتركوا النظر لأنفسهم في أول أمرهم بعين لا ترى نقصا ولا تحذر خطرا ثم ردتهم آلام التجربة إلى الأخذ بما عرفوا حسن عاقبته وإمساك أنفسهم عن عمل لم يكلفهم الله إتيانه.

الدنيا لم تكن لِتستقرَ إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء، والجزاء في المعاد " هـ [1] أو ما شاء مما لا تعلمُ ، " فإن أشكل عليك شيء من ذلك فأحْملهُ على جهالتكَ به " هـ[2].

فانك أول ما خُلقْتَ خلقت جاهلاً ثم عَلمْتَ ." وما أكثر ما تَجهلُ من الأمرِ ويتحيّر فيه رأيُك ويضلُ فيه بَصرُك، ثم تُبصرُهُ بعد ذلك " هـ[3]. فأعتصمْ بالذي خلقكَ ورزقكَ وسوّاكَ ، وليكن له تعبدك واليه رغبتكَ ومنه شفقتُك (٣٤).

وأعلم - يا بني - إن أحداً لم يُنبئ عن اللهِ كما أنبأ عنه الرسول صلى الله عليه وآله، فارضَ به رائداً (٣٥) ، وإلى النجاة قائداً، فاني لم آلُكَ نصيحة (٣٦). وأنك لم تبلغ في النظر لنفسك - وأن اجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ نظري لكَ.

---

(١) ليست الدنيا خيرا كلها أو شرا كلها، وكل شيء فيها له جهة سلب وجهة إيجاب، وهكذا قضت حكمته تعالى، أو هذه هي طبيعة المادة.كالماء فيه حياة وغرق والشمس تضيء وقد تضرب الإنسان بحرارتها. والى هذا تشير كلمة (لتستقر) ولا يجوز لأحد أنْ يركز على جانب دون جانب، ولابد من النظر إليها معاً فما كان خيره أكثر من شره كالشمس والنار فهو خير لا يجوز تركه بحال قال الإمام الصادق (عليه السلام) :- ان ترك الخير الكثير لشر قليل فيه شر كثير !

(٢) كثير من الناس تعرض عليهم بعض القضايا فيسارع إلى النفي لأنه يجهل بها وهذا باطل،والحق ان يقول الإنسان لا اعلم ،لان الإنسان مهما أوتي من علم كسبي قد خفي عليه الكثير خاصة في عصر قد صار التخصص فيه سمة له واضحة.

(٣) يرى المرء نفسه حائراً أمام ما يعرضه على عقله فلا يجد له حلا ولكن حينما تتسع مداركه الفكرية يراه على حقيقته ففي الحالة الأولى ينبغي التوقف عن الحكم، والثانية وبعد الوضوح التام يحكم.

وأعلم - يا بني - انه لو كان لربك شريك لأتتك رسلهُ ، ولرأيتَ آثارَ ملكه وسلطانه ، ولعرفتَ أفعالهُ وصفاتهُ ، ولكنه إله واحدٌ كما وصف نفسهُ ، لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبداً . ولم يزل . أولٌ قبلَ الأشياء بلا أولية (٣٧) ، وآخر بعد الأشياءِ بلا نهاية. عَظُمَ عنْ أنْ تثبتَ ربوبيّته بإحاطة قلبٍ أو بصرٍ.فإذا عرَفتَ ذلك فأفعل كما ينبغي لمثلك أنْ يفعله في صغرِ خطرِه (٣٨) ، وقلة مقْدرته، وكثرةِ عجزه ، وعظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعته ، والرهبةِ منْ عقوبته، الشفقةِ منْ سخطه . فأنه لم يأمركَ إلا بحسَنٍ ولم ينهكَ إلا عن قبيحٍ .

يا بني ! أني قد أنبأتُكَ عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها ، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها، وضربْتُ لكَ فيهما الأمثالَ لتعتبر بها وتحذو عليها، إنما مثلُ منْ خبرَ الدنيا كمثلِ قومٍ سفْرٍ(٣٩) نَبا بهم منْزلٌ (٤٠) جديبٌ(٤١) فأمّوا (٤٢) منزلاً خصيباً وجَنَاباً (٤٣) مَريعاً(٤٤)، فاحتملوا وعْثاءَ الطريق (٤٥) وفراقَ الصديق، وخُشُونةَ السفرِ، وجشوبةَ المطعم (٤٦) ليأتوا سعةَ دارهم ومنزلَ قرارهم، فليسَ يَجدونَ لشيءٍ منْ ذلك ألماً، ولا يَرَوْنَ نَفقةً مَغْرَماً، ولا شيء أحَبُ إليهم مما قربهم من منزلهم ، وأدناهم منْ محلهم . ومثلُ مَن اغترَ بها كمثلِ قومٍ كانوا بمنزلٍ خصيبٍ فنَبَا بهم إلى منزلٍ جديبٍ ، فليس شيء أكره إليهم ولا أفظعَ عندَهُم من مفارقةِ ما كانوا فيه إلى ما يهجُمونَ عليه (٤٧) ويصيرنَ إليه.

يا بني اجعل ميزاناً فيما بينك وبين غيركَ ، فأحببْ لغيرك ما تحبُ لنفسك ، واكره لهُ ما تكره لها، ولا تَظلم كما لا تحبُ أن تُظلَم، وأحسنْ كما تحبُ أن يحسنَ إليك . واستقبحْ منْ نفسكَ ما تستقبحْ من غيرك ، وأرضَ منَ الناس بما ترضاهُ لهُم منْ نفسكَ. " ولا تَقُلْ ما لا تعلمْ وان قلْ ما

تَعلمْ " هـ[1] ولا تَقُلْ ما لا تَحبُ أنْ يقالَ لكَ.

" وأعلمْ أنَّ الإعجابَ ضدّ الصوابِ وآفة الألباب" هـ[2] . فاسعَ في كدحكَ (٤٨) ولا تكُنْ خازناً لغيرك(٤٩). وإذا أنتَ هُديْتَ لقصدِك (٥٠) فكُنْ أخشعَ ما تكونُ لربّكَ.

وأعلمْ أنَّ أمامكَ طريقاً ذا مسافةٍ بعيدةٍ ومشقةٍ شديدةٍ . وأنه لا غنى لكَ فيهِ عنْ حُسنِ الارتياد (٥١) . قَدْرِ بَلاغِك (٥٢) من الزادِ مع خفةِ الظهْرِ. فلا تحملنَّ على ظهرِكَ فوقَ طاقتكَ فيكونَ ثقلُ ذلكَ وبالاً (٥٣) عليك." وإذا وجدتَ منْ أهلِ الفاقةِ منْ يحملُ لكَ زادك إلى يوم القيامة فيوافيكَ بهِ غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمهُ وحملهُ إياه" هـ[3] وأكثر من تزويده وأنتَ قادرٌ عليه فلعلكَ تَطلُبُهُ فَلا تجدهُ . واغتنم مَنِ استقرضَكَ في حالِ غناكَ ليجعلَ قضاءَهُ لك في يومِ عُسرتك .

---

(١) يسارع المرء إلى القول بجهالة في مجال يكون فيه السكوت اسلم لان من علم ينبغي له ان يجيل فكره ليأتي قوله وفق الصواب فكيف بمن لا يعلم؟ ولكن كثيرون هم الذين يدارون جهلهم بكثرة الحديث البعيد عن الواقع الصائب.

(٢) الإعجاب : الاستحسان بما يصدر عن النفس مطلقا وهو خلق من أعظم الأخلاق مصية على صاحبه ، ومن أشد الآفات ضررا لقلبه ، فلا فرق بين السكران والمعجب بنفسه ، فالخمر يذهب بالعقول والألباب، وكذلك الإعجاب ، والعاقل يفر منهما كما يفر من المجنون، عن أبي عبد الله الصادق ع : قال : قال رسول الله صلى الله عليه قال الله عز وجل لداوُد عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين قال: كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين ؟ قال : يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة وأعفو عن الذنب وانذر الصديقين ان لا يعجبوا بأعمالهم فانه ليس عبد انصبه الحساب إلا هلك.

(٣) الفاقة: الفقر، وإذا أسعفت الفقراء بالمال كان اجر الإسعاف وثوابه ذخيرة تنالها في القيامة ، فكأنهم حملوا عنك زاد يبلغك موطن سعادتك يؤدونه إليك وقت الحاجة وهذا الكلام من أفصح ما قيل في الحث على الصدقة.

واعلمْ أنَّ إمامك عقبةً كؤوداً (٥٤) ، المُخفُّ (٥٥) فيها أحسنُ حالاً من المُثقلِ (٥٦)، والمبطئُ عليها أقبحُ حالاً منَ المُسرعِ ، وأنَّ مَهبطَكَ بها لا محالةَ على جنةٍ أو على نارٍ, فأرْتَدْ (٥٧) لنفسكَ قبلَ نُزُولكَ ووَطِّئ المنزلَ(٥٨) قبلَ حلولكَ، فليسَ بعدَ الموتِ مُسْتَعْتَبٌ (٥٩) ،ولا إلى الدنيا مُنصرفٌ.

واعلم أن الذي بيده خزائنُ السموات والأرضِ قد أذن لكَ في الدعاء وَتكفلَ لكَ بالإجابة ، وأمركَ أن تسألهُ ليعطيكَ ، وَتَسْتَرحمَهُ ليرحمَكَ ، ولَمْ يَجعل بينكَ وبينهُ مَنْ يَحجُبُهُ عنكَ، " ولم يُلجئكَ إلى من يَشْفَعْ لك إليه " هـ[1] ولم يَمنعكَ أنْ أسأتَ منَ التوبةِ ، ولم يعاجلكَ بالنّقمةِ ، ولم يُعَيِّرْكَ بالإنابة (٦٠) ولم يَفضحْكَ حيث الفضيحةُ بكَ أولى، ولم يشدّد عليكَ في قبولِ الإنابةِ ، ولمْ يناقشك بالجريمةِ، ولم يُؤيِسكَ من الرحمةِ. بل جعلَ نزُوعَكَ (٦١) عن الذنب حسنةً ، وحَسبَ سَيئتكَ واحدة . وحَسبَ حَسَنَتكَ عَشراً ، وفَتح لكَ بابَ المَتابِ .فإذا ناديتَهُ سمعَ نداءك ، وإذا ناجيتَهُ (٦٢) علمَ نجواك.

فأفضيتَ (٦٣) إليه بحاجتكَ، وأبثثتهُ (٦٤) ذاتَ نفسك، وشكوتَ إليه همومكَ ، واستكشفتهُ (٦٥) كروبكَ ، واستعنتهُ على أمورك ، وسألتهُ من خزائنِ رحمتِه ما لا يقدرُ على إعطائه غيرهُ منْ زيادة الأعمار وصحة الأبدانِ وسعةِ الأرزاقِ . ثم جعلَ في يديكَ مفاتيحَ خزائنِه بما أذنَ لكَ من مسألته ، فمتى شئتَ استفتحتَ بالدعاء أبوابَ نعمته، واستمطرتَ شآبيبَ (٦٦) رحمته . فلا يُقنّطنك (٦٧) إبطاءُ إجابته، فأن العطيةَ على قدرِ النيّة .

---

(١) الاتصال بينك وبين ربك واضح المعنى فأنت في صلة معه في الصلاة ،وفي صلة معه في الدعاء ، وفي صلة معه في تطبيق الشرع الشريف في كل صغيرة وكبيرة ، وهذا القول لا ينفي الشفاعة قطعا لان ذلك ليس بمقصود .

وربما أُخِرَتْ عنكَ الإجابةُ ليكونَ ذلكَ أعظمَ لأجرِ السائل وأجزلَ لعطاء الآملِ. وربما سألتَ الشيءَ فلا تؤتاهُ وأُتيتَ خيراً منه عاجلاً أو آجلاً ، أو صُرِفَ عنك لما هو خير لك . فَلَرُبَّ أمرٍ قدْ طَلَبتهُ فيهِ هلاكُ دينكَ لو أوتيتهُ . فلتكنْ مسألتُكَ فيما يبقى لكَ جمالهُ وينفى عنك وبالُه. فالمال لا يبقى لكَ ولا تبقى لهُ .

وأعلم أنك إنما خُلقتَ للآخرةِ لا للدنيا ، وللفَناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنكَ في منزلٍ قُلعةٍ (٦٨) ودارِ بلغةٍ (٦٩)، وطريق إلى الآخرة ، وأنك طريدُ الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا يفوتُهُ طالبُهُ ، ولا بد انه مدركهُ ، فكنْ منهُ على حذرٍ أن يدركَكَ وأنتَ على حالٍ سيئةٍ قد كنتَ تُحدِّثُ نفسكَ منها بالتوبةِ فيحولَ بينك وبينَ ذلك ، فإذا أنتَ قدْ أهلكتَ نَفْسَكَ.

يا بني ! أكْثِر من ذكر الموت وذكرِ ما تَهجُمُ عليهِ وتُفْضي بعد الموت إليه حتى يأتيكَ وقد أخذتَ منه حِذْرَكَ، وشددتَ له أزركَ، ولا يأتيكَ بغْتةً فيبهرَكَ. وإياكَ أنْ تغترَ بما ترى مِنْ إخلاد أهل الدنيا إليها (٧٠) ، وتكالبُهم (٧١) عليها ، فقد نبأكَ اللهُ عنها ، ونعتْ (٧٢) لك نفسها ، وتكشَّفتْ لك عن مساويها ، فإنما أهلُها كلابٌ عاوية، وسباعٌ ضارية (٧٣) ، يَهرُّ (٧٤) بعضها بعضاً ، ويأكل عزيزها ذليلها ، ويقهرُ كبيرُها صغيرها، نَعَمٌ مُعقلةٌ(٧٥) ، وأخرى مُهْمَلة قد أضلَّت عقولَها (٧٦) وَرَكِبَت مَجهُولها، " سرُوحُ عَاهةٍ بوادٍ وَعْثٍ " هـ[1]. ليس لها راعٍ يُقيمُها، ولا مُيمٌ يُميها (٧٧). سَلكت بِهمُ الدنيا طريقَ العمى، وأخذَت بأبصارِهم عن منارِ الهدى،

(١) : كالأنعام التي تريد الرعي فتقابلها الآفات التي لا تطيقها وهي بوادٍ أرضه رخوة ان استسلم للآفة هلك وان أراد المهرب لا يستطيع .

فتاهوا في حَيرتها، وغَرِقوا في نعمتِها، واتخذوها رباً فلعبت بهمْ ولعبوا بها ونَسوا ما وَراءها.

رويداً يُسفرُ (٧٨) الظلامُ كأنَ قدْ وردت الاظعانُ (٧٩). يُوشكُ مَنْ أسرعَ أن يَلحَقَ. وأعلمْ - يا بني - أن من كانتْ مَطِيَّتُه الليلَ والنهارَ فأنهُ يُسارُ به وانْ كانَ واقفاً، ويقطعُ المسافةَ وان كانَ مقيماً وادعاً (٨٠).

واعلمْ يقيناً انك لنْ تبلغَ املَكَ ولنْ تعدوا أجلَكَ، وأنكَ في سبيل من كانَ قبلك. فَخَفِّضْ (٨١) في الطلب ، واجملْ في المُكْتَسَبْ (٨٢) فأنهُ رُبَّ طلبٍ قد جرَّ إلى حَرب (٨٣). فليسَ كلُ طالب بمرزوقٍ ، ولا كلُ مُجملٍ بمحرومٍ. " وأكرمْ نفسكَ عن كلِ دنيّة وان ساقَتْكَ إلى الرغائب فأنكَ لنْ تَعْتاضَ بما تَبذُلُ منْ نفسكَ عوضاً هـ[1] ولا تكنْ عبدَ غَيرك وقد جَعلكَ الله حراً. " وما خيرُ خيرٍ لا ينالُ إلا بشرٍ" هـ[2] " ويسرٍ لا يُنالُ إلا بعسرٍ" هـ[3] .

وإياك ان تُوجفَ (٨٤) بك مطايا الطمع فتوردكَ مناهلَ (٨٥) الهَلكة . وأن استطعْتَ أنْ لا يكونَ بينكَ وبينَ الله ذو نعمة فأفعل . فأنكَ مُدرك قسمَكَ وآخذٌ سهمكَ . وانْ اليسيرَ من الله سبحانَهُ أعظمُ وأكرمُ من الكثيرِ منْ خلقِه وانْ كان كلٌ منهُ. " وتلافيكَ ما فَرَطَ منْ صمتكَ أيسرُ منْ إدراكِكَ

---

(١) : ان رغائب المال إنما تطلب لصون النفس عن الابتذال، فلو بذل باذل نفسه لتحصيل المال فقد ضيع ما هو المقصود من المال فكان جمع المال عبث ولا عوض لما ضيع .

(٢) : يريد أي خير في شيء سماه الناس خيرا وهو مما لا يناله الإنسان إلا بالشر، فان كان طريقه شرا فكيف يكون هو خيرا ؟؟!

(٣) ان العسر الذي يخشاه الإنسان هو ما يضطره لرذيل الفعال فهو يسعى كل جهده ليتحامى الوقوع فيه فان جعل الرذائل وسيلة لكسب اليسر أي السعة فقد وقع أول الأمر فيما يهرب منه فما الفائدة في يسره وهو لا يحميه ؟؟! .

ما فاتَ من منطقكَ " هـ[1] ، وحفظُ ما في الوعاءِ بشد الوكاء . وحفظُ ما في يديكَ أحبُّ إليَّ من طلبِ ما في يدِ غيركَ . ومرارةُ اليأسِ خيرٌ من الطلبِ إلى الناسِ . والحرفةُ معَ العفةِ خيرٌ منَ الغنى معَ الفجور.

والمرءُ أحفظُ لسرهِ (٨٦) . وربَّ ساعٍ فيما يضرّهُ (٨٧) ." منْ أكثرَ أهْجرَ " هـ[2] . ومن تفكرَ أبصرَ (٨٨).

" قارن أهلَ الخيرِ تكن منهُم. وباينِ أهلَ الشرِ تبْن عَنْهم" هـ[3] بئسَ الطعامُ الحرام. وظلم الضعيف أفحشُ الظلم. إذا كانَ الرفقُ خُرقاً (٨٩) كانَ الخُرقُ رفقاً. ربما كان الدواءُ داءً والداءُ دواءً ." وربما نصحَ غيرُ الناصح وغشَ المُستَنصحُ " هـ[4] وإياكَ اتكالَكَ على المنى فأنها بضائعُ الموتى" هـ[5] والعقلُ حفظُ التجارِب. وخيرُ ما جربْتَ ما وَعظَكَ (٩٠). بادر الفرصةَ قبلَ

---

(١) : التلافي التدارك لإصلاح ما فسد أو كاد وما فرط أي قصر عن إفادة الغرض أو إنالة الوطر. وإدراك ما فات هو إلحاق به لأجل استرجاعه ، وفلت أي سبق إلى غير الصواب وسابق الكلام لا يدرك فيسترجع بخلاف مقصر السكوت فسهل تداركه، وإنما يحفظ الماء في القربة مثلا بشد وكأنها أي رباطها، وان لم يشد الوكاء صب ما في الوعاء ولم يمكن إرجاعه فكذلك اللسان.

(٢) للقول ساعات ومقدار معين، فمن تعداه وقع في اللغو والخطأ،قال الإمام (عليه السلام) : من كثر كلامه كثر خطأه.

(٣) ليكن رفاقك وأصدقائك من أهل الخير لأنهم إذا عدوا عددت معهم وفارق أهل الشر لأنهم إذا عدو لم تذكر معهم

(٤) حاكم ما تسمع بعقل رزين، واختر ما تركن إليه نفسك .قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس ،والإثم ما حاك في القلب، وان أفتاك الناس وأفتوك.

(٥) أبدا لا فرق بين التأوه على ما فات ، وتمني الخيرات ، كلاهما ضعف..ولا راحة إلا بالكد والتعب وقال قائل: لا يزال المرء مقرونا بالتواني ما دام مقيما على وعد الأماني.

أن تكونَ غُصَةً . ليسَ كلُ طالبٍ يُصيب" هـ[1] ، ولا كُل غائبٍ يؤوبُ . ومن الفسادِ إضاعةُ الزادِ (٩١) ومَفسدةُ المعادِ. لكلِ أمرٍ عاقبةٌ (٩٢) . سوفَ يأتيكَ ما قُدرَ لكَ . التاجرُ مُخاطرٌ. ورُبَّ يَسير(٩٣) أنمى منْ كثير (٩٤) . " لا خيرَ في معينٍ مَهينٍ" هـ[2] ، ولا في صديقٍ ظنينٍ . (٩٥) . ساهلِ الدهرَ ما ذَلَّ لك قَعودُهُ هـ[3] . ولا تخاطر بشيءٍ رجاءَ أكثرَ منهُ. وإياكَ أنْ تَجْمحَ بكَ مطيةَ اللَجاج (٩٦) أحملْ نفسكَ منْ أخيكَ عند صَرْمِه (٩٧) على الصِلَة، وعندَ صُدودِه على اللطفِ والمقاربة، وعندَ جمودِه (٩٨) على البذلِ ، وعندَ تباعدِه على الدنو ، وعندَ شدتِه على اللين، وعند جُرمِه على العذرِ (٩٩) حتى كأنكَ لهُ عبدٌ وكأنهُ ذو نعمةٍ عليك. " وإياكَ أنْ تضعَ ذلكَ في غيرِ مَوضعِه أو أن تَفعلَهُ بغيرِ أهلِه " هـ[4] لا تتخذنَّ عدوَ صديقك صديقاً فتُعادي صديقَكَ. وأمحَضْ أخاكَ النَصيحةَ حسنَةً كانتْ أو قبيحة (١٠٠). وتَجرعِ الغيظَ فأني لم أرَ جُرعَةً أحلى منهَا عاقبة ولا ألذَّ مَغبَةً (١٠١) . " ولنْ لِمَنْ غَالظَكَ " هـ[5] فأنهُ يُوشكُ أنْ يلينَ لكَ .وخذ على عدوك بالفضلِ فأنهُ أحلى

---

(١) لا غبن عليك ان تطلب الشيء فلا تجده، لان هذا شائع ومألوف والمهم ان لا تبخع نفسك على أثره.

(٢) مهين: أما بفتح الميم بمعنى حقير فان الحقير لا يصلح لان يكون معيناً،أو بضمها بمعنى فاعل الإهانة فيعينك ويهينك فيفسد ما يصلح.

(٣) أفول الدنيا وانقلابها معلوم وكم انقلب أعلاها أسفلها وأسفلها وأعلاها فان اقبل الدهر عليك وذلت لك المقادير وصار لين القياد سهل التصرف فاغتنم ذلك منه ولتكون غنيمتك منه لآخرتك.

(٤) تسامح وتواضع مع الذين يقدسون النبل والخلق الكريم لا مع من يرى التواضع منك ضعفا وافتقارا. قال إعرابي لصديق له : كن لي ببعضك حتى أكون بكلي لك.

(٥) ان طننت به خيرا، ورجوت ان يرجع عن جفوته ، ويوؤب إلى رشده ، وهذا تعبير عما سبق من قول الإمام : وإياك ان تضع ذلك في غير موضعه.

الظَفرين(١٠٢). وان أردتَ قطيعةَ أخيكَ فاستبقِ لَهُ من نفسك بقيةً ترجعُ إليها ان بَدا لهُ ذلك يوماً ما" هـ[١] ومَنْ ظَنَّ بكَ خيراً فَصَدِّقْ ظَنه (١٠٣). ولا تضيعنَّ حقَّ أخيكَ اتكالاً على ما بينَكَ وبينَهُ فانهُ ليسَ لكَ بأخٍ مَنْ أضَعْتَ حقهُ. ولا يكنْ أهلكَ أشقى الخلقِ بك ولا ترغبنَّ فيمن زهِدَ فيك." ولا يكوننَّ أخوكَ أقوى على قطيعَتك منك على صلته" هـ[٢] ولا تكونن على الإساءةِ أقوى منكَ على الإحسانِ ،ولا يكبرنَّ عليكَ ظلمُ منْ ظَلمكَ فانهُ يسعى في مضرّته ونفعك. وليسَ جزاءُ منْ سَركَ أنْ تسوءَهُ.

وأعلم - يا بني - أن الرزق رزقان: رزقٌ تطلبه، ورزقٌ يطلبكَ فان أنتَ لم تأته أتاك. " ما أقبح الخضوعَ عند الحاجةِ والجفاءَ عندَ الغنى" هـ[٣] إن لك من دنياك ما أصلحتَ به مثواك.وان جَزِعْتَ على ما تَفَلّتَ من يديك، فأجزع على كلِّ ما لم يصل إليك.استدلَّ على ما لم يَكُن بما قدْ كانَ " هـ[٤]

---

(١) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليه إذا ظهر له حسن العودة .

(٢) مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه ولا يصح ان يكون اقدر على ما يوجب القطيعة منك على ما يوجب الصلة وهذا ابلغ قول في لزوم حفظ الصداقة

(٣) لا شيء أدل على ضعة النفس وخساستها ،ولؤمها ودنائتها ، من التنمر في اليسر ، والتذلل في العسر ..والنفس الكريمة سواء في الحالين، بل هي مع العسر اعز وأكثر إباء.. ومما يزيد الفاقة شدة الاستكانة لمن لا يجبرها .وقال الإمام : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبا لما عند الله ،وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله (إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك) أبداً لا فرق بين من يملك الملايين ومن يملك العشرات ما دام وعاء البطن لا يقبل المزيد من الطعام ، ومساحة الجسم لا تتجاوز المقرر من اللباس.. والعمر إلى أجل ،والى التفريق والشتات ما جمع المرء وما كسب ..وإذا فعلام التناحر على الطعام؟

(٤) تصفح أحوال الذين جمعوا أو حرصوا" ماذا حدث لأحوالهم بعد الموت، وقس عليها ما في يدك الآن من مال وحطام.

فانَّ الأمورَ أشباهٌ. " ولا تكونَنَّ ممن لا تنفعهُ العِظَةُ إلا إذا بالغتَ في إيلامه، فأنَّ العاقلَ يتعِظُ بالآدابِ والبهائمُ لا تتعظُ إلا بالضربِ" هـ[1] أطرحْ عنكَ واردات الهموم بعزائم الصبرِ وحسنِ اليقينِ . ومنْ تركَ القَصدَ (١٠٤) جارَ (١٠٥) ، والصَاحبُ مُناسب (١٠٦) والصديقُ من صَدَقَ غيبه (١٠٧) .والهوى (١٠٨) شريكُ العناء (١٠٩). ورُبَّ قريبٍ أبعدُ من بعيدٍ (١١٠) ، ورُبَّ بعيدٍ أقربُ منْ قريبٍ (١١١). والغريبُ مَنْ لَمْ يكنْ لهُ حبيبٌ. مَنْ تَعَدّى الحقَّ ضاقَ مَذهَبُهُ(١١٢). " ومَنْ اقتَصرَ على قدرِه كانَ أبقى لَهُ " هـ[2] وأوثقُ سَبَبٍ أخذتَ به سَبَبٌ بينكَ وبينَ الله. ومَنْ لم يُبَالِكَ(١١٣) فهوَ عَدوُكَ." قد يكونُ اليأسُ إدراكاً إذا كانَ الطمعُ هلاكاً هـ[3] ليسَ كلُ عورةٍ تظهرُ (١١٤) ولا كلُ فرصةٍ تُصابُ . وربما أخطأ البصيرُ قَصدَهُ وأصابَ الأعمى رُشْدَه. أخِّرْ الشرَ فأنك إذا شئتَ تَعجّلتهُ (١١٥) . وقطيعةُ الجاهلِ تَعدلُ صِلَةَ العاقل . مَنْ أمنَ الزمانَ خانهُ ، ومَنْ أعظمَهُ أهانَهُ (١١٦) ليسَ كلُ مَنْ رمى أصابَ . إذا تغيَّر السلطانُ تغيَّر الزمانُ . سلْ عَنْ الرفيقِ قبلَ الطريقِ، وعَنْ الجارِ قبلَ الدارِ . إياكَ أن تذكرَ في الكلامِ ما يكونُ مُضحكاً وأنْ حكيتَ ذلكَ عنْ غيركَ." وإياكَ ومشاورةَ النِساءِ فانَّ رأيهُنَّ إلى أفَنٍ

---

(١) اعتبر بالغير ، واتعظ بالعبر ان كنت إنسانا يدرك الأمور وعواقبها لا حيوانا يقرع بالعصا

(٢) إذا لم تدع بما ليس فيك احبك الناس ، وأنزلوك في ما أنت أهل له وجدير به ، وان تجاوزت طورك بخسوا حقك، وارتابوا في كل قول أو فعل من أقوالك أو أفعالك وان كنت فيه من الصادقين .

(٣) المعنى ربما يتمنى المرء لنفسه شرا من حيث يظن انه خير محض ولا ينكشف ذلك إلا بعد ان يناله ويمارسه ،ومثاله ان يتمنى الزواج من امرأة أعجبته من أول نظرة ، حتى إذا تم ما أراد ، وباشر وعاشر قال: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا.

وَعَزْمَهُنَّ إلى وَهْنٍ " هـ[1] واكففْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أبصارهنّ بحجابكَ إياهنَّ فأنَّ شدّةَ الحجابِ أبقى عليهنَّ ، وليسَ خُرُوجُهُنَّ بأشدَّ منْ إدخالكَ مَنْ لا يوثقُ به عَليهنَّ ، وان استطَعْتَ أنْ لا يعرفْنَ غيركَ فأفعل . ولا تُمَلِّك المرأةَ منْ أمْرِها ما جاوزَ نَفسَها فأنَّ المرأة ريحانَةٌ وَلَيستْ بِقَهرمانة (١١٧) ، ولا تعْدُ بكرامتِها نَفْسَها ، ولا تُطمعْها في أن تَشْفَع بغيرِها .وإياكَ والتَّغايرَ (١١٨) في غيرِ موضعِ غَيْرة فانَّ ذلكَ يدعوا الصحيحةَ إلى السقم والبريئةَ إلى الريب . وأجعل لكل إنسانٍ منْ خَدَمكَ عملا تأخُذُهُ به فانهُ أحرى أن لا يتواكلوا (١١٩) في خدمتكَ وأكرم عشيرتَكَ فإنهم جناحُكَ الذي بهِ تطير ، وأصلك الذي إليهِ تَصير ، ويدكَ التي بها تَصولُ .استودع الله دينك ودنياك ، وأسألهُ خيرَ القضَاء لَكَ في العاجلة والآجلة والدُنيا والآخرة والسلامُ.

صدق مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) المرأة دائما ـ فطرة- تميل إلى الدعة والعافية فمن كان له أمر مهم فلا يشاورها لأنها تحبه وتثبط عزيمته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن النساء والأطفال: هم المجبنة (الداعين إلى الجبن) والمبخلة (الداعين إلى البخل) .

١. المعترف له بالشدة

٢. يؤمل البقاء وهومما لايدركه احد

٣. هدفها ترمي اليه سهامها . والرمية ما اصابها السهم.

٤. أي لا تفارقه

٥. استعصاؤه وتغلبه

٦. فصدفني : فصرفني

٧. مستظهرا : مستعينا

٨. اطلب منه الاقرار بالفناء

٩. وبصره : اجعله بصيرا

١٠. مثواك: محل اقامتك

١١. باين أي باعد وجانب الذي يفعل المنكر

١٢. الغمرات: الشدائد

١٣. كهف حريز: الملجأ الحافظ

١٤. الاستخارة: ادع الله سبحانه وتعالى ان يختار لك ما فيه صلاح دينك ودنياك

١٥. صفحا: جانبا أي لا تعرض عنها

١٦. لا يحق: لا يكون من الحق كالسحر ونحوه

١٧. أي وصلت النهاية من جهة السن

١٨. الوهن : الضعف

١٩. افضي : القي

٢٠. وان النقص: عطف على ان يعجل

٢١. بادرتك: عاجلتك

٢٢. مؤونة: الثقل والشدة

٢٣. نخيلة : المختار المصفى

٢٤. توخيت : تحريت

٢٥. اجمعت: عزمت عطف على (يعني الوالد)

٢٦. ان يكون مفعول رأيت

٢٧. لا تعدى بك كتاب الله إلى غيره بل اقف بل عنده

٢٨. اشفقت: أي خشيت وخفت

٢٩. مثل صفة مفعول مطلق محذوف أي التباسا مثل الذي كان لهم

٣٠. شائبة: ما يشوب الفكر من شك وحيرة

٣١. أولجتك: ادخلتك

٣٢. العشواء : الضعيفة البصر أي تخبط خبط الناقة العشواء لا تامن ان تسقط فيما لا خلاص لها منه

٣٣. الله سبحانه هو المحيي والمميت

٣٤. شفقتك: خوفك

٣٥. رائد : الرسول قد عرف عن الله واخبرنا فهو رائد سعادتنا

٣٦. لم اقصر في نصيحتك

٣٧. فهو أول بالنسبة إلى الاشياء لكونه قبلها الا لانه لا أولية أي لا ابتداء له

٣٨. خطره : قدره

٣٩. المسافرون

٤٠. نبا المنزل باهله: لم يوافقهم المقام فيه لو خامته

٤١. الجديب : المقحط لا خير فيه

٤٢. اموا: قصدوا

٤٣. الجناب : الناحية

٤٤. المريع :كثير الشعب

٤٥. مشقته

٤٦. جشوبة :الغلظ، أو كون الطعام بلا أدم

٤٧. هجم عليه: انتهى اليه بغتة

٤٨. الكدح: اشد العسي

٤٩. لا تحرص على جمع المال لياخذه الوارثون بعدك بل انفق فيما يجلب رضاء الله عنك

٥٠. قصدك: رشدك

٥١. الاتياد: الطلب وحسنة اتيانه من وجهه

٥٢. البلاغ : الكفآية

٥٣. الوبال: الهلاك

٥٤. كؤودا: صعبة المرتقى

٥٥. المخف: الذي خفف حمله

٥٦. المثقل: من اثقل ظهره بالأوزار

٥٧. اخترلها سبيل النجاة

٥٨. عيا لراحتك وهنائك

٥٩. لا سبيل بعد الموت إلى طلب الرضاء والعفو

٦٠. الانابة: الرجوع إلى الله والله لا يعبر الراجع اليه برجوعه

٦١. نزوعك: رجوعك

٦٢. المناجاة: المكالمة سرا : والله يعلم السر كما يعلم العلن

٦٣. افضيت : القيت

٦٤. ابثته: كاشفته

٦٥. استكشفته: طلبت كشفها

٦٦. الشؤبوب: الدفعة من المطر وما اشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها

٦٧. القنوط: الياس

٦٨. لا يدري متى ينتقل عنه

٦٩. أي دار تؤخذ منها الكفآية للاخرة

٧٠. سكونهم اليها

٧١. التكالب التواثب

٧٢. نعاه: اجبر بموته تخبر بحالها عن فنائها

٧٣. ضاربة: مولعة بالافتراس

٧٤. يهر: يمقت ويكره

٧٥. أي بل منعها عن الشر عقلها وهم الضعفاء

٧٦. أضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها

٧٧. اسام الدابة:سرحها إلى المرعى

٧٨. أي يكشف ظلام الجهل عما خفي من الحقيقة عند الجلاء الغفلة بحلول المنية

٧٩. الاظعان: جمع ظعينة وهو الهودج الذي تركب فيه المراة

٨٠. الوادع : الساكن المستريح

٨١. خفض: امر من خفض- بالتشديد أي رفق

٨٢. أي سعى سعيا جميلا لا يحرص فيمنع الحق ولا يطمع فيتناول ما ليس بحق

٨٣. حرب: سلب المال

٨٤. توجف: تسرع

٨٥. مناهل: ما ترده الابل ونحوها للشرب

٨٦. فالأولى عدم اباحته لشخص آخر والافشا

٨٧. قد يسعى الإنسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر لجهله أو سوء قصده .

٨٨. من عمل وأقدم بلا تفكير خبط في التيه

٨٩. الخرق: العنف والشدة

٩٠. افضل التجربة ما زجرت عن سيئة وحملت على حسنة وذلك الموعظة

٩١. بالتهاون فيه عدم ادخاره لوقت الحاجة

٩٢. حلوة أومرة والعاقل يراقب ويحترس ولا يقدم الا بعد البحث والتامل

٩٣. وضع في محله

٩٤. وضع في غير محله

٩٥. ظنين بالطاء : المتهم : والضاد التجميل

٩٦. اللجاج: الخصومة : أي يحذرك من ان تغلبك الخصوصيات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها

٩٧. صرمه: قطيعته ، أي الزم نفسك بصلة صديقك اذا قطعك

٩٨. جموده: بخله

٩٩. تغاض عن هفوته واحتملها منه.. وان طلبت صديقا لا تعاتبه، عشت بلا صديق مدى الحياة

١٠٠. انصح بالحق وان غضب المقصود بالنصيحة ولا يهمك ما دمت مخلصا ومجتهدا فيها عند نفسك

١٠١. مغبة : عاقبة

١٠٢. الظفرين : ظفر الانتقام وظفر التملك بالاحسان والثاني احلى واربح فائدة.

١٠٣.ظنه: صدقه بلزوم ما ظن بك من الخير

١٠٤.القصد : الاعتدال

١٠٥. جار: مال عن الصواب

١٠٦. مناسب: يراعي فيه ما يراعي في قرابة النسب

١٠٧. غيبة: ضد الحضور أي من حفظ لك حقك وهوغائب عنك

١٠٨. الهوى: شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والادب

١٠٩. العناء: الشقاء

١١٠. لتباعد الاخلاق وتنافرها

١١١. لتقارب الاخلاق وتوافقها

١١٢. أي طريقة ، والمعنى من تسلح بغير الحق فهو اعزل من كل حجة ودليل وفضيلة ومكرمة

١١٣. لم يبالك: لم يهتم بامرك

١١٤. تحت الثياب افاع وذاب، والقلوب صندوق العيوب

١١٥. لان فرص الشر لا تقتضي لكثرة طرقه

١١٦. من هاب شيئا سلطه على نفسه

١١٧. قهرمانة: وكيلة في التصرف

١١٨. التغاير اظهار الغيرة على المراة بسوء الظن في حالها من غير موجب

١١٩. يتواكلوا: يتكل بعضهم على بعض

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الخامسة	٩
مقدمة الطبعة الرابعة	١٥
مقدمة الطبعة الثالثة	١٧
مقدمة الطبعة الثانية	٤١
القسم الاول	
مقدمة الطبعة الأولى	٤٥
أبو تراب كيف جاءت تسميته	٤٧
أبو تراب في مواكب الخالدين	٥١
أبو تراب من خلال وميض السيوف	٧٣
في بدر الكبرى	٧٥
زواج الزهراء	٧٨
في أحد	٨١
في غزوة بني النضير	٨٥
في غزوة الخندق	٨٧
قوة الإيمان في خيبر	٩٢
في فتح مكة جاهلية . . . أم ماذا	٩٥
في غزوة تبوك من أجل المصلحة العامة	٩٩
براءة تنطلق إلى مكة	١٠٢
بين الحديبية وصفين	١٠٣
نهاية الصفاء . . . وبداية النزاع !!	١١٧

حديث الغدير	١٢٣
أبو تراب يتحدث عن نفسه	١٢٨
وتختم الرسالات	١٤٢
لماذا أبو تراب دون غيره ؟؟	١٤٦
القيادة الإسلامية	١٥١
أبو تراب والقيادة الإسلامية	١٥٣
العدل هو الأساس	١٦٩
التربية أولاً !!	١٧٥
أبو تراب والمنهاج التربوي	١٧٧
بين أول الحديث وآخره ...	١٨٧
أول الحديث . . لأبي تراب ... بعد ان بايعه الناس	١٨٩
وتوشك الأيام أن تنتهي	١٩٠
آخر الحديث لأبي تراب	١٩٤
ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهم السلام لما ضربه ابن	١٩٥
ملحق	١٩٧
ذكرى الغدير	١٩٩
القسم الثاني	٢٠٥
الأول والآخر	٢٠٧
فضيلة كاملة ومنقبة شاملة	٢٢٥
المغيب	٢٢٩
المنهاج التربوي الإسلامي	٢٤١
نص الوصية	٢٥٥
الفهرست	٢٧٧

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٦٤٣٨٥
التاريخ ٢٠٠٩/١/١